

المجالس الحسنة

في مناسبات السنّة

السيد أحمد الحكيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحَجَّةَ
آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ
وَدَلِيًّا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ
فِيهَا طَوِيلًا بِرَحْمَتِكَ
ابن الحسن صلواتك عليه وعلى
ساعة وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً
أرضك طوعاً وتمتعه
يا أرحم الراحمين

الإهداء

إليك ...

أيها العبدُ الصّالح

إليك ...

يا بابَ الحوائجِ إلى الله

إليك ...

يا قمرَ بني هاشم

إليك ...

يا حاملَ اللواء

إليك ...

ياساقي عَطاشي كربلاء

إليك ...

يا حاميَ الطعينة

إليك ...

يا من استجار به الهدى، وكان جيشاً بوجه العدى

إليك ...

يا سيدي يا أبا الفضل العباس بن علي بن أبي طالب: أرفع بكلتا يديّ وريقات ولائي لعلّها تحظى بالقبول فأفوز،

وأحظى بالنظرة منكم فأجوز

فمعكم معكم لا مع غيركم... .أمنت بكم

خادمكم الوفي

أحمد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على البشير النذير، والمعلم الخبير سيّد الأنبياء والمرسلين، وأقرب المقرّبين لإله العالمين أبي القاسم محمّد بن عبد الله (ص)، وعلى آله الغرر الأوصياء الإثني عشر، من المرتضى إلى المنتظر.

واللعن الدائم على أعدائهم ومخالفهم، ومنكري فضائلهم، والمنحرفين عنهم، والمشكّكين فيهم أجمعين من الأوّلين والآخريين إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

فإنّ المتتبّع لسيرة أهل البيت (ع)، والمطلّع على ما أدّبوا به شيعتهم يجد أنّهم قد رسموا لهم نهجاً نزيهاً يُحفظون به، ويحافظون على هويتهم الأصيلة من جهة، وبيقون باب التواصل والارتباط معهم مفتوحاً من جهة ثانية. وقد تمثّل ذلك في إرشاد الشيعة لإحياء المناسبات الإسلامية، والشّعائر الدينيّة اليوميّة أو الشهريّة أو الحوليّة، كصلاة الجماعة والجمعة والعيد، أو الحج والعمرة، أو زيارة مشاهدهم، أو إقامة المآتم بوفائاتهم، أو الاحتفالات بمواليدهم، بل وحتى التجمّع في الدور والبيوت، والمزاورة وإقبال بعضهم على بعض، فإنّ ذلك من إحياء أمرهم (ع) لأنّ فيه ذكراً لفضائلهم ومناقبهم وأحاديثهم ووصاياهم، ودعوة الأتباع إلى التشبّه بهم، ولزوم طريقتهم، ومعرفة الأحكام الشرعيّة الواردة عنهم، وقد ترحّموا (ع) بدورهم على كلّ من يضمّه مجلسٌ يُحيى فيه أمرهم، ويدعى فيه إليهم.

وقد مارسَ أئمةُ أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ما حثوا شيعتهم عليه، فمشوا لحج بيت الله الحرام، وشدوا الرحاله لزيارة مرقد أمير المؤمنين (ع) في الغري، وأبي عبد الله الحسين والشهداء (ع) في كربلاء، وأقاموا المأتم لسيد الشهداء (ع) وبكوا عليه في بيوتهم ودورهم وصوامعهم وجوامعهم بل في سكك المدينة وأسواقها.

وعندما رأى الشيعة أئمتهم وسادتهم وقادتهم يفعلون ذلك، ويشفعونهُ بالحث والتأكيد وهم (ساسة العباد وأركان البلاد، وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن) تمسكوا به، وحافظوا عليه حتى صارت الشعائر والمشاعر شعاراً لهم يتوارثونه جيلاً بعد جيل في كل زمانٍ ومكان.

ولا أجد أياً أكشف سراً إذا قلت: لقد كان لهذا النهج القويم أبلغ الأثر في غزارة معارف عموم الشيعة، وثقافتهم الإيمانية، وطريقتهم الولائية.

حتى أنك صرت لا تجد أسبوعاً إلا وفيه مناسبة أو أكثر من ولادة مباركة، أو شهادة مؤلمة، أو زيارة ماثورة، أو واقعة مشهورة.

ومن هنا انبثقت فكرة هذا الكتاب، فهو عبارة عن مجالس مرتبة تتبعت فيها مناسبات السنة كلها من شهر محرم الحرام إلى آخر ذي الحجة المكرم، وأسميته المجالس الحسنة في مناسبات السنة وما كان هدي من وراء ذلك إلا أن أكون معدوداً في زمرة المشاركين في إحياء أمر محمد وآل محمد (ص).

ومن الله تعالى أستمّد العون، وأطلب السداد والتوفيق متوسلاً إليه بأحب الخلق إليه، وأعزهم عليه، وأخصهم لديه محمد وآله الطيبين الطاهرين المنتجبين، والحمد له سبحانه والمجد والصلاة والسلام على محمد وآل محمد، وعلى أعدائهم اللعن المؤبد.

قم المقدسة

في السادس من ذي الحجة الحرام

سنة 1426 هـ / أحمد الحكيم

مناسبات شهر محرم الحرام

1 - الليلة الأولى:

- أ - فضل البكاء على سيّد الشهداء (ع)
- ب - فوائد المجالس الحسينية

2 - الليلة الثانية:

- أ - فضائل الامام الحسين (ع)
- ب - الخروج من المدينة إلى مكّة

3 - الليلة الثالثة:

- أ - كرم الأمام الحسين (ع)
- ب - الخروج من مكّة إلى العراق

4 - الليلة الرابعة:

- أ - حياة مسلم بن عقيل (ع)
- ب - مسلم سفير الامام الحسين (ع)

5 - الليلة الخامسة:

- أ - فضل أصحاب الامام الحسين (ع)
- ب - مواقف أنصار الامام الحسين (ع)

6 - الليلة السادسة:

- أ - الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر الأسدي
- ب - شقاء عمر بن سعد وسعادة الحر

7- الليلة السابعة:

- أ - فضل أبي الفضل العباس (ع)
- ب - أبو الفضل العباس (ع) الكنى والألقاب
- ج - منزلة العباس بن علي (ع)

8 - الليلة الثامنة:

- أ - التفكر والاعتبار
- ب - شهادة القاسم بن الحسن (ع)

9- الليلة التاسعة:

- أ - برّ الوالدين
- ب - شهادة عليّ الأكبر (ع)

10 - الليلة العاشرة:

- أ - شهادة عبدالله الرضيع
- ب - الإمام (ع) وأصحابه ليلة العاشر

11 - يوم العاشر:

- مقتل الامام أبي الأحرار الحسين بن عليّ (ع)

12 - يوم الثالث عشر:

- دفن الأجساد الطاهرة

13 - يوم الخامس والعشرون:

- شهادة الامام زين العابدين (ع)

فضل البكاء على سيد الشهداء (ع)

يُعِيدُكَ لِلتَّارِيخِ بِالدَّمِ وَالسَّيِّئِ
وَكَمْ قَائِلٍ لِي وَهُوَ مَنِي هَازِلٌ
يَجَادُلُنِي فِي مَأْتِمِ السَّبْطِ قَائِلًا
وَلَوْ قَبْلَ الْجَمْهُورِ قَوْلِي جَعَلْتُ مِنْ
فِيَوْمٍ بِهِ الْإِسْلَامُ شَادَ كِيَانَهُ
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ فَاتَكَ الْقَصْدُ فَاتَّبِعْ
بِكَائِي لِأَلَامٍ عَلَى السَّبْطِ قَدْ جَرَتْ
يَرَى صَحْبَهُ صَرَخِي عَلَى الْأَرْضِ حَوْلَهُ
وَفِي حَجْرِهِ الطِّفْلُ الرِّضِيُّ مُرْفَرَفًا
وَقَدْ شَعَبَ السَّهْمُ الْمَثَلُثُ قَلْبَهُ
وَيَذْبُحُهُ شَمْرٌ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ
وَتُسَبِّحِي حَرِيمُ اللَّهِ وَهِيَ تَوَاكُلُ

مَتَى لَاحَ مَكْسُوفًا هَالًا مُحَرَّمٌ
أَتَبْكِي لِهَذَا الْعَالَمِ الْمُنْتَبِسِّمِ
مَنْ الظَّلَمِ أَنْ يَحْيِي الْحُسَيْنِ بِمَأْتِمِ
مُحَرَّمٍ لِلْأَفْرَاحِ أَهْجِجَ مَوْسِمِ
جَدِيرٌ بِأَنْ يَهْنِي بِهِ كُلُّ مُسَلِّمِ
لَتُهْدَى إِلَى مَعْنَى وَتَحْظَى بِمَغْنَمِ
مَتَى أَتَذَكَّرُ شَجْوَهَا أَتَأَلَّمُ
وَنَسْوَتَهُ مَذْعُورَةً فِي الْمَخِيَمِ
يَعَالِجُ سَهْمًا فِي وَرِيدِهِ مُرْتَمِي
وَزَادَ عَلَى آلَامِهِ أَنَّهُ ظَمِي
سِنَانٌ وَيُهْدَى مِنْ دَعْوِي لِجُجْرَمِ
تَحْنُ إِلَى خَدْرِ وَتَبْكِي عَلَى حَمِي (1)

(1) هذه القصيدة من نظم المرحوم آية الله السيد محمد جمال الهاشمي . ديوان مع النبي وآله: ص 193.

وُلِدَ آيَةُ اللَّهِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ جَمَالِ الْهَاشِمِيِّ عَامَ 1332 هـ فِي النِّجْفِ الْأَشْرَفِ، وَتَوَفَّى فِيهَا عَامَ 1397 هـ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ. وَنَشَأَ وَتَرَعَرَعَ هُنَاكَ فِي مَعْقَلِ الْعِلْمِ الْعَرِيقِ، وَفِي بَيْتِ عِلْمِيٍّ سَامِيٍّ الدَّرِيِّ. فَوَالِدُهُ آيَةُ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْمَرْحُومِ السَّيِّدِ جَمَالِ الدِّينِ الْهَاشِمِيِّ كَانَ يُعَدُّ أَحَدَ أَكْبَرِ مُرَاجِعِ الدِّينِ فِي عَصْرِهِ، وَدَرَسَ الْفِقْهَ وَالْأَصُولَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْعُلُومِ الْمُنْتَدَاوِلَةِ =

بگلي ماتمك يحسين ينصاب وذكرك من يمر الدمع ينصاب
گلي بدال گلبك ريت ينصاب وخدي دون خدك عل وطية

* * *

روى الشيخ المجلسي؛ في البحار بسنده إلى الإمام الحسين(ع) قال:

(ما من عبدٍ قطرت عيناه فينا قطرةً، أو دمعت عيناه فينا دمعةً إلا بؤأه الله بها في الجنةِ حُقباً) (1).

لقد حثَّ أهل البيت: شيعتهم على البكاء وإظهار الحزن لمصيبة أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب 8 بأحاديثهم الكثيرة المنتشرة، والمبثوثة في كتبنا المعتمدة التي ألفها أصحابنا القدماء والمتأخرون (رضوان الله عليهم أجمعين).

منها الحديث المروي عن إمامنا أبي جعفر الباقر(ع) وهو قوله: (أيما مؤمنٍ دمعت عيناه لقتل الحسين(ع) دمعةً

حتى تسيل على خده بؤأه الله في الجنةِ غرفاً يسكنها أحقاباً) (2).

= في حوزة علم النجف الأشرف، وعلى يد علماء كبار أمثال والده، وآية الله العظمى الشيخ ضياء الدين العراقي، وآية الله العظمى السيد أبوالحسن الاصفهاني، وغيرهم من الفطاحل، وانعكست هذه الشخصية العلمية على مختلف مؤلفاته القيّمة وخصوصاً على تفسيره الذي ما زال مخطوطاً. من مقدّمة ديوانه (مع النبي وآله) ص6.

(1) بحار الأنوار: ج44 ص269 طبعة طهران.

(2) بحار الأنوار: ج44 ص285 طبعة طهران.

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) قال: (لكلِّ شيءٍ ثوابٌ إلاَّ الدَّمْعَةَ فينا) (1).
 وعن الريّان بن شبيب قال: دخلت على الإمام الرضا (ع) في أوّل يومٍ من المحرم فقال لي: (يا ابن شبيب أصائمٌ أنت؟ فقلت: لا فقال: إنَّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريّا ربّه عزّوجلّ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ﴾ (2). فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريّا وهو قائمٌ يصلي في المحراب أنّ الله يُشركُ بيحيى، فمَن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عزّوجلّ استجاب الله له كما استجاب لزكريّا.
 ثمّ قال: يا ابن شبيب إنَّ المحرم هو الشهر الذي كان أهلُ الجاهليّة فيما مضى يحرّمون فيه الظلمَ والقتالَ لحرمة، فما عرفت هذه الأئمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيّها، لقد قتلوا في هذا الشّهر ذريّته، وسبّوا نساءه وانتهبوا ثقله فلاغفر الله لهم ذلك أبداً.

يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيءٍ فابكٍ للحسين بن عليّ بن أبي طالب (ع) فإنّه دُبِحَ كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماواتُ السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلافٍ لنصره، فوجدوه قد قُتل فهم عند قبره شعثٌ غبرٌ حتى يقوم القائم فيكونون من أنصاره وشعارهم (بالنارات الحسين).

(1) كامل الزيارات: ص 106 الحديث 6 المطبعة المرتضوية - النجف.

(2) آل عمران: الآية 38.

يا ابن شبيب لقد حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه أنّه لما قُتل جدّي الحسين (ع) أمطرت السماء دماً و تراباً أحمر.
يا ابن شبيب إن بكيت على الحسين (ع) حتى تصيرَ دموعك على خديك غفر الله لك كلّ ذنبٍ أذنبته صغيراً
كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا ابن شبيب إن سرّك أن تلقى الله عزّوجلّ ولا ذنب عليك فُزر الحسين (ع) .
يا ابن شبيب إن سرّك أن تسكنَ الغرفَ المنيّة في الجنّة مع النبيّ (ص) فالعن قتلة الحسين (ع) .
يا ابن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثلك ما لمن استشهد مع الحسين (ع) فقل متى ما ذكرته (ياليتني
كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً).

يا ابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدّرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا،
فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة) (1).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة البالغة حدّ التواتر، ولكن ما هو الغرض من ذلك؟ وما هو المغزى الذي
توخّاه أهل البيت: يا تُرى؟

نقول في الجواب: إنّ الغرض ليس إلّا أنّ الدمعة لا تُفاد إلا عند انفعال النفس وتأثرها مما يصيبها أو يصيب
مَن تمت به بنحو من أسباب الصلّة، ولا شكّ

(1) بحار الأنوار: ج 44 ص 285. طبعة طهران.

أنا نرى النفس عند تأثرها بذلك تكون متأثرة بشيءٍ آخر وهو العداة والبغض لكلٍ من أوقع تلك الفوادح والآلام، فالأئمة: حيث أنهم أعرّف الناس بمقتضيات الأحوال والملابسات التي تؤكّد دعوتهم كانوا يتحرّون التوصل إلى أغراضهم بكلّ صورة، وكان من الوسائل التي توجب انحراف الأئمة عن أعداء الله ورسوله (ص) أمرهم بالبكاء على مصاب الحسين (ع) لما فيه من استلزام تذكّر تلك القساوة المستلزم لانفعال النفس وانقباضها عمّا لا يلائم خطّتهم ⁽¹⁾.

هذا وقد جاء في الحديث المرويّ عن الإمام الحسين (ع) نفسه أنّه قال: (أنا قتيلُ العبرة لا يذكرني مؤمنٌ إلا استعبر!!) فما معنى هذا الحديث؟ وما المقصود منه؟

لم يقصد سيّد الشهداء (ع) بهذه الجملة (أنا قتيلُ العبرة) خصوص التعريف بأنّ قتله كان لأجل أن يُبكي عليه فيستحقّ به الأجر في الآخرة بحيث لا يكون هناك أثرٌ آخر يترتّب على قتله سوى البكاء عليه كيف وهنالك آثارٌ أخر أهمّها إحياءُ شريعة الحقّ، وتقويم ما اعوجّ من علم الهداية، ونشر الإصلاح بين الأئمة، وتعريف الملأ ما عليه أمراء الجور من السير وراء المطامع.

ولكنّ الوجه في هذه الإضافة - قتيلُ العبرة - تأكّد الصلة بين ذكر مقتله وبين البكاء عليه فإنّ لوعة المصاب لا تطفئ ومضض الاستياء له لا ينفد لاجتماع الكوارث عليه وملاقاته لها بصدورٍ رحيبٍ وصبرٍ تعجّبت منه ملائكة السماء.

(1) مقتل الحسين (ع) للمقرّم: ص 102.

فأول ما يتأثر به السامع لها أن تُستدرَّ دموعه فلا يذكر الحسين (ع) إلا والعبرة تسبق الذكر، أضيف إلى ذلك المودة الكامنة له في قلوب أحبائه بحيث إذا انضمت إلى تلك كانت أدعى لتأكيد الصلة بين ذكره (ع) وبين البكاء عليه، فمن هنا استحقَّ إضافة القتل إليه فقال: (أنا قتيلُ العبّرة).

وعلى هذا سار العربُ في كلامهم فإنهم إذا رأوا بين الإنسان وبين بعض حالاته وصفاته صلة أكيدة أضافوه إلى ذلك الحال فقالوا مضرَ الحمراء وربيعَةَ الخيل، وزيدَ النَّار، ومُسَمَّةَ الأزواج. فإنَّ ربيعة ومضر لم يتخلّيا عن كلّ صفةٍ حميدةٍ سوى اللواء والخيل، ولا زيد بن موسى بن جعفر (ع) لم يتّصف بشيء حسن أو قبيح إلا حرقه دور بني العباس بالبصرة. ولا أنّ جعدة بنت الأشعث لم تتّصف بالزّائل إلا سمّها أبا محمّد الحسن السبط (ع) ولكن لما كانت هذه الآثار هي الظاهرة بين الناس قيل لمضَرَ الحمراء ولربيعَةَ الخيل ولزيد النار ولجعدة مُسَمَّةَ الأزواج.

فقول الإمام الحسين (ع) (أنا قتيلُ العبّرة) وقول الإمام الصادق (ع): (بأبي قتيلُ العبّرة) من هذا القبيل وهو ما ذكرناه من تأكّد الصّلة بين ذكر مقتله وبين استدرار الدّموع⁽¹⁾.

ولم يكتفِ أهل البيت عليهم الصّلاة والسلام بحثّ الناس على البكاء بل رغبوهم بالتبكي وإظهار الحزن على مصاب الإمام الحسين (ع) وأهل البيت (ع).

(1) مقتل الحسين (ع) للسيد المقرّم: ص 102 - 104.

فعن الإمام الصادق (ع) : (من أنشد في الحسين (ع) فتباكي فله الجنة) (1).

ولا يخفى أنّ الباكي والمتباكي كلاهما يسعدان ويواسيان بذلك فاطمة سيدة نساء العالمين (ع)، روى ابن قولويه في كامل الزيارات بسند معتبر عن زرارة قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع) في حديث طويل يذكر فيه بكاء السماء والأرض والشمس والجبال والملائكة على الإمام الحسين (ع) إلى أن يقول: (وما من عينٍ أحبُّ إلى الله ولا عبرة من عينٍ بكت ودمعت عليه - أي على الحسين (ع) - وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل فاطمة (ع) وأسعدها عليه، ووصل رسول الله (ص) وأدى حقنا) (2).

نقل لي بعض أهل العلم أنّ قريةً بأطراف مدينة (كاشان) الإيرانية فيها عالمٌ جليل يعود إليه أهل تلك القرية وغيرهم في مسائلهم الدينيّة كما كان يحظى باحترام كبير عند كافة الطبقات وذلك لصدقه وإخلاصه وحسن نيّته. وفي يومٍ من أيام شهر المحرم - وكان اليوم الحادي عشر منه - خرج هذا العالم من بيته بحالةٍ ما اعتاد الناس أن يرونه بها فإنّه كان حافي القدمين وحاسر الرأس وهو مع ذلك بهيئة المصاب الفاقد لأعزّ أحبّته، وهو متّجّه إلى خارج تلك القرية.

فلما رآه الناس بتلك الحالة لم يكلمه أحدٌ منهم لهيبته ولكنهم اكتفوا بالسير خلفه، حتى وصل العالم إلى رجلٍ من التجّار الذين يملكون عدداً كبيراً من رؤوس

(1) آمالي الشيخ الصدوق: ص 122 المجلس 29 .

(2) جلاء العيون للسيد عبد الله شبر: ج 2 ص 50.

الأغنام يوزّعها صباح كلِّ يوم على مجموعةٍ من أفراد تلك القرية فيسرحوا بها طلباً للماء والعلف إزاء أجرٍ معيّن، فعندما وصل العالم إلى ذلك التاجر قال له: أعرض عليّ عمّالك، فامتثل الرجل ونادى عمّاله بأسمائهم والعالم ينظر إليهم ويقول: ليس هذا أريد، حتى لم يبقَ منهم إلّا شاب في مقتبل العمر فعندما حضر ونظر إليه العالم وعرفه وقع على قدمي ذلك الشاب يتبرّك بهما فامتنع الشاب إشد الامتناع وقال للعالم: يا شيخنا نحن أحقّ بتقبيل يديك ورجليك. عندها سأل الحاضرون العالم عن معنى ذلك طالبين منه توضيحاً لذلك فقال: عندما انتهينا من مراسم العزاء يوم العاشر وليلة الحادي عشر ذهبت إلى بيتي وأنا في غاية التعب والعناء فنمت نوماً عميقاً ورأيت فيما يرى النائم أنّ الإمام الحسين(ع) وأمه الزهراء(ع) في رعييل من الملائكة جاءوا إلى هذه القرية لتكريم وشكر كلِّ من شارك في مراسم العزاء الحسيني وعاشوراء فالذي قرأ العزاء كرمه الإمام الحسين(ع)، والذي فرش داره وأعدّه للعزاء كرمه الإمام الحسين(ع)، والذي لطم صدره أو بكت عيناه أو تباكى أو شارك بأيّ نحوٍ من المشاركة صغيرة أو كبيرة كرمه الإمام وقدم له الشكر، حتى وصل(ع) إلى هذا الشاب وهمّ بإكرامه قامت سيّدتي ومولاتي فاطمة الزهراء(ع) وقالت: ولدي حسين دعني أنا الذي أكرم هذا الشاب لأنّه أدخل السرور على قلبي بمواساته لي بالأمس.

لما سمع الحاضرون هذا الكلام من العالم ضجّوا بالبكاء حتى ارتفعت الأصوات!! فلما هدأت فورهم قال العالم للشاب: أخبرني ماذا فعلت أمس حتى رضيت عنك سيّدتي الزهراء(ع) كلّ هذا الرضا؟!

قال: جئت صباح يوم أمس - وكان يوم العاشر - فقلتُ لربِّ العمل هذا: إنّ اليوم هو العاشر من محرّم وهو يوم حزن على أهل البيت وشيعتهم وأنا لا أستطيع العمل فاسمح لي أن أذهب إلى الحسينيّة للمشاركة في المواكب الحسينية العزائية فقال: لا بل تأخذ الأغنام وتخرج إلى العمل كباقي الأيام.

قال: فكّرْتُ عليه الطّلب وقلت له: اسمح لي بالتعطيل اليوم وأنا أَعوّضك يوماً مثله فقال: لا بل تعمل اليوم. قلت: أُعطّل اليوم وأعوّضك يومين أو ثلاث إن شئت. فلم يقبل ذلك أيضاً، وخشيت من تكرار الطّلب تعكير مزاجه ولعلّه لأجل ذلك يخرجني من العمل نهائياً. فأخذت الأغنام وذهبت بها حتى بعدت عن الناس والبيوت فنظرت خلفي فلم أرَ أحداً فأخذت أجول في البريّة وحدي وأقرأ ما كنت أحفظ من أشعار رثاء سيّدي الحسين وأهل بيته وأصحابه، وصرت أندبُ تارةً وأبكي أخرى وألطم ثالثاً حتى أخذت شوطاً من البكاء والنحيب فاستراح قلبي وسكن فؤادي بمواساتي لسيدتي فاطمة الزهراء(ع).

فقال العالم: هذه الندبة والمؤاساة هي التي أدخلت السرور على قلب فاطمة الزهراء(ع).

أقول: وكأنيّ بها مثل هذه الأيام تتنقل في مجالس المؤمنين والمؤمنات لابسةً ثياب الحزن ولسان الحال:

وينه اليواسيني بشيعة على حسين وأولاده ورضيعه

وابن والده عين الطليعة على العلغمي كفوفه كطيعه

عباس نايم عل شريعة

أنا الوالده يحسين يابني يمن ريت ذباحك ذبحني

اسعدني على ابني يالتحبي مصابة تره بگلبي وشعبي

ونساني الضلع وسواد متني

أطيب عيشي بعد وقعة كربلا وأكون فيما أرديه أنيقا

وأذوق طعم الماء وابن محمد ما ذاقه حتى الحمام أذيقا

لا عذر للشيعي يرقا دمعه ودم الحسين بكربلاء أريقا

يايوم عاشورا لقد خلفتني ما عشت في بحر الهموم غريقا⁽¹⁾

لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

(1) البيت الأول للخطيب الأديب الشيخ محمد سعيد المنصوري، وبقية الأبيات لمحمد ابن عبدالعزيز السوسي الكاتب.

فوائد المجالس الحسينية

خذ بالبكاء فقد أتاك محرمٌ واعلم بأنّ به السؤلُو محرمٌ
 وأذلّ به دمعاً أذلّ عزيزه يومٌ يُنزلُ الدّينُ فيه فيهمظمٌ
 للحرزِ فوق جبينِ كلِّ موحّد وسئمٌ برغمِ عدوّه هو ميسمٌ
 فيحسُّ أن يُجري مدامعه دماً عبداً جرى من نحرِ سيّده الدّمٌ
 إليّ ألفتُ وما سئمتُ من البُكا سئمتني العلياءُ إن أنا أسأمٌ
 فوق البسيطةِ للأنامِ وتحتها للجنِّ فيه للتياحةِ موسمٌ
 والحجرُ أعولُ والمشاعرُ كلُّها والركنُ ضُعبُعِ والحطيمُ وزمزمٌ
 وتجاوبت بالتّوحيحِ أنديّةُ العلى والمكزّماتُ وكلُّ نادٍ مآتمٌ
 شهرٌ به شهرتُ أميّةٌ مخدماً فتنكّت به في الدّينِ فهو مخدّمٌ
 فعجبتُ حتى قلتُ لم لا حلُّهم غضبُ الإلهِ وكيفَ عنهم يخلّمٌ
 وبعينه زُمُرُ الضّلالَةِ أقبلت عدواً على حرّمِ الإمامةِ تهجمٌ
 صاحوا به نهباً فهذا هو مقسمٌ بين العدى وبناتِ أحمدَ مغنمٌ
 ما وقّروا من آلِهِ شيخاً ولم ينجُ الشبابُ وطفلُهُم لا يُرحمٌ⁽¹⁾

(1) القصيدة من نظم الأديب والخطيب المرحوم الشيخ كاظم سبتي.

قال السيد الأمين 1 في (أعيان الشيعة) المجلد 9 ص 5:

هو الشيخ كاظم بن حسن بن علي سبتي البغدادي النجفي المعروف بالشيخ كاظم السبتي.

ولد في حدود سنة 1255 هـ وتوفي سنة 1342 هـ في النجف ودفن بها، عالمٌ فاضلٌ

الشيعة تحزن بعاشور من هل
دكلي يلدفت حسين منه هل
ودمعها يشبه الطوفان من هل
ترابه وجمع أوصاله الرميّة

* * *

جديرة بالفضل والثناء
يقيمها الرجال والنساء
مصائب أهل البيت فيها يُذكر
يُنشَرُ فيها ذكر أهل الذِّكرِ
مجالسُ قال الإمامُ معلنا
إني أحبُّها فأحيوا أمرنا
ماتمُّ تُعقِّدُ للعزاءِ
يدعو إليها الحبُّ والولاءِ
وذنوبُ من يبكي عليهم يُغفَرُ
يُحيي بها أمرُ ولاةِ الأمرِ
إني أحبُّها فأحيوا أمرنا

أديبٌ شاعر خطيبٌ ماهر، وهو خطيبُ الذاكرين لمصيبة الامام الحسين(ع) في عصره لا يماثله أحدٌ منهم لا يكون إلقاءه في مجالس ذكره أقلّ من ساعة يصغي إليه فيها المستمعون بكلهم وبغير ملل، ويستفيدون وتفيض منهم العيون، وهو مع ذلك ضعيف الصوت، وله شعرٌ جيّد في مديح أهل البيت: وراثتهم، عالمٌ بالعربية يتكلّم في إلقاءه باللغة الفصحى فلا يلحن كما قال فيه السيد جعفر الحلبي:

عربيٌّ له فصاحةٌ سحبا
مدخُة في بني النبوة لا في الـ
تممتي من نابز الـذكر أن لا
نَـذكيّ لـه ذكـاءِ إياس
عبشـميين أو ببني العبّـاس
يرتقي غـيرة من الجـالـس

وله ديوان شعرٍ كبير في المراثي الإمامية رأيناه في النجف الأشرف بخطّ بعض أولاده ومن شعره قوله:

تمسّك بحبّ المرتضى علم الهدى
وأمسك أقر الله دينك بالذي
فلا أرشد الله امرءاً غير سالك
فتيّ حار كل العالمين بكنهه
فما خاب يوماً من به يتمسك
به الأرض والسبع السماوات تمسك
سبيل عليّ وهو للرشيد مسلك
ففي أمره تحيي أناس وتهلك

دعا لحيي أمرهم بالرحمة فيالها من منة ونعمة⁽¹⁾
إن من السنن الخيرة - الحسنة - التي اعتاد عليها أتباع أهل البيت: في كل عام من عشرة شهر المحرم هي إقامة
مجالس العزاء، وإظهار الحزن، وإبراز الحداد إحياءً لذكرى وقعة الطف الفجيعة التي أورثت الأمة: وشيعتهم الحزن
والبلاء إلى يوم الإنقضاء.
فتجد المآتم في الحسينيات والمساجد، والمدارس والأسواق، والدور والطرفات في الأماكن العامة والخاصة على حد
سواء.

وإلى ذلك يشير المرحوم السيد جعفر الحلبي في إحدى روايته:
في كل عام لنا في العشر واعيئة تطبق الدور والأحياء والسككا
وكان هذا بإيعاز مباشر من أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فهاهو الإمام الصادق جعفر بن محمد (ع)
وهو سادس أئمة الحق والخلق من آل محمد (ص) يقول لأحد أصحابه وهو الفضيل بن يسار: (أجلسون وتحدثون؟
قال: نعم جعلت فداك قال (ع) : إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يفضيل فرحم الله من أحي أمرنا، يفضيل
من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر)⁽²⁾.

(1) المقبولة الحسينية للمرحوم الشيخ هادي كاشف الغطاء: ص 37.

(2) بحار الأنوار: ج 44 ص 282.

وكان هذا الإمام العظيم الشأن يقيم بنفسه مجلس عزاء جدّه السبط الشهيد(ع) وذلك في داره بالمدينة حيث يدخل عليه الشعراء والقراء فينشئون وينشدون بين يديه المراثي المقرحة للقلوب والأكباد. وكان يضرب الستار للنساء ويأمرهنّ بالجلوس والاستماع للتدبة.

روى المرحوم الشيخ ابن قولويه في (كامل الزيارات) عن أبي عمارة المنشد عن أبي عبد الله الصادق(ع) قال: قال لي يا أبا عمارة أنشدني للعبدي(1) فأنشده فبكى ثمّ أنشدته فبكى ثمّ أنشدته فبكى قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعتُ البكاء من الدار فقال لي(ع) : يا أبا عمارة من أنشد في الحسين شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى أربعين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة(2).

واعلم أنّ لهذه المجالس - المآتم - فوائد ومنافع وبركات كثيرة جداً، وذلك إذا نظرنا إليها بعين المتفحص البصير، وإليك طائفة منها:

(1) هو أبو محمد سفيان بن مصعب العبدوي الكوفي، من شعراء أهل البيت: المتزلفين إليهم بولائه وشعره، المقبولين عندهم لصدق نيته وانقطاعه إليهم، عدّه شيخ الطائفة في رجاله من أصحاب الإمام الصادق(ع)، أنظر: ترجمته في الغدير: ج2 ص294.

(2) كامل الزيارات: ص104، المطبعة المرتضوية سنة 1356.

الأول: مواساة النبي (ص) وأهل بيته:، فإنه حزين لقتل ولديه بلاريب، وقد دلّت عليه جملة من الأحاديث، وأيُّ أمرٍ أهمُّ وأوجبُّ وأعظمُّ فائدةً من مواساة رسول الله (ص)؟! وهل يمكن ان يكون المرءُ صادقاً في دعوى حبّه للنبي (ص) وأهل بيته:، وهو لا يحزن لحزنهم، ولا يفرح لفرحهم، أو يتخذ يوم حزن النبي (ص) يوم عيدٍ وسرور؟

الثاني: إنّ فيها نصرةً للحق وإحياءً له، وخذلاناً للباطل وإماتةً له، وهي الفائدة التي من أجلها أوجب الله الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب وباللسان وبالجوارح، فإن لم يمكن بالجوارح اقتصر على اللسان والقلب، فإن لم يمكن باللسان اقتصر على القلب.

الثالث: انها مدرسةٌ يسهل فيها التعلّم والاستفادة لجميع طبقات الناس، فيتعلمون فيها التأريخ والأخلاق والتفسير والخطابة والشعر واللغة وغير ذلك كثير، ووقوف السامع على بليغ الكلام من نظم ونثر زيادةً على ما فيها من تهذيب النفوس وغرس الفضيلة فيها.

الرابع: إنّها نادرٌ للوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يجري هذا المجرى ففيها جذبٌ إلى طاعة الله، وإبعادٌ عن معصيته بأحسن الطرق وأنفعها بما يلقي فيها من المواعظ المؤثرة، وقضايا الصّالحين والزّهاد والعبّاد وغير ذلك.

الخامس: انها من أهم السبل في دعوة الناس إلى الدين الإسلامي ومذهب أهل البيت (ع) في جميع أنحاء المعمورة بأقوى الوسائل وأنفعها وأسهلها وأبسطها وأشدّها تأثيراً في النفوس بما تودعه في قلوب المستمعين من بذل أهل البيت (ع)

الذين هم رؤساء الدين الإسلامي أنفسهم وأموالهم ودماءهم في نصرة هذا الدين الحنيف، وما تشتمل عليه من إظهار محاسن الإسلام ومزاياه، وآياته ومعجزاته التي أبانوا عنها بأقوالهم وأفعالهم وشؤونهم وأحوالهم مما لا يدانيه ما تبذل عليه الأموال الطائلة من سائر الأمم وتتحمل لأجله المشاق العظيمة.

السادس: إنَّ فيها عزاءً عن كلِّ مصيبة، وسلوةً عن كلِّ رزية، فإذا رأى الإنسان أنَّ سادات المسلمين بل سادات النَّاس وآل بيت المصطفى (ص) جرى عليهم من أنواع الظلم والمصائب ما جرى هانت عليه كلُّ مصيبة وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

أنست رزايًاكم رزايانا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

السابع: هي أنَّ المصلحة التي استشهد الإمام الحسين (ع) من أجلها وفي سبيلها، والغاية السامية التي كان يرمي في جهاده واستشهاده إليها وهي إحياء دين الله تعالى، وإظهار فضائح المنافقين، هذه الغايات تقتضي استمرار هذه المآتم طول الدهر، وإقامة التذكار لها في كلِّ عصر، وإظهارها للخاص والعام تقويةً لتلك المصلحة وتثبيتاً لها. فلولا قتل الإمام الحسين (ع) لما ظهر للخاص والعام فسقُ يزيد بن معاوية وكفره وفجوره، وقبائح من مهَّد له، ومكَّنه من رقاب المسلمين، وذلك لأنَّ الذين دفعوا أهل البيت عن حقهم ظهروا للناس بمظهر التباينة عن رسول الله (ص)، وتظاهروا بتأييد الدين فخفي أمرهم على أكثر الناس، وبدلوا من أحكام الشريعة ما شاءوا واتبعهم على ذلك جلُّ الأئمة جهلاً أو

رغبةً أو رهبة، وأمروا على الأمة أعوانهم وأتباعهم، وأقصوا أولياء الله وأبعدوهم وحرموهم وساموهم أنواع الأذى من القتل والضرب والتفني والصلب، ولعنوا أمير المؤمنين (ع) على منابر الإسلام، وأظهروا للأمة أنهم هم آل رسول الله (ص) وهم قرابته، والأحق بمقامه، وقد قال أهل الشام لبني العباس - عندما أخذوا السلطة من بني أمية - إنهم ما كانوا يعرفون قرابة لرسول الله (ص) إلا بني أمية، ولو دام الحال على ذلك لأصبح الدين أثراً بعد عين (1).

قال الشاعر الموالي في ذلك مخاطباً الإمام الحسين (ع) :

شاطرت جدك في الرسالة أهما ثم لغرس جهادك المتأخر
أنت المجدد والنبي مؤسس وأبوك للإسلام خير معبر
قبرته آل أمية فبعثته حياً ولولا كفرهم لم يُقبر

يُنقل أنّ شاباً موالياً لأهل البيت (ع) من أهل البحرين ذهب إلى بريطانيا لإكمال دراسته العلمية والحصول على شهادة عليا، وفي أحد الأيام دخل إحدى المكتبات العامة لأجل المطالعة، ف وقعت عينه على كتاب مذكرات لأحد الضباط الإنجليز الذي كان ضمن المجموعة التي ذهبت إلى العراق أيام الانتداب البريطاني، وإذا به يقرأ حادثة كان لها أكبر الأثر في تغيير مسيرة حياته بعد ذلك.

وحاصلها: أنّ هذا الضابط قد تكوّنت له صداقة مع إحدى العائلات الطيبة الملتزمة دينياً في بغداد، وكان يزورهم بين آونة وأخرى، وهم بالمقابل يحسنون

(1) إقناع اللائم على إقامة المآتم للمرحوم السيد محسن الأمين: ص 314.

إليه ويضيّفونه في بيتهم، ويتبادلون الآراء ويتجادبون أطراف الحديث. استمرت هذه الصّداقة حتى نهاية مدّته المعيّنة في العراق حيث قرّر العودة إلى بلاده فجاء إلى هذه العائلة زائراً كعادته وقال: إنكم أحسنتم إليّ كثيراً طيلة هذه السنوات وكنتم لي كالأهل والأحبّة، وأنا أحبُّ أن أجبر هذا اللطف وأقابل هذا الإحسان بدعوتكم لقضاء مدّة طيّبة عندنا في بريطانيا إذا وافقتم على ذلك.

فوعده خيراً وطلبوا منه مهلةً لتداول الأمر بينهم ويخبروه بعد ذلك. وحدث ما كان يجبّ هذا الرجل البريطاني حيث وافقوا على سفر الأب والأمّ معه إلى بريطانيا وفعلاً سافروا جميعاً إلى هناك، وبعد وصولهم توجهوا إلى دار الضابط وكانت واسعة واقعةً في إحدى ضواحي العاصمة، فأفرد لهما بيتاً مستقلاً كان موصولاً بداره وعيّن لهم خادماً يخدمهم وكانا لا يغيبان عن نظره وتفقدّه.

وفي صباح أحد الأيام استيقظت الزوجة وقالت لزوجها: يا أبا فلان إني أشعرُ بضيقٍ واحتباس صدر وهمٍّ لا أعلمُ لماذا؟ فقال الزوج: وأنا كذلك أشعرُ بهمٍّ وحزن!! فقالت: لعلّ أحد الأولاد أصابه مكروه أو أحد الأقارب أو أحد الأصدقاء فبينما هم في هذا وأمثاله إذ صرخت المرأة قائلةً: أبا فلان عرفت السّبب!! فقال لها الرجل: وما هو بالله عليك؟ فقالت وقد ترقّرت دموعها: دخل علينا شهر محرمّ كما اعتقد.

فقام الرجل مسرعاً ونظر في تقويم الأيام فعرف أنّ ما تقوله زوجته صحيح وأنّهم في بداية شهر محرّم الحرام. فقالت: أسفي على دخول هذا الشهر ونحني في هذا المكان البعيد حيث لانسمع قراءةً ولا نستطيع الذهاب إلى المآتم وبدأت بالبكاء والنحيب.

فقال لها الرجل: لا عليك أنا أقرأ لك شيئاً مما حفظته من المجالس، قومي وأحضري المنبر فقامت وجاءته بالمنبر ولبس الرجل زيّه العربي وجلس على المنبر وبدأ يقرأ ويندب الإمام الغريب أبا عبد الله الحسين (ع) ويبكي والمرأة تستمع وتبكي وتندب وتعزي فاطمة الزهراء (ع) حتى انتهى المجلس. فجلسا على الأرض فرحين حيث أديا حق ذلك اليوم من الأيام العشرة الأولى من المحرم.

فما مضت مدّة حتى طرّق الباب وإذا بصديقهم يقول لهم: لماذا لم تخبروني بقدوم الضيوف إليكم حتى نقوم بالواجب؟!!

فقال له الرجل: من يعرفنا هنا حتى يأتي لزيارتنا؟

فقال له: أنا رأيت بعيني الناس يدخلون هذا المكان، وهم يلبسون الملابس العربية، ورأيت معهم امرأةً محتشمة. فبكي الرجل حتى سالت دموعه كلّ مسيل، وأخبره أنّهم أقاموا مجلس عزاء الإمام الحسين (ع) كما كانوا يفعلون ذلك في العراق، وأنّ أمثال هذه المجالس يراها أهل البيت عليهم الصلاة والسلام في حياتهم وبعد مماتهم.

أقول: هذا مجلسٌ بعد رحيل أهل البيت: عن هذا العالم وهناك مجلس آخر كان في حياة الإمام أبي الحسن الرضا (ع). وذلك عندما دخل عليه دعبل الخزاعي ومعه قصيدته التائية الخالدة.

قال السيّد الأمين: حكى دعبلُ الخزاعي قال: دخلت على سيدي ومولاي عليّ بن موسى الرضا (ع) في أيام عشرة المحرم فرأيتَه جالساً جلسةَ الحزين الكئيب وأصحابه من حوله فلمّا رأني مقبلاً قال لي: (مرحباً بناصرنا بيده ولسانه)، ثمّ أنّه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جنبه ثمّ قال لي: (يادعبلُ أحبُّ أن تنشديني شعراً فإنّ هذه الأيام أيام حزنٍ كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أميّة)، ثمّ إنّه (ع) نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه وأجلس أهل بيته وراء الستّر ليكفوا على مصابٍ جدّهم الحسين (ع)، ثمّ التفت إليّ وقال لي: (يادعبلُ إرث الحسين فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً فلا تقصّر عن نصرنا ما استطعت)، قال دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول: (1)

مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوةٍ	ومنزلٌ وحيٍّ مُقفّرُ العرصاتِ
لآلِ رسولِ الله بالخيفِ من منى	وبالبياتِ والتعريفِ والجمراتِ
منازلُ كانت للرشادِ وللتقى	وللصّومِ والتطهيرِ والصّلماتِ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ	وحمزةِ والسجادِ ذي الثفّناتِ

(1) المجالس السنّية: ج 1 ص 38.

إلى أن قال معدداً قبور بني هاشم ومعزياً فاطمة الزهراء (ع):

فَاطِمٌ قَوْمِي يَا بِنْتَ الْخَيْرِ وَإِنِّي نَجْوَمَ سَمَاوَاتِ بَارِضِ فَلَاتِ
قَبُورٌ بِكَوْفَانٍ وَأُخْرَى بِطَيْبَةِ وَأُخْرَى بِفَخِّ نَاهَا صَلَوَاتِي
قَبُورٌ بِجَنْبِ النَّهْرِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا مَعْرُثُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فَرَاتِ
تُوْفُّوا عَطَاشِي بِالْفَرَاتِ فَلَيْتَنِي تَوَفَّيْتُ فِيهِمْ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِي

ثم أفرد الحسين بالذكر فقال معزياً أمه الزهراء (ع):

أَفَاطِمُ لَوْ خَلَّتِ الْحُسَيْنَ مَجْدَلًا وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِشَطِّ فَرَاتِ
إِذْ لِلطَّمْتِ الْخَدَّ فَاطِمٌ عِنْدَهُ وَأَجْرِيَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجْنَاتِ

يَا فَاطِمَةَ يَمِ الْبِـــدُورِ يَلْغُـبُكَ خَفِي مِنْ دُونَ الْكَبُورِ
جِيبي سَدر لَبْنِكِ وَكَافُورِ اخْبِرْكَ بِصَدْرِ حُسَيْنِ مَكْسُورِ

ظامي الكبد بالترب معفور

أَيَا نَاعِيَاءَ إِنْ جِئْتَ طَيْبَةً مَقْبَلًا فَعَرَّجْ عَلَيَّ مَكْسُورَةَ الضَّلَعِ مُعْوَلًا
وَحَدِّثْ بِنَا مَضَّ الْفُؤَادَ مَفْصَلًا وَقَدْ مَاتَ عَطْشَانًا بِشَطِّ فَرَاتِ

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

فضائل الإمام الحسين (ع)

رحلوا وما رحل أهيل ودادي
ساروا ولكن خلفوني بعدهم
وسرت بقلبي المستهام ركابهم
وخلت منازلهم فهما هي بعدهم
تأوي الوحوش بما فسرت رائح
ولقد وقفن بها وقوف مؤلمة
أبكي بها طورا لفرط صبابتي
يادار أيمن مضى ذووك أما لهم
يادار قد ذكرتني بعراصك القفرا
لما سرى عنها ابن بنت محمد
بقيت عليئته تنوخ بعولته

إلا بحسن تصبني وفؤادي
حزنا أصوب الدمع صوب عهادي
تعلو به جبلا وتهبط وادي
قفرا وما فيها سوى الأوتاد
بفناء ساحتها وسرت غادي
ومهجتي للوجد قدح زنادي
وأصيح فيها تارة وأنادي
بعد الترحيل عنك يوم معاد
عراص بني النبي الهادي
بالأهل والأصحاب والأولاد
وتصيح ذاب من الفراق فؤادي (1)

(1) هذه القصيدة للخطيب الأديب المرحوم السيد مهدي الأعرجي، والبيت الأخير للخطيب الأديب الشيخ محسن الفاضلي النجفي.

قال السيد جواد شبر في (أدب الطف) الجزء التاسع ص 192:

ولد السيد مهدي في النجف الأشرف سنة 1322 هـ، ودرس فن الخطابة على خاله الخطيب الشهير الشيخ قاسم الحلبي، زاول نظم الشعر وعمره أربعة عشر سنة، وأول قصيدة نظمها كانت في رثاء الإمام الحسن السبط (ع):

نعي

سار حسين وامسه الحرم مغبر
أوليي والمدينة غدت تصفر
طلعوا آل هاشم عن وطنهم
او ظل خالي حرم جدهم بعدهم
ساروا ليلهم وابعد ظعنهم
اولن صوت العليلة ابكلب محتر

قضى الزكي فنوحوا يا محيييه
وابكوا عليه فذي الأملاك تبكيه
كان طيب القلب إلى أبعد حدود الطيب، ولم يك في الناس ممن رآه ولم يهواه ويحبّه لصفائه إذ هو لا يستخفّ بأحدٍ ولا يحقّد على مخلوق، وكان فطناً يقوم بواجبه أحسن قيام متديّن ورع لم يعبأ بالعسر الذي لازمه وألح عليه.

ومن طريف شعره في ذلك حيث كتب رسالة للمرجع الديني المرحوم السيد أبو الحسن الإصفهاني فقال:

جاء الشتا وليس لي من عدّة
وهوا أنا أريد لي عباءة
أعتدّ فيها من طوارق الزّمن
وإنّ من أهل العبا أبو الحسن

وإلى جانب هذه الموهبة بالفصحى فهو ذا ملكة قوية بالنظم باللغة الدارجة متفنّن فيها ففي الموالم والأبودية والشعر الدارج لا يجارى. أما ولاؤه لأهل البيت: وتفانيه في حبّهم فهو من ألمع ميزاته، ولا زلت أتمنّئ في المآتم الحسينية يجهبش بالبكاء، وقد أفنى عمره في خدمة المنبر الحسيني الشريف.

ومن نظمه تخميسه بيتين للمرحوم السيد رضا الهندي في وداع السيدة زينب لأخيها الحسين:

مررت بهم زينب لما نواوا سفرا
ومررت بها في الترتب منعفرا
بها العدى فأطالست منهم نظرا
هممت لتقضي من توديعه وطرا

وقد أبي سوط شمر أن تودعه

إذا دنت منه سوط الثمر أرجعها
فلم تودع محاميها ومفرعها
ورمخ زجر ما تبكيه فتعها
ففارقتك ولكن رأسه معها

وغاب عنها ولكن قلبها معه

توفي رحمته تعالى سنة 1359 هـ غريقاً في شط الحلة يوم الخامس من شهر رجب.

دريضوا هنا يهلنا للعليلة
 يهلنا بعدكم ما نام ليلة
 صاح حسين يفاطم دردي
 أوديلج علي ابني اوكبدي
 ردت للمدينة وسار أبوها
 ظنت فاطمة لنهم يجوها
 يهلنه فراكم ماليش حيلة
 او عيني من بعدكم دوم تسهر
 دردي للمدينة وطن جدي
 اولابد ما يجي يمك مخبر
 اوظلت ترتقب عمها وأخوها
 أخوها والبطل عمها المشكر⁽¹⁾

(1) النصاريات للمرحوم الشيخ محمد نصار.

قال المرحوم السيد جواد شير في (أدب الطف) الجزء السابع ص232:

الشيخ محمد بن الشيخ علي بن إبراهيم آل نصار الشيباني النجفي المعروف بالشيخ محمد نصار.

توفي 1 في جمادى الآخرة سنة 1292هـ في النجف الأشرف ودفن في الصحن الشريف عند الرأس وهو من أسرة أدب وعلم.

وكان فاضلاً أديباً له شعر باللغتين الفصحى والدارجة، وقلّ ما ينعقد مجلس عزاء للحسين (ع) فلا يقرأ فيه من شعره الدارج، ولعلّ السرّ في ذلك هو أن الناظم كان من أهل التقوى، ولشدّة حبّه لأهل البيت: سمى كلّ أولاده باسم علي وجعل التمييز بينهم في الكنية فواحد يكنى بأبي الحسن والثاني بأبي الحسين وهكذا.

وحدّث صاحب كتاب (التكملة) فقال: عاشرتّه ورافقتّه مدّة فكان خفيف الروح كثير الدعابة إلى تقى وديانة وتمسك بالشرع جداً.

ومن طريف ما حدّث به انه قال: قصدت قبر الإمام عليّ ابن موسى الرضا (ع) بخراسان في سنة 1285هـ فامتدحته بقصيدة - وأنا في الطريق - على عادة الشعراء في قصدهم الملوك، وأكملتها قبل دخولي المشهد الشريف بيوم واحد وكان مطلعها:

ياخليلي غلّسنا لا تُرحمنا
 أو شككت قبلة الرضا أن تلوحنا

ومنها قوله:

قال الشاعر الموالى مخاطباً الإمام الحسين(ع):

ياصفوة النورين أنت زجاجةٌ قدسيّةٌ في هيكلٍ من جوهرٍ
وسلالةٌ نبويّةٌ قد أنزلت من جنةِ المأوى وماءِ الكوثرِ
من أهل بيتٍ أذهب الله العمى والرجس عنهم أظهِراً عن أظهِر
شاطرت جدك في الرسالة إنهما ثمّر لغرس جهادك المتأخّر
أنت المجدد والنبي مؤسس وأبوك للإسلام خير معر

ولد الإمام أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام بالمدينة الطيبة يوم الثالث من شهر

شعبان للسنة الرابعة للهجرة الشريفة (1).

قال المرحوم السيد عبدالله شبر في (جلاء العيون): المشهور بين علماء الشيعة أنه - أي الإمام الحسين(ع) - ولد

بالمدينة ثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة (2).

إنّ قـبراً لا طففت فيه ثـراه منع المسك طيبه أن يفوحا

قال: فلما دخلت المشهد الشريف وزرته ونمت تلك الليلة، رأيت في منامي الإمام الرضا(ع) جالساً على كرسي في روضته فسلمت عليه وقبلت يديه فرحب بي وأداني وأعطاني صرة وقال: افتحها ففيها مسك، ففتحتها فوجدت فيها فتاتاً لا رائحة له فقلت لا رائحة له فتبسم(ع) وقال: ألت القائل:

إنّ قـبراً لا طففت فيه ثـراه منع المسك طيبه أن يفوحا

فهذا مسك أذفر منع طيب ثرى قبري رائحته، فانتبهت وأنا فرح بما شاهدت.

توفي رحمته تعالى في جمادى الأولى سنة 1292 هـ وقد ناهز عمره الستين، ودفن في (النجف الأشرف) في رأس الساباط من الصحن الشريف بين قبر المرحومين: ميرزا جعفر القزويني وقبر السيد حيدر الحلبي.

(1) أنظر: مسار الشيعة للشيخ المفيد: ص37.

(2) جلاء العيون: ج 2 ص2.

وسمّاه النبيّ (ص) بأمر الله تعالى حسيناً باسم أصغر ولدي هارون⁽¹⁾ وما كانت العرب تعرف اسمي الحسن والحسين حتى أنزلهما الله تعالى من الجنة لهذين الإمامين الطاهرين.

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب): إنّ فاطمة (ع) اعتلت لما ولدت الحسين (ع) وجفّ لبنها فطلب رسول الله (ص) مرضعاً فلم يجد فكان يأتيه فيلقمُهُ إهَامَهُ ويجعل الله تعالى له في إبهام رسول الله (ص) رزقاً يغذوه ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة فنبت لحمُهُ من لحم رسول الله (ص)⁽²⁾.

ولله دُرُّ الشاعر:

من ثدي أنثى ومن طه مراضعُهُ	لله مرتضعٌ لم يرتضع أبداً
من ريقه فاستوت منه طبائعُهُ	يُعطيهِ إهَامُهُ طوراً وآونةً
وأودعت فيه عن أمرٍ ودائعُهُ	سرٌّ به خصَّه باريه إذ جمعت
فطاب من طيبِ ذاك الأصل فارغُهُ	غرسٌ سقاه رسولُ الله من يده

وروي عن أمّ الفضل بنت⁽³⁾ الحارث أنها دخلت على رسول الله (ص) فقالت:

(1) في بعض الروايات أنّ هارون - وصيّ النبيّ موسى عليه السلام - ثلاثة أولاد: شُبر وشُبِير ومُشِير وبهم سمّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين والحسن عليه السلام.

(حاشية جلاء العيون)

(2) المناقب: ج 4 ص 50.

(3) زوجة العباس بن عبد المطلب عمّ النبيّ (ص).

يارسول الله رأيت البارحة حلماً⁽¹⁾ منكرًا قال: وما هو؟ قالت: إنّه شديد قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعةً من جسدك قطعت فوضعت في حجري قال: خيراً رأيت تلدُ فاطمة(ع) غلاماً يكون في حجرك، فولدت فاطمة(ع) الحسين(ع) فكان في حجري كما قال رسول الله(ص)، فدخلت يوماً على النبي(ص) فوضعت في حجره ثمّ حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله(ص) تهرقان بالدموع فقلت: بأبي أنت وأمي يارسول الله مالك؟ قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أنّ أمتي تقتلُ ابني هذا وأتاني بتربةٍ حمراء من تربته⁽²⁾.

وقد كان النبي(ص) يحبُّه حبّاً جمّاً. روي عن حذيفة بن اليمان قال: رأيت النبي(ص) أخذاً بيد الحسين بن علي(ع) وهو يقول: يا أيّها الناس هذا الحسين بن علي فاعرفوه فولذي نفسي بيده إنّه لفي الجنة، ومحبّوه في الجنة، ومحبّوا محبّيه في الجنة⁽³⁾.

وروى الشيخ الصدوق؛ في الأمالي من طرق المخالفين - السنّة - عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله 9 حامل الحسين(ع) وهو يقول: (اللهمّ إني أحبُّه فأحبّه)⁽⁴⁾.

(2) الخُلم - بالضم - : ما يراه النائم في نومه لكنّه غلب على ما يراه من الشّر والقبيح كما غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والحسن، وربما استعمل كلُّ مكان الآخر. (من الحاشية)

(3) بحار الأنوار: ج44، ص238، ح31.

(4) جلاء العيون للسيد عبد الله شير: ج2 ص11.

(5) المصدر السابق نفسه: ص11.

وروى ابن قولويه؛ من طرق المخالفين عن يعلي بن مرّة العامري قال: قال رسول الله (ص): (حسينٌ مّتي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط) (1).
 وكان الحسنان عليهما الصلاة والسلام ریحانتا رسول الله (ص) من الدنيا، ففي الحديث عن أبي بصير عن الإمام الصادق (ع) قال: قال رسول الله (ص): (ريحانتي الحسن والحسين) (2).
 بل الحسين (ع) أحبّ أهل الأرض لأهل السماء كما جاء ذلك في الحديث المروي عن النبي (ص) حيث قال: (من أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى الحسين (ع)) (3).
 ومحبة أهل السماء فضيلةٌ يشارك الحسين (ع) فيها جدّه المصطفى وأبوه المرتضى وأمه سيّدة النساء وأخوه المجتبي صلوات الله عليهم أجمعين، ورحم الله تعالى الفرزدق حيث يقول:

كفّرُ وقُرُّهُمُ منجىً ومعتصمُ	من معشرٍ حُبُّهم دينٌ وبغضُهُم
أوقيل من خيرُ أهل الأرض قيل: هُم	إن عُدد أهل التُّقى كانوا أئمتَّهُم
في كلِّ بدءٍ ومختومٍ به الكلمُ	مقدّمٌ بعد ذكرِ الله ذكْرُهُم

(1) جلاء العيون للسيّد عبد الله شير: ج 2 ص 12.

(2) المصدر السابق: ص 11.

(3) المصدر السابق: ص 17.

وروى الحديث ابنُ شهرآشوب في (المناقب) عن جماعةٍ من علماء أهل السنة فقال: رواه الطبري في الولاية والمناقب، والسمعاني في الفضائل بأسانيدهم عن إسماعيل بن رجاء وعمرو بن شعيب، أنه مرَّ الحسين بن علي (ع) على عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله: من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز، وما كلمته منذ ليالي صقّين، فأتى به أبو سعيد الخدري إلى الحسين (ع) فقال الإمام: أتعلم أي أحب أهل الأرض إلى أهل السماء وتقاتلني وأبي يوم صقّين والله إنَّ أبي لخيرٌ مني!! فاستعذر عبد الله من الإمام وقال: إنَّ النبي (ص) قال لي: **أطع أباك فقال له الإمام الحسين (ع): أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾**⁽¹⁾، وقول النبي (ص): (إنما الطاعة في المعروف)، وقوله: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)⁽²⁾.

وأما عبادته (ع) فقد كان أعبد أهل زمانه، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة. روى بن عبد ربه في (العقد الفريد) أنه قيل لعلي بن الحسين (ع): ما أقل ولد أبيك؟ فقال (ع): (العجب كيف ولدت وكان أبي (ع) يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة)⁽³⁾، ولقد حجَّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه)⁽⁴⁾.

(1) سورة لقمان: الآية 15.

(2) المناقب: ج 4 ص 73.

(3) جلاء العيون: ج 2 ص 28.

(4) ثمرات الأعواد: ج 1 ص 47.

وأما تواضعه فيّاته (ع) مرّ بمساكين قد بسطوا كساء لهم وألقوا عليه كسراً فقالوا: هلمّ يا ابن رسول الله فثنى وركه فأكل معهم ثم تلا قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ)، وفي رواية أخرى أنه (ع) اعتذر منهم بأنّ طعامكم صدقة وهي محرّمة علينا ثم قال: قد أحببتكم فأجيبوني قالوا: نعم يا ابن رسول الله فقاموا معه حتى أتوا منزله فقال للجارية أخرجي ما كنت تدخرين⁽¹⁾ فأطعمهم وسقاهم وكساهم وأغناهم.

خُلِقَ يَخْجَلُ النَّسِيمَ مِنَ اللَّطْفِ وَأَسُّ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَمَادُ
شَيْمٌ مَا جُمِعْنَ فِي بَشَرٍ قَطُ وَلَا حَازَ مَثَلَهُنَّ الْعِبَادُ

وأما إباؤه للضيم فيقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: سيّد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنيّة أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ع)، عُرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الدّل، وخاف من ابن زياد أن يناله بشيء من الهوان إن لم يقتله فاختر الموت على ذلك، وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري يقول: كأنّ أبيات أبي تمام في محمّد بن حميد الطائي ما قيلت إلا في الحسين (ع)

وَقَدْ كَانَ فَوْثُ الْمَوْتِ سَهلاً فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْخَفَاطُ الْمَرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
وَنَفْسٌ تَعَافُ الضَّيْمَ حَتَّى كَانَتْ هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ⁽²⁾ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
فَأَثَبَتْ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا: مَنْ تَحْتَ أَحْمَصُكَ الْحَشْرُ

(1) جلاء العيون: ج 2 ص 24.

(2) الرّوع: الحرب.

تتردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سُندسٍ خُضِرُ
ومن كلام الحسين (ع) يوم الطّف المنقول عنه نقله زين العابدين عليّ ابنه (ع): (ألا وإنّ الدّعيّ ابنَ الدّعيّ قد
خيرنا بين اثنتين: السّلة أو الدّلة، وهيّهات منّا الدّلة! يا بى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطُهرت
وأنوف حميّة ونفوسُ أبيّة) (1).

وقال سبط ابن الجوزي: وقد ذكر جدّي في كتاب (التبصرة) وقال: إنّما سار الحسين (ع) إلى القوم لأتّه رأى
الشيعة قد دثرت فجدد في رفع قواعد أصلها، فلما حصروه فقالوا له أنزل على حكم ابن زياد قال: لا أفعل واختار
القتل على الدّل وهكذا النفوس الأبيّة ثمّ أنشد جدّي فقال:

فلمّا رأوا بعضَ الحياةِ مذلّةً عليهم وعزُّ الموتِ غيرُ محرّم
أبوا أن يذوقوا العيشَ والذلُّ واقعٌ عليهم وماتوا ميتةً لم تدم
ولا عجبٌ للأسدِ أن ظفرت بها كلابُ الأعادي من فصيحٍ وأعجم
فحربةٌ وحشيّ سقت حمزة الردى وحتفٌ عليّ في حسام ابن ملجم (2)

ولهذا رفض الإمام الحسين البيعة ليزيد، وقرّر الخروج من المدينة، فجمع عياله وأهل بيته وشيعته ومضى بهم إلى
مكة ولكنّه ترك ابنةً له عليلة مريضة اسمها (فاطمة) وطلب من أمّ سلمة زوجة النبي (ص) رعايتها، وسار الركب وكأني
بفاطمة العليلة تودّع الركب بدموعها الجارية على خديها ولسان الحال:

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 3 ص 249 - 250.

(2) تذكرة الخواص: ص 273.

بعـدكم راح أظـل بس تدمع العين ويـجـلـي البـكا والنـوح كل حـين
وگـضـي العـمر حـسـرات وونـين على أهـلي المشـوا عـيـي بعـيدـين
لفـرآگـهم ما ليش تمکـين

يقولون ثمّ عادت إلى الدار وإذا بها خالية موحشة فجلست عند مهد أخيها عبدالله الرضيع وأخذت تهزّه وتخطب
الدار الخالية:

مشـوا عـني هـلـي لا لـج ولـالي وزمـاني مـن بعـد أهـلي ولـالي
للـزم مـهد عبـدالله ولـالي بلـكن يـرد وحـشـتـهم عـلـيـه
رحـلـوا وما رحـل أهـيل وداـدي إلا بحـسـن تصـبـر و فـؤادـي
سـاروا ولـكن خـلفـوني بعـدهم حـزناً أصـوب الدـمـع صـوب عـهادـي

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

الخروج من المدينة إلى مكة

وجه الصّباح عليّ ليلٌ مظلّمٌ وريبعُ أيّامي عليّ محرّمٌ
والليلُ يشهدُ لي بأبي ساهرٌ إن طاب للنّاس الرّقادُ فهوموا
من قرحةٍ لو أنّها بيلملمٌ نسفت جوائبهُ وساخ يلملم⁽¹⁾
قلقاً تقلّبني الهومُ بمضجعي ويغورُ فكري في الزّمانِ ويتهمُّ
ما خلتُ أنّ الدهرَ من عاداته تروى الكلابُ به ويظمى الضيغمُ
ويقدّمُ الأمويُّ وهو مؤخرٌ ويؤخرُ العلويُّ وهو مُقدّمٌ
مثلُ ابنِ فاطمةٍ بيتٌ مُشرداً ويزيدُ في لذاتهٍ مُتنعّمٌ
ويضيقُ الدُّنيا على ابنِ محمّدٍ حتّى تقادفه الفضاءُ الأعظمُ
خرجَ الحسينُ من المدينة خائفاً كخروجِ موسى خائفاً يتكتمُ
وقد انجلى عن مكّة وهو ابنُها وبه تشرّفتِ الخطييمُ وزمزمُ
لم يدرِ أين يُريحُ بُدنَ ركبهِ فكأتمّ ما المأوى عليه محرّم⁽²⁾

(1) يلملم: اسم جبل.

(2) القصيدة من نظم المرحوم السيد جعفر الحلّي الدر النضيد: ص308.

قال المرحوم السيد محسن الأمين العاملي في (أعيان الشيعية) المجلد الرابع ص97:

ولد يوم النصف من شعبان سنة 1277 في قرية من قرى العذار تعرف بقرية السادة، وتوفي فجأةً في النجف الأشرف في شهر شعبان لسبع بقين منه سنة 1315 هـ ودفن هناك.

كان - ﷺ تعالى - فاضلاً أديباً محاضراً شاعراً قويّ البديهة حسن العشرة صافي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) لأخيه محمد المعروف (بابن الحنفية):

السيرة حسن السيرة، له ديوان شعر مطبوع اسمه - سحر بابل وسجع البلابل - جمعه بعد وفاته أخوه السيد هاشم، وقد ضاع كثير من شعره الذي كان ينظمه على البديهة من الأبيات القليلة.

قال السيد الأمين: رأيت في النجف، وكان شريكنا في الدرس عند الفقيه الشيخ محمد طه نجف، وقرأ أيضاً على الشيخ ميرزا حسين بن ميرزا خليل، وتوفي ونحن في النجف وراثه الشعراء منهم الشيخ محمد السماوي صاحب كتاب - الطليعة - بقوله من قصيدة:

أَيُّ فَوَادٍ عَلَيْكَ مَا احْتَرَقَا وَأَيُّ دَمْعٍ عَلَيْكَ مَا انْدَفَقَا
يَارَاحِـلًا وَالْكَمَالَ يَتَّبِعُهُ مَا أَنْتَ إِلَّا الْهَلَالُ قَدْ مُحِقَا
بَكَى عَلَيْكَ الْقَرِيضُ مَنْفَجِعًا وَانْفَجَعَ الْفَضْلُ فِيكَ مَحْتَرَقَا

وقال السماوي: رأيت السيد جعفر بعد موته في الرؤيا وسألته عن حاله فقال: أما نحن أصحاب السيد مهدي القزويني فكلنا في الجنة. وكان المرحوم السيد جعفر الحلبي كثير المطايب، ومن ذلك قوله وهو يخاطب أستاذه الفاضل الملا محمد الشرياني وهو على المنبر بعد الفراغ من الدرس ارتجالاً:

أَشِيخُ الْكَلِّ قَدْ أَكْثَرْتَ بِحِثًّا بِأَصْلِ بِرَاءَةٍ وَبِاحْتِيَاطِ
وَهَذَا فَصْلُ زَوَارٍ وَسَرْطِ فَبَاحْتِنَا بِنْتَقِيحِ الْمُنْطَاطِ

والسَّـرْطُ هُوَ الْأَكْلُ وَالْإِبْتِلَاعُ.

وقال على سبيل المطايبه أيضاً:

لِلشَّرِييَانِيٍّ أَصْحَابٌ وَتَلْمِذَةٌ تَجَمَّعُوا حَوْلَهُ مِنْ هَاهُنَا وَهِنَا
مَا فِيهِمْ مَن لَّهُ بِالْعِلْمِ مَعْرِفَةٌ يَكْفِيكَ أَفْضَلُ كَلِّ الْحَاضِرِينَ أَنَا

وقال في رئيسي النجف آنذاك: السيد محمد الطباطبائي، والسيد محمد القزويني:

شَتَاتَانِ بِسَيْنٍ مَحْمَدٍ وَمَحْمَدِ ذَا طَبْطَبَائِيٍّ وَذَا قَزْوِينِي
أَنَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ الْمَهْدَبَ مِنْهُمَا بِاللَّهِ لَا تَسْأَلُ عَنِ النِّعَمِينَ

(إنَّ الحسینَ یشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شریکَ له، وأنَّ محمداً عبدهُ ورسوله، جاء بالحقِّ من عند الحقِّ، وإنَّ الجنَّةَ والنَّارَ حق، وأنَّ الساعةَ آتیةٌ لا ریبَ فیها، وأنَّ الله یمیْتُ مَنْ فی القبور، وإنَّی لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح فی أمةِ جدِّی محمداً أریدُ أن آمرَ بالمعروف وأنهی عن المنکر، وأسیرَ بسیرةِ جدِّی وأبی علی بن أبی طالب، فمن قبلنی بقبولِ الحقِّ فاللهُ أولى بالحقِّ، ومن ردَّ علیَّ هذا أصبرُ حتی یقضیَ اللهُ بینی وبنی القومِ بالحقِّ وهو خیرُ الحاکمین).

وهذه وصیَّتِي یا أخي إلیک، وما توفیقی إلا بالله علیه توکلْتُ وإلیه أنیب). ثمَّ طوى الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخیه محمداً بن الحنفیة ثمَّ ودَّعه وخرج (ع) من عنده (1).

بهذه الكلمات النيرة والمعاني العالية الواضحة أعلن الإمام الحسين (ع) سبب النهضة وعینها ولم يجعلها عائمة وذلك بقوله: وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح فی أمةِ جدِّی، أریدُ أن آمرَ بالمعروف وأنهی عن المنکر، وأسیرَ بسیرةِ جدِّی وأبی علی بن أبی طالب:، وعین ذلك ب- (إنَّما) وهي أداة حصر عند النحویین فهو لم یطلب غیر الإصلاح من جاهٍ أو سلطانٍ أو سمعةٍ أو أموالٍ كما یفعله غیره من ذوي الأطماع بعد أن يتستروا وراء الشعارات اللطيفة والغايات الشريفة وإنَّما سعيهم وجهدهم لأغراضٍ دنیویة، وغاياتٍ آتیة، ومعلومٌ أنَّ الإمام الحسين (ع) لم یکن محتاجاً إلى جاهٍ أو سلطانٍ فهو سیّد شباب أهل الجنَّة، وریحانة رسول الله (ص)

(1) ثمرات الأعداء: ج 1 ص 101.

وابنه الذي خلفه في أمته وقال في حقّه: حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسياب (1).

وإلى غير ذلك من أقوال النبيّ (ص) في حقّ الإمام الحسين وأخيه الإمام الحسن (ع)، وهي فضائل يعرفها المسلمون آنذاك كما يعرفون الصلوات اليوميّة وعدد ركعاتها.

يقول الشيخ أسد حيدر في كتابه (مع الحسين في نهضته): وهذه الفقرات - الوصيّة - هي تجسيدٌ لأوضاع العصر الذي تعيشه الأئمة الإسلاميّة من جرّاء ما خلفته السياسة الأمويّة في عهد معاوية من فسادٍ وانحطاطٍ وضياع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنّ تلك الأوضاع السائدة وليدة استهتارٍ، وتُعدّ عن الإلتزام بنواميس الدّين، وتغييرٍ للخطط التي أوضحها الرسول (ص) لأئمته لمسيرتهم في الحياة (2).

ومن جملة الموبقات التي خرج بها معاوية بن أبي سفيان عن نهج رسول الله (ص) وطريقته هي أن جعلَ الخلافة الإسلاميّة وراثيّة في أصلاب أبنائه، فقد هلك معاوية في النصف من رجب سنة 60 هجرية، وكان قبل هلاكه قد كتب وصيّة لابنه يزيد وهي: يا بنيّ إنّني قد كفيتك الشدّ والتّرحال، ووطأت لك الأمور، وذلك لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد، فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك أكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل

(1) جلاء العيون: ج 2 ص 12.

(2) مع الحسين في نهضته: ص 68 - 69.

عنهم كلَّ يومٍ عاملاً فافعل، فإنَّ عزَلَ عامِلٍ أيسر من أن يُشهرَ عليكِ مائة ألف سيف، وانظر أهلَ الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك⁽¹⁾، فإن رابك من عدوك شيءٌ فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهلَ الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيّرت أخلاقهم، وإني لستُ أخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسينُ بن علي (ع) وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر، فأما عبدالله بن عمر فإنه قد وقذته العبادة فإذا لم يبق غيره بايعك، وأما الحسين بن علي (ع) فهو رجل لن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسّةً وحقاً عظيماً وقرباً من محمّد (ص)⁽²⁾، واعلم يا بني أن أباه خيرٌ من أبيك، وأن أمّه خيرٌ من أمك، وأن جدّه خيرٌ من جدك⁽³⁾، وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ليس له همّةٌ إلا في النساء واللّهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصةٌ وثب فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فظفرت به فقطعه إرباً إرباً، واحقن دماء قومك ما استطعت⁽⁴⁾.

ثم هلك معاوية للنّصف من رجب سنة ستين هجرية كان ابنه يزيد في (حوران) فأخذ الضحّاك بن قيس أكفانه ورقى المنبر فقال بعد الحمد لله والثناء عليه:

(1) العيبة: ما تجعل فيه الثياب كالصندوق، وأراد معاوية أتم موضع سرّك.

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 4 ص 6.

(3) ثمرات الأعواد: ج 1 ص 65.

(4) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 4 ص 7.

(5) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق ذكرها الحموي في (معجم البلدان): ج 2 ص 317.

كان معاوية سورّ العرب وعونهم قطع الله به الفتنة، وملكه على العباد وفتح به البلاد ألا إنّه قد مات وهذه أكفائه
فحنّ مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثمّ هو البرزخ إلى يوم القيامة فمن كان منكم يريد أن يشهد
فليحضر، ثمّ صلّى عليه الضحّاك ودفنه بمقابر باب الصغير، وأرسل إلى يزيد يعزّيه بأبيه والإسراع في القدوم ليأخذ
بيعةً مجدّدة من الناس، وكتب في أسفل الكتاب:

مضى ابنُ سفيانَ فرداً لشأنه وحلّفتَ فانظر بعده كيف تصنعُ
أقمنا على المنهاج واركبَ محجّةً سداداً فأنت المرتجى حين نفرغُ
فلما قرأ يزيدُ الكتاب أنشأ يقول:

جاء البريدُ بقرطاسٍ يخبّ به فأوجسَ القلبُ من قرطاسِهِ فرعا
قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكم قال: الخليفةُ أمسى مثقلاً وجعا
مادت بنا الأرض أو كادت تميّدُ بنا كأنّ ما عزّ من أركانها انقلعا

وسار إلى دمشق فوصلها بعد ثلاثة أيّام من دفن معاوية (1)، وكان الوالي على المدينة عند هلاك معاوية هو
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. وعلى مكّة عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى الكوفة النعمان بن بشير، وعلى
البصرة عبيدالله بن زياد فلم يكن ليزيد همّ بعد موت أبيه إلاّ بيعة نفر الذين سمّاهم أبوه، فكتب إلى الوليد بن عتبة
- عامله على المدينة - فأمره بأخذ

(1) مقتل المقرّم: ص 136 - 140 بتصرّف.

البيعة عليهم أخذاً شديداً ليس فيه رخصة فلما وقف الوليد على الكتاب بعث إلى مروان بن الحكم فأحضره وأوقفه على كتاب يزيد واستشاره وقال كيف ترى أن نصنع بمهؤلاء؟ قال: أرى أن تبعث إليهم الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن لم يفعلوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية لأنهم إن علموا وثب كل واحد منهم في جانب وأظهر الخلاف والمناظرة ودعا إلى نفسه، فأرسل الوليد عمر بن عثمان إلى الحسين وإلى عبد الله بن الزبير فوجدهما في المسجد فقال أجبيا الأمير فقالا انصرف فالآن نأتيه ثم قال ابن الزبير للإمام الحسين: فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي ليس له عادة بالجلوس فيها إلا لأمر؟!

فقال الحسين 7: (أظنّ طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذ البيعة علينا ليزيد قبل أن يفشو في الناس الخبر) (1). ثم ذهب الإمام الحسين (ع) إلى الوليد ومعه ثلاثون من أهل بيته ومواليه يحملون السلاح وأوقفهم على الباب وطلب منهم الدخول إلى المجلس إذا سمعوا صوته وقد علا ليمينعونه، فدخل وبیده قضيب رسول الله 9 و لما استقرّ به المجلس نعى الوليد إليه معاوية ثم عرض عليه البيعة ليزيد فقال (ع): مثلي لا يبايع سرّاً فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً.

فاقتنع الوليد منه ولكنّ مروان ابتدر قائلاً: إن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم احبس الرجل حتى يبايع أو

(1) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص 135 - 136.

تضرب عنقه فقام إليه الحسين فقال: (يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت وأثمت ثم أقبل على الوليد وقال: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالخلافة) وارتفعت الأصوات فدخل المجلس بنو هاشم وموالوهم وأخرجوا الإمام(ع) إلى منزله قهراً، فقال مروان للوليد عصيتني فوالله لا يمكنك على مثلها، قال الوليد: يامروان اخترت لي ما فيه هلاك ديني أقتل حسيناً إن لم يبايع!! والله لا أظنّ امرءاً يحاسب بدم الحسين إلا خفيف الميزان يوم القيامة. ولا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم.

وفي هذه الليلة زار الإمام الحسين(ع) قبر جدّه رسول الله(ص) فسطع له نورٌ من القبر فقال: (السلام عليك يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة فرحك وابن فرختك وسبطك الذي خلّفتني في أمّتك فاشهد عليهم يانبي الله أتهم خذلوني ولم يحفظوني وهذه شكواي إليك حتى ألقاك) ولم يزل راکعاً وساجداً حتى الصباح.

وعند الصباح لقي مروان أبا عبد الله الحسين(ع) فعرفه النصيحة التي يدّخرها لأمثاله وهي البيعة ليزيد فإنّ فيها خير الدين والدنيا فاسترجع الحسين(ع) وقال: (على الإسلام السّلام إذا بليت الأئمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله(ص) يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا بطنه فابتلاهم الله بيزيد الفاسق)، وطال الحديث بينهما حتى انصرف مروان مغضباً.

وفي الليلة الثانية جاء الإمام الحسين(ع) إلى قبر جدّه(ص) وصلى ركعات ثم قال: (اللهم إنّ هذا قبر نبيك محمد9 وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحبُّ المعروف وأنكر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى) ثم بكى.

و لما كان قريباً من الصبح وضع رأسه الشريف على القبر فغفا فرأى رسول الله(ص) في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه فضمّ الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال: (حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرّلاً بدمائك مذبوحةً بأرض كربلاء بين عصابة من أمّتي وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى وطمآن لا تروى وهم بعد ذلك يرجون شفاعتي لأنهم الله شفاعتي يوم القيامة.

حبيبي يا حسين إنّ أباك وأمّك وأحاك قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك). فبكى الحسين وسأل جدّه أن يأخذه معه ويدخله في قبره: (1)

عَلَّني يا جَدُّ من بلوى زماني أستريح	ضَمَّني عندك يا جدّاه في هذا الضريح
فَعسى طوؤُ الأسي يندك بين الدكتين	ضاق بي يا جَدُّ من فرطِ الأسي كلُّ فسيح

(1) مقتل المقرّم: ص144 - 147.

جُدُّ صَفْوَالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِكَ بِالْأَكْدَارِ شَيْبٍ وَأَشَابَ الْهَمُّ رَأْسِي قَبْلَ إِبْتَانِ الْمَشَيْبِ
فَعَلَا مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ بِكَاءٍ وَنَحِيبِ وَنَدَاءٍ بِافْتِجَاعٍ يَاحْيِي يَاحَسِينِ

أَنْتِ يَارِجَانَةَ الْقَلْبِ حَقِيقٌ بِالْبَلَا إِمَّا الدُّنْيَا أُعَدَّتْ لِبَلَاءِ النَّبَلَا
لَكِنَّ الْمَاضِي قَلِيلٌ بِالَّذِي قَدْ أَقْبَلَا فَاتَّخِذْ دَرَعَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ سَابِغَيْنِ

سَتَذوقُ الْمَوْتَ ظَلَمًا ظَامِيًا فِي كَرِبَلَا وَسَتَبْقَى فِي ثَرَاهَا ثَاوِيًا مِنْجَدَلَا
وَكَأَنِّي بِلَيْمِ الْأَصْلِ ثَمَرٍ قَدْ عَلَى صَدْرِكَ الطَّاهِرَ بِالسَّيْفِ يَحْزُرُ الْوَدَّجِينَ⁽¹⁾
وَكَأَنِّي بِالْحَسِينِ (ع) وَقَدْ مَرَّ عَلَى قُبُورِ الْأَحْبَةِ يُوَدِّعُهُمْ، فَمَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْحَسَنِ ثُمَّ مَرَّ بِقَبْرِ أُمِّهِ الشَّهِيدَةِ الْمَظْلُومَةِ
فَوَقَفَ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَإِذَا بِالْجَوَابِ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا غَرِيبَ الْأُمِّ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا حَبِيبَ الْأُمِّ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَحِيدَ
الْأُمِّ:

(1) من منظومة في واقعة الطف للعالم الشيخ حسن الدمستاني البحراني (ره) (ت/1181هـ).

يحسين يابني هيّجت حزني عليّـه لأجلك بكيري لابسـة ثياب العزيمـة
أبكي عليكم يا ضحايا الغاضريّـه الله كاتب كربلا تحويك يحسين

* * *

يابني مصابك بالطفوف يشيب الراس كلي عليمن انتحـب ياوايي الباس
لابنك علي يولا لبو فاضل العبّاس ييگه اعله نهر العلگمي من غير كفين

* * *

حزني على البلغاضريّة تعرسونه ياويل كلي يوم عرسه يذجونـه
عريس ما شفته بدّمه يخضبونه وأمّه تنادي شلون هجمه هجمة البين

* * *

أفاطم قومي يا بنـة الخير واندي نجوم سماوات بأرض فـلاة

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

كرمُ الإمام الحسين (ع)

قد أوهنت جَلدي الدَّيارُ الخالية
 ومتى سألتُ الدَّارَ عن أربابها
 كانت غياثاً للمنوب فأصبحت
 ومعالمٌ أضحت مآتم لا ترى
 وردَ الحسينُ إلى العراقِ وظنَّهم
 ولقد دعَّوه للعنفا فأجابهم
 قستِ القلوبُ فلم تَمَلْ لهدايةٍ
 ما ذاقَ طعمَ فراتِهِمْ حَتَّى قضى
 يابنَ النبيِّ المصطفى ووصيِّه
 تبكيك عيني لا لأجلِ مثوبةٍ
 تبتلُّ منكم كربلا بدمٍ ولا
 أنسَرتُ رزيتُكم رزاينا التي
 وفجائعُ الأيامِ تبقى ممدَّةً

من أهلها ما للدَّيارِ وماليه
 يُعدُّ الصَّدى منها سؤالي ثانيه
 لجميعِ أنواعِ النَّوائبِ حاويه
 فيها سوى ناعٍ يجاوبُ ناعيه
 تركوا النَّفاقَ إذا العراقِ كماهيه
 ودعاهمُ هدىً فرُدُّوا داعيه
 تبتأً لهاتيكِ القلوبِ القاسيه
 عطشاً فَعُصِّيلٌ بالدماءِ القانیه
 وأخا الزكيِّ ابنَ البتولِ الزاكيه
 لكنَّما عيني لأجلِكِ باكيه
 تبتلُّ ميني بالدموعِ الجاریه
 سلفت وهونت الرزايا الآتيه
 وتزولُ وهي إلى القيامةِ باقيه⁽¹⁾

(1) هذه القصيدة العصماء من نظم العالم الكامل المرحوم الشيخ محمد علي الأعسم (ره).

قال السيد جواد شبر في (أدب الطف) ج6 ص196:

الشيخ محمد علي الأعسم المتولد في النجف الأشرف عام 1154 هـ تقريباً.

ما لأجل الثواب بكيته واجره لچن نار بصميم الكلب واجره
مصاب حسين أبد ما صار واجره فرض كل يوم نصلبلة عزينة

* * *

وهو ابن الشيخ حسين ابن الشيخ محمد الزبيدي النجفي.
وآل الأعمس أسرة نجفية كبيرة عريقة في العلم والفضل والأدب.
كان الشيخ الأعمس عالماً فاضلاً فقيهاً ناسكاً أديباً شاعراً له ديوان شعر وله مرثية كثيرة في الإمام الحسين (ع)، له منظومة في الرضا، وأخرى في
الموارث وثالثة في العدد ورابعة في تقدير دية القتل وخامسة في آداب الطعام والشراب المستفادة من أخبار وأحاديث أهل البيت:.
جاء في معارف الرجال أنه تتلمذ على الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، وكان من أخلص أصحابه حتى أنه حجّ معه بيت الله سنة
1199هـ مع كوكبة من العلماء، وحضر الفقه على السيد مهدي بحر العلوم النجفي كما أجازته أن يروي.
وفي الطليعة قال: أخبرني السيد محسن الكاظمي الصائغ عن أبيه السيد هاشم قال: نظم المرحوم الشيخ محمد علي الأعمس قصيدته في الإمام
الحسين (ع) والتي مطلعها:

قد أوهنت جلدي الـديارُ الخالية من أهلها ما للـديارِ وماليه
تمّ عرضها على ابنه الشيخ عبد الحسين فقال: أنظرها فنظرها ثمّ قال: هذه قافية قاسية فأخذها منه ثمّ صعد فصلى ووضعها تحت مصلاه فما
كان إلا أن طرق الباب سحراً وإذا بالخطيب الشيخ محمد علي القارئ وكان ممتازاً بإنشاد الشعر الحسيني في محافل الحسين (ع) قال: إني رأيت
البارحة كأني دخلت الروضة الحيدرية فرأيت أمير المؤمنين (ع) جالساً فسلمتُ عليه فأعطاني ورقة فيها قصيدة وقال: اقرأ لي هذه القصيدة في رثاء
ولدي الحسين فقرأتها وهو يبكي فانتبهت وأنا أحفظ منها هذا البيت:
قسست القلوب فلم تملّ لهدايةً تبتاً لهاتيك القلوب القاسية
فتعجّب الشيخ وأخرج له الورقة التي تحت مصلاه فدهش الشيخ محمد علي القارئ وقال: والله إنها نفس الورقة بل هي التي أعطانيها أمير
المؤمنين (ع).

توفي في النجف الأشرف سنة 1233 ودفن في المقبرة التي هي لآل الأعمس في الصحن الشريف.

مما نُسب إلى الإمام أبي عبد الله الحسين (ع):

إذا جادت الدُّنيا عليك فجدِّ
بها على النَّاسِ طُراً قبل أن تتفلَّتِ
فلا الجودُ يُفنيها إذا هي أقبلت
ولا البُخلُ يُبقِيها إذا ما تولَّتِ (1)

* * *

السَّخَاءُ: هو بذل ما يُحتاج إليه عند الحاجة إلى مستحقِّه بقدر الطَّاقة، وهو من فعل شيم النفوس حيث تبذل ما تكسب به مدح العاجل والثواب الآجل، وتكسب به تألّف القلوب، وهو من أكبر أسباب المحبّة بين الناس. قال رسول الله (ص): (جُبِلَتْ (2) القلوب على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها، وبغضِ مَنْ أساءَ إليها) وأوضح دليل على صحّة هذا أنّنا نرى الناس تذكر بثناء واحترام الأسخياء ذوي النفوس العالية الذين يُعرفون بالبذل وقضاء الحوائج وتنفيس الكربات والإحسان حيث جُبلت القلوب على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها كما قال (ص). وفي حديث آخر عنه (ص): (السخيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الجنّة، قريبٌ من النَّاسِ، بعيدٌ عن النار. والبخيلُ: بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الجنّة، بعيدٌ من النَّاسِ، قريبٌ من النَّار). وعن ابن عباس: سادةُ النَّاسِ في الدُّنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء (3).

(1) المناقب: ج 4 ص 66.

(2) الجبيلة: الخلق والطبيعة.

(3) نور الحقيقة لوالد الشيخ البهائي: ص 225 - 226.

وبين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم فقال في سورة الحشر: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (1).
 وفي سورة الليل الآيات 5 - 11 ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا
 مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

وكان الإمام أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) أكرم أهل زمانه. قال ابن الصبّاغ المالكي في كتابه
 (الفصول المهمة): قال الشيخ كمال الدين بن طلحة قد اشتهر التقلُّ عنه (ع) بأنّه كان يُكرم الضيفَ ويمنح الطالب
 ويصلِّ الرّحم وينيل الفقراء ويكسو العريان ويُشبع الجوعان ويُعطي الغارم ويشفق على اليتيم ويعينُ ذا الحاجة، وإنّ
 الكرم ثابتٌ لهؤلاء القوم حقيقةً ولغيرهم مجازاً، إذ كلُّ واحدٍ منهم ضربٌ فيه بالقدح المعلّى فحاز منه ما حازَ فهم بحارٌ
 تجاوزت الغيوثَ سماحةً وبيارون الليوث حماسةً وبعدلون الجبال حلماً، فهم البحورُ الزاخرة والسُحبُ الهامية المطارة.
 يقول الشاعر:

فما كان من جودٍ أتوه فإتّما توارثوه آباءُ آبائهم قبيلُ
 وهل منبتُ الخطيِّ إلا وشيخُهُ (2) وثُغرسٌ إلا في مغارسها التّخلُّ (3)

(1) سورة الحشر: الآية 9.

(2) الوُشَيْح: شجرٌ تُصنع منها الرّماح.

(3) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ص 176.

وفي هذا المعنى رُوي أنّ أعرابياً وفد المدينة فسأل عن أكرم الناس فيها فُدّل على الإمام الحسين(ع) فدخل المسجد فوجد الإمام يصليّ فوقف بإزائه وأنشأ:

لم يَحِبِّ الآنَ مَنْ رَجَاكَ وَمَنْ حَرَّكَ مِنْ دُونِ بَابِكَ الْحَلْقَةَ
أَنْتَ جَوَادٌ وَأَنْتَ مَعْتَمِدٌ أَبُوكَ قَدْ كَانَ قَاتِلَ الْفَسَقَةِ
لَوْلَا الَّذِي كَانَ مِنْ أَوَائِلِكُمْ كَانَتْ عَلَيْنَا الْجَحِيمُ مِنْطَبَقَةَ

فسلم الإمام(ع) وقال: (ياقنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال نعم أربعة آلاف دينار فقال: هاأنا قد جاء من هو أحقُّ بها منا، ثم لفّ الدنانير وأخرج يده من شقّ الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ:

خَذَهَا فإِنِّي إِلَيْكَ مَعْتَذِرٌ وَاَعْلَمُ بِأَنِّي عَلَيْكَ ذُو شِشْفَقَةِ
لَوْ كَانَ فِي سَيْرِنَا الْغَدَاةَ عَصِيٌّ⁽¹⁾ أَمَسْتَ⁽²⁾ سَمَانَا عَلَيْكَ مُنْدَفِقَةَ
لَكِنَّ رَيْبَ الزَّمَانِ ذُو غَيْرٍ وَالْكَفُّ مِنِّي قَلِيلَةُ التَّفَقَةِ

فأخذها الأعرابي وبكى فقال له الإمام(ع): (لعلك استقللت ما أعطيناك). قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك⁽³⁾.

ورواية أخرى في نفس المعنى، أنّ أعرابياً جاء إلى الإمام الحسين(ع) فقال:

(1) الظاهر أنّ العصى كناية عن الأمر والحكم.

(2) لعلّ المعنى لو كان في سيرنا هذه الغداة ولاية وحكم أو قوّة لأمست يد عطائنا عليك مندفقة وتكون السماء كناية عن يد الجود والعطاء.

(3) جلاء العيون: ج 2 ص 24.

يا ابن رسول الله ضمننت ديةً كاملة (1) وعجزتُ عن أدائها فقلت في نفسي أسألُ أكرمَ الناس، وما رأيتُ أكرمَ من أهل بيتِ رسول الله (ص) فقال الإمام (ع): (ياأخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلثَ المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل).

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله أمثلُك يسألُ مثلي وأنت من أهلِ العلم والشرف؟! فقال الإمام (ع): (بلى سمعتُ جدِّي رسول الله (ص) يقول: المعروف بقدر المعرفة، فقال الاعرابي: سل عمًا بدالك، فإن أجبتُ وإلا تعلّمتُ منك ولا قوّةَ إلا بالله).

فقال الإمام (ع): أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال الأعرابي: الإيمانُ بالله فقال الإمام (ع): فما النجاةُ من الهلكة؟ قال الأعرابي: الثقةُ بالله، فقال الإمام (ع): فما يزيّنُ الرّجل؟ قال: علّمٌ معه حلِمٌ قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال الأعرابي: مالٌ معه مروءةٌ قال الإمام (ع): فإن أخطأه ذلك؟ قال: فقرٌ معه صبرٌ فقال الإمام (ع): فإن أخطأه ذلك؟ فقال الأعرابي: فصاعقةٌ تنزل عليه من السماء وتحرقه فإنه أهلٌ لذلك.

فضحك الإمام (ع) ورمى بصرةٍ إليه فيها ألفُ دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فصٌّ قيمتهُ مائتا درهمٍ وقال: ياأعرابي أعطِ الذهبَ إلى غُرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك)، فأخذ الاعرابي ذلك وقال:

(1) الدية الكاملة ألف دينار لقتل الخطأ.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (1). (2) وفي بعض الروايات فأنشأ الأعرابي يقول:

طَرَبْتُ وَمَا هَاجَ لِي مَعْبُتٌ وَلَا لِي مَقَامٌ وَلَا مَعَشْتُ
وَلَكِن طَرَبْتُ لَالِ الرَّسُولِ فَلَدَّ لِي الشِّعْرُ وَالْمَنْطُوقُ
هُمُ الْأَكْرَمُونَ هُمُ الْأَنْجَبُونَ نَجْوَى السَّمَاءِ بِهِمْ تُشْرِقُ
سَبَقَتِ الْأَنَامَ إِلَى الصَّحَابَاتِ وَأَنْتِ الْجِوَادُ فَلَا تُلْحَقُ
أَبُوكَ الَّذِي سَادَ بِالْمَكْرَمَاتِ فَقَصَّ رَعْنِ سَبْقِهِ السُّبُقُ
بِهِ فَفَتَحَ اللَّهُ بَابَ الرَّشَادِ وَبَابُ الْفَسَادِ بِكُمْ يُغْلَقُ (3)

وفي مثل اليوم الثاني من شهر محرم سنة 61 للهجرة نزل الإمام الحسين (ع) مع مَنْ كان معه من أهل بيته وأصحابه أرض كربلاء (4).

أقول: نزلوا كربلاء ورايات الهاشميين ترفرف على رؤوس الهاشميات فكلمتا رفعت واحدةً منهنّ رأسها رأت راية أبي الفضل العباس هو واخوته وبقية آل أبي طالب يحوطون بالعائلة الكريمة ولكن حرّ قلبي لها كيف خرجت من كربلاء ثمّ عن يمينها وزجرٌ عن شمالها، وكلّما رفعت واحدةً منهنّ رأسها رأت رؤوس حماتها على الرّماح العالية:

هَذَا نَسَاؤُكَ مَن يَكُونُ إِذَا سَرَتْ فِي الْأَسْرِ سَائِقُهَا وَمَنْ حَادِيهَا
أَيْسُوقُهَا زَجْرٌ بَضْرِبٍ مَتَوْنُهَا وَالشَّمْرُ يُحْدُوهَا بِسَبِّ أَيْبِهَا

(1) سورة الأنعام: الآية 124.

(2) بحار الأنوار: ج44، ص196.

(3) ثمرات الأعواد: ج1 ص13.

(4) الملهوف للسيد ابن طاووس: ص139.

عجبا لها بالأمس أنت تصومها واليوم آل أمية تبديها

مشينة والدمع يجري اعلمه الحدود وهموم الكلب حملان وتزود
وعكب هذا الولي المعروف بالجدوع وعكب ذلك الأخو المكطوع الزنود
وعكب شبه النبي العترب ممدود وعكب ذيك الأقمار الصيد الأسود

شمر يجدي بضعة وناكتي يگود

فكم دعت زينب والدمع منهمل هذي الطفوف وفيها بالحشا شعل
أبكي على سادة بالطف قد قتلوا بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا

وخلّفوا في سويدا القلب نيرانا

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

الخروج من مكة المكرمة

فدأء لمثواك من مضجع
بأعبق من نفحات الجنا
ورعياً ليومك يوم الطفوف
وحزناً عليك بحبس النفوس
وصوناً لمجدك من أن يُذال
فيها أيها الوتر في الخالدين
تعاليت من مفرع للحتوف
تلوذ الدهور فمن سجد
شممت ثراك فهب النسيم
وعقرت خدي بحيث استراح
وحيث سنايك خيل الطغاة
وظفت بقبرك طوف الخيال
كأن يداً من وراء الضريح

تنور بالأبلج (1) الأروع (2)
ن روحاً ومن مسكها أضوع
وسقياً لأرضك من مصرع
على نهجك النير المهيع (3)
بما أنت تأباه من مبدع
فدأ إلى الآن لم يُشفع
فبورك قبرك من مفرع
على جانبيه ومن ركع
نسيم الكرامة من بلقع (4)
خد تفري ولم يضرع
جالت عليه ولم يخشع
بصومة الملهم المبدع
حمراء مبرة الإصبع

(1) الأبلج: هو الوضاء.

(2) الأروع: من يعجبك بحسنه أو شجاعته.

(3) المهيع: البين الواضح.

(4) البلقع: الأرض القفرة.

تُمَدُّ إِلَى عَالَمِ الْخَنُوعِ وَالضَّمِيمِ ذِي شَرِّقٍ (1) مُتَرَعِ
لِتَبْدِلَ مِنْهُ جَدِيْبَ الضَّمِيرِ بِأَخْرَ مَعشوشِيبٍ مُمَرَعِ
فِيَابِنَ الْبَتُولِ وَحَسْبِي بِهَا ضِمَانًا عَلَى كَلِّ مَا أَدْعِي
وِيَابِنَ الَّتِي لَمْ يَضَعْ مِثْلَهَا كَمِثْلِكَ حَمَلًا وَلَمْ يُرْضَعِ
وِيَابِنَ الْبَطْنِينَ بِالْبَطْنَةِ وَيَابِنَ الْفَتَى الْحَاسِرِ الْأَنْزَعِ
وَيَاغْصَنَ هَاشِمٍ لَمْ يَنْفُتِحِ بِأَزْهَرَ مِنْكَ وَلَمْ يُفْرَعِ
وَيَاوَاصِلًا مِنْ نَشِيدِ الْخُلُودِ خَتَامَ الْقَصِيدَةِ بِالْمَطْلَعِ (2)

* * *

(1) ذي شرق: ذي غصّة.

(2) هذه الأبيات من قصيدة عصماء للشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري.

قال السيد داخل السيد حسن في الجزء الأول من كتابه (من لا يحضره الخطيب):

ولد الشاعر محمد مهدي الجواهري في حدود سنة 1900م (في النجف الأشرف)، وهو ينتمي إلى أسرة علمية عريقة تعرف بأسرة آل صاحب الجواهر، وهو من أبرز شعراء العراق بل العرب المعاصرين قاطبةً.

له ديوان مطبوع في أربع مجلدات، وقصيدته العينية هذه هي من أروع ما قيل في الإمام الحسين(ع) وقد كتب منها خمسة عشر بيتاً على الباب الذهبي في مشهد الإمام الحسين(ع)، ويقول الأستاذ الباحث محمد سعيد الطريحي في كتابه (أجراس كربلاء) إنّ الجواهري حدّثه عن اعتزازه الكبير بهذه القصيدة وقال له: إنّها زادي إلى الآخرة.

توفي الجواهري في دمشق سنة 1999م، ودفن في ضاحية السيدة زينب(ع).

روي أنّ الإمام الحسين (ع) قال قبل خروجه من مكّة إلى العراق: (الحمد لله ما شاء الله ولا قوّة إلا بالله، وصلى الله على رسوله وآله وسلم، حُطّ الموت على وُلْدِ آدَمَ مَخْطَ القِلَادَةِ على جيد الفتاة، وما أولهني (1) إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعٌ أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطّعها عسلان (2) الفلوات بين النواويس وكرابلا، فيملائنّ مّي أكراشاً جوفاً وأجربة سُعباً، لا محيصَ عن يومٍ حُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبرُ على بلائه ويوفينا أجور الصّابرين لن تشدّ عن رسول الله حُمتُه، بل هي مجموعةٌ له في حضيرة القدس تقرأ بهم عينُه، ويُجزُّ بهم وعدُه، من كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحلٌ مصباحاً إن شاء الله تعالى) (3).

وكان خروج الإمام الحسين (ع) من مكّة متوجّهاً إلى العراق يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجّة فطاف بالبيت سبعاً وسعى بين الصفا والمروة وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرةً لأنّه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكّة ويرسل إلى يزيد بن معاوية، فخرج (ع) مبادراً بأهله وولده ومن انضمّ إليه من أهل البصرة والحجاز من شيعته ولم يكن قد بلغه بعدُ خبر مسلم بن عقيل (ع) (4).

وهذه الخطبة الشريفة صريحةٌ في تكذيب من يدّعي أن الإمام الحسين (ع) لم يكن يعلم بالمصير الذي ينتظره، وأنّه خرج طالباً للحكم والسلطان.

(1) ما أولهني: ما أشدّ اشتياقي.

(2) عسلان الفلوات: ذئبها.

(3) الملهوف للسيد ابن طاووس: ص 126.

(4) جلاء العيون: ج 2 ص 142 بتصرف.

فقاله (ع): (وكأني بأوصالي تقطعها عُسلانُ الفلوات بين النواويس وكربلاء) لهو تصريح واضح وإخبار أكيد عن المستقبل الذي ينتظره أهل بيته وليس فيه إلا القتل في سبيل الله تعالى، وإعلاء كلمته، وسقي شجرة الإسلام الذابلة - ببدع الأمويين - بدمه ودماء أهل بيته وأصحابه.

وأما أنه خرج طالباً للخلافة والرّعاة فادّعاءً باطلٌ بعد علم الإمام (ع) - كما صرّح في خطبته المتقدّمة - بالمصير الذي سيؤول إليه أمره وهو الشهادة ثمّ أنّ الخلافة والسلطنة قد ترفع من كان دانياً، وتقدّم من كان متأخراً، وتظهر نسب من كان خاملاً وأين هذا من بعض فضائل الإمام الحسين (ع) فلقد كان - لعمري - سلطانَ الدهر، وإمامَ الزّمان، وحجّة الله على عباده ناهيك عن نسبه الوضّاح فهو ابن النبي المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء وخديجة الغراء، وهو مع أخيه المجتبي سيدا شباب أهل الجنّة، وريحاننا رسول الله (ص)، وما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيره بينهم:

من معشر حُبُّهم دينٌ وبغضهم كفرٌ وقرُّهم منجىٌ ومعتصمٌ
إنَّ عندَ أهلِ التُّقى كانوا أئمّتهم أو قيلَ مَنْ خيرُ أهلِ الأرض قيل: هُم
مقدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهم في كلِّ بدءٍ ومختومٌ به الكلِمُ⁽¹⁾

وما أحسن ما تنبّه إليه ونبّه عليه المرحوم الشهيد السيد محمد الصدر

(1) أبيات من قصيدة الفرزدق الخالدة في مدح الإمام زين العابدين (ع).

حيث حذر من تحيّل أهداف لنهضة الإمام الحسين (ع) كان مصيرها الفشل حيث لم تتحقّق فإنّ ذلك يقلّل من رفعة وسمو واقعة الطفّ فقال: أن يكون الهدفُ أمراً متحقّقاً إمّا في الحال أو في الاستقبال، ولا يجوز أن نطرح - لنهضة الإمام الحسين (ع) - هدفاً فاشلاً وغير متحقّق أو غير قابل للتحقيق، فإنّ ذلك خلاف الحكمة الإلهية ولا يمكن أن ننسب ما هو فاشل وعاطل إلى الحكمة الإلهية، مثال ذلك: أنّ الإمام الحسين (ع) لو كان قد استهدف من - نهضته المباركة النصر العسكري العاجل أو إزالة حكم بني أمية أو ممارسة الحكم في المجتمع فعلاً فهذه ونحوها من الأهداف التي لم تتحقّق وكان مصيرها الفشل وذلك لأنّها لم تحدث ولم يكن من الممكن أن تحدث، اذن فهذه كلّها لم تكن هدفاً للإمام وإنّ تحيّلها البعض (1).

روى الشيخ المفيد؛ في (الإرشاد) عن الفرزدق أنّه قال: حججتُ بأُمِّي في سنة ستين فبينما أنا أسوق بغيرها حتى دخلت الحرم إذ لقيت الحسين (ع) خارجاً من مكّة فأنيتهُ وسلّمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب بأبي أنت وأُمِّي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ قال: (لو لم أعجل لأخذت ثمّ قال لي من أنت؟) قلت: رجلٌ من العرب ولا والله ما فتّشني - ما سألتني - أكثر من ذلك، ثمّ قال: (أخبرني عن النّاس خلفك) فقلت: الخبيرُ سألت، قلوبُ النّاس معك وسيوفهم عليك والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء قال: (صدقتَ لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ وكلّ يوم ربّنا هو في شأن إن نزل القضاء بما

(1) أنظر: كتاب أضواء على ثورة الإمام الحسين (ع): ص 58.

نُحِبُّ فَنُحَمِّدُ اللَّهَ عَلَى نِعَمَائِهِ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ فَلَمْ يُبْعَدْ (1) مَنْ كَانَ الْحَقُّ نَيْتَهُ وَالتَّقْوَى سِيرَتَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَجَلُ بَلِّغِكَ اللَّهُ مَا نُحِبُّ وَكِفَاكَ مَا تَحْذَرُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ نَذُورٍ وَمَنَاسِكَ فَأَخْبَرَنِي وَحَرَّكَ رَا حِلَّتِهِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ ثُمَّ افْتَرَقْنَا (2). ثُمَّ سَارَ (ع) حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى (زُرُودٍ) عَلِمَ بِمَقْتَلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلِ وَهَانِي بْنِ عُرْوَةَ وَقَدْ شُوهِدَا وَهَمَا يَجْرَانِ فِي السُّوقِ بِأَرْجُلِهِمَا فَقَالَ (ع): (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ). فَنَظَرَ إِلَى بَنِي عَقِيلِ فَقَالَ: (مَا تَرُونَ فَقُتِلَ مُسْلِمٌ) فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَرَجِعُ حَتَّى نَصِيبَ ثَارِنَا أَوْ نَذُوقَ مَا ذَاقَ فَقَالَ الْإِمَامُ: (لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ) ثُمَّ سَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى (زِبَالَةَ) فَأَتَاهُ خَبَرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَظْطَرِ فَأَخْرَجَ كِتَابًا فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَيْرٌ فَضِيعٌ قَتَلَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلِ وَهَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَظْطَرَ وَقَدْ خَذَلْنَا شِيعَتَنَا، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصِرِفْ فِي غَيْرِ حَرَجٍ لَيْسَ مَعَهُ ذِمَامٌ) فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَنَفَرَ يَسِيرٌ مِمَّنْ انْضَمُّوا إِلَيْهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ (ع) عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ إِتْمًا اتَّبَعُوهُ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَأْتِي بِلَدِّهَا قَدْ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَّا وَهُمْ يَعْلَمُونَ عَلَى مَا يَقْدَمُونَ، ثُمَّ سَارَ (ع) حَتَّى نَزَلَ (شِرَافًا) فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ أَمَرَ فِتْيَانَهُ فَاسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ وَأَكْثَرُوا ثُمَّ سَارَ مِنْهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارَ فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ إِذْ كَبَّرَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ (ع):

(من الحاشية)

(1) أي من الخير والنجاح والفلاح.

(2) جلاء العيون: ج 2 ص 144.

(الله أكبر لم كبرت)؟ قال رأيت التخل فقال له جماعة من أصحابه والله إن هذا المكان ما رأينا فيه نخلة قط فقال له الإمام: (فما ترونه)؟ قالوا نراه والله آذان الخيل وأسنة الرماح قال(ع): (أنا والله أرى ذلك مالنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد)؟ فقلنا له: بلى هذا هو ذو حسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت إليه فهو كما تريد فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل وإذا هو جيش زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد الرياحي التميمي حتى وقف هو وخيلُهُ مقابل الحسين(ع) في حرّ الظهيرة والإمام وأصحابه متقلّدون أسيافهم فقال لفتياناه: (اسقوا القوم واروهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً) ففعلوا وكان آخر من وصل من أصحاب الحرّ هو عليّ بن الطعان المحاربي فلما رأى الإمام الحسين ما به وبفرسه من العطش قال له: (أنخ الراوية) - والراوية تعني الجمل بلغة الحجاز، والسقاء بلغة الكوفة - فلم يعرف كيف يشرب فقال له(ع): (أنخ الجمل) ففهم ولكنه لم يستطع الشرب فقال له الإمام: (اخنث السقاء) أي اعطفه فلم يدر كيف فقام الإمام بنفسه وسقاه الماء فارتوى وارتوى فرسه، وهنا يخاطب أحد العلماء الإمام الحسين(ع) في ذلك فيقول:

سقيتَ عداك الماءَ منك تحنُّناً بأرضِ فلاةٍ حيثُ لا يُوجدُ الماءُ
فكيف إذا تلقى مُحبيك في غدٍ عَطاشى من الأجداتِ في لهفةٍ جاؤوا⁽¹⁾

ثمّ حضر وقت صلاة الظهر فأمر الإمام الحسين(ع) الحجاج بن مسروق

(1) هذان البيتان للسيد الحجّة ثقة الإسلام السيد محمد الكشميري¹. مقتل الحسين للمقرّم.

أن يؤذّن فلما حضرت الإقامة خرج الإمام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيّها النَّاسِ إنيّ لم آتكم حتى أتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ فإن كنتم على ذلك فقد جئتم فأعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم وإن لم تفعلوا وكنتم لقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم) فسكتوا عنه ولم يتكلّم أحدٌ منهم بكلمة فقال الإمام(ع) للمؤذّن: (أقم)، فأقام الصلاة فقال للحزب: (أتريد أن تصلّي بأصحابك)؟ قال: لا بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك فصلّى بهم الإمام(ع) فدخل الإمام وانصرف الحزب إلى مكانه ثم صار وقت العصر أمر الإمام الحسين(ع) أن يتهيأوا للرحيل ففعلوا ثم أمر مناديه فنادى بصلاة العصر وأقام فصلّى الإمام ثم سلّم وانصرف إليهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد أيّها النَّاسِ فإنكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهلِهِ تكن أرضى الله عنكم ونحن أهل بيت محمد(ص) وأولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أبيتم إلّا الكراهية لنا والجهل بحقنا وكان رأيكم الآن غير ما أتني به كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم) فقال له الحزب: أنا والله لا أدري ما هذه الكتب والرّسل التي تذكر فقال الإمام(ع) لعقبة بن سمعان: (أخرج الخرجين الذين فيهما كتبهم إليّ)، فأخرج خُرجين مملوئين صحفًا فنثرت بين يديه فقال الحزب: إنّنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك إلّا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيدالله بن زياد فقال له الإمام(ع): (الموت أدنى إليك من ذلك) ثم قال لأصحابه: (قوموا فاركبوا) فركبوا

وانتظروا حتى ركبت نساؤهم، فلما أرادوا الانصراف حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الإمام(ع) للحرّ: (ثكلتك أمك ما تريد)؟ قال له الحرّ: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائناً من يكون، ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه فقال له الإمام: (فما تريد)؟ قال: إذن والله لا أدعك فترادّ القول ثلاث مرّات فلما كثر الكلام بينهما قال له الحرّ: إني لم أؤمر بقتالك إنما أمرت إلا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة تكون بيني وبينك وسطاً حتى أكتب إلى الأمير عبيدالله فلعن الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أتلي بشيء من أمرك، فتياسر عن الطريق والحرّ يسأله وهو يقول للإمام(ع): إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الإمام(ع): (أبالموت تحوّفي وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه):

سأمضي ومابالموت عازّ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
 وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرماً
 فإن عُشت لم أندم وإن ميت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرغمما⁽¹⁾

ثم التفت الإمام الحسين(ع) لأصحابه وقال: (من منكم يعرف الطريق على غير الجادة فقال الطرمّاح أنا يا ابن رسول الله(ص) فقال له الإمام: تقدّم أمام الركب فتقدّم وجعل يرتجز ويقول:

(1) الإرشاد للشيخ المفيد(ره): ص 222 - 224.

واسر بنا قبل طلوع الفجر
آل رسول الله آل الفخر
الضارين بالسيف البتر
يامالك التفع معاً والضمر
على الطغاة من بقايا الكفر

والناس كانوا حاسدينه
اجتته العده ودارت عينه
وروحى بگت ولهه وحزينه
يحسين سدر بالضبعينه
اوما غير قتلك رايدينه
نادها يختي اوجرت عينه
لابد يزيب تشوفينه
وتيسر عزيزي سكينه

ولعد الموت راياته نصبها
مصارعهم بمل التربه الزكيه

قال اوضحوا عنها بغير خفاء

ياناقتي لا تذعري من زجري
بخير فتيان وخير سفر
السادة البيض الوجوه الزهر
الطاعين بالرماح السمر
أيّد حسيناً سيدي بالنصر

حتى وصلوا كربلاء ونزلوا بها ولسان حال العقيلة زينب:

طلعنة بشملنه امن المدينة
وللغاضبه من لفينه
والكاتبته اغدرت بينه
ناديت ياعززه وولينه
وشوف الجموع اكلت لينه
ومن تنقتل ياهو يحمينه
هيهات نرجع للمدينه
فوك الرمال امذبحينه

نزل وبكربلا خيامه نصبها
عليه امقدر من الله نصبها

يا قوم ما اسم الأرض قالوا نينوى

قالوا تسمى كربلا فتنفس الصُّعدا
حطّوا الرِّحالَ فذا محطُّ رحالنا
وبهذه الأطفالُ تذبح والنساء
وبهذه تفتت الأكبَادُ من
وقال هُنا حلولُ فناء
وهنا تكونُ مصارعُ الشُّهداءِ
تعلوا على قَتَبِ بغيرِ وطاءِ
حرِّ الظِّمَاءِ وحرارةِ الرِّمضاءِ

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

حياة مسلم بن عقيل (ع)

حَكَمَ الإِلهُ بِمَا جَرَى فِي مَسْلَمٍ
 خَذَلُوهُ وَانْقَلَبُوا إِلَى ابْنِ سَمِيَّةٍ
 آوَتْهُ طَوْعَةً مَذَّاتَاهَا وَالْعِدَى
 فَأَحْسَنَ مِنْهَا إِبْنُهَا بِدُخُولِهَا
 فَمَضَى إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يُسْرِعُ قَائِلًا
 فَدَعَى الدَّعِيَّ جِيوشَهُ فَتَحَزَّبَتْ
 وَأَتَتْ إِلَيْهِ فَعَاصٍ فِي أَوْسَاطِهَا
 يَسْطُو بِصَارِمِهِ الصَّاقِيلِ كَأَنَّهُ
 حَتَّى هَوَى بِحَفِيرَةٍ صُنَعَتْ لَهُ
 فَاسْتَخْرَجُوهُ مِثْخَنًا بِجِرَاحِهِ
 سَلَّ مَا جَرَى جُمْلًا وَدَعَّ تَفْصِيلَهُ
 قَتَلُوهُ ثُمَّ رَمَوْهُ مِنْ أَعْلَى الْبِنَا
 رَاطُوا بِرَجْلَيْهِ الْحَبَالَ وَمَثَلُوا
 مَذَّاجًا النَّاعِي الْحَسِينَ عَلَتْ عَلَى
 وَلَهُ ابْنَةٌ مَسَحَ الْحَسِينُ بِرَأْسِهَا
 لَمَّا أَحْسَسَتْ يَتَمَّهَا صَرَخَتْ أَلَا
 قَالَ الْحَسِينُ أَنَا زَعِيمٌ بَعْدَهُ

وَاللَّهُ لَئِيسَ لِحُكْمِهِ تَبْدِيلُ
 وَعَنْ ابْنِ فَاطِمَةَ يَزِيدُ بَدِيلُ
 مِنْ حَوْلِهِ عَدُوًّا عَلَيْهِ تَجْوُلُ
 فِي الْبَيْتِ أَنَّ الْبَيْتَ فِيهِ دَخِيلُ
 بِشَرِّ الْأَمِيرِ فَتَى نَمَاهُ عَقِيلُ
 يَقْفُو عَلَى أَثَرِ الْقَبِيلِ قَبِيلُ
 حَتَّى تَفَلَّلَ عَرْضُهَا وَالطَّوَلُ
 بَطَّلَى الْأَعَادِي حُدَّهُ مَصْقُولُ
 أَهْوَتْ عَلَيْهِ أَسِنَّةٌ وَنَصْوَلُ
 وَالْجِسْمُ مِنْ نَزْفِ الدَّمَاءِ نَحِيلُ
 فَقَلِيلُهُ لَمْ يُحْصِهِ التَّقْصِيلُ
 وَعَلَى الثَّرَى سَحْبُوهُ وَهُوَ قَتِيلُ
 فِيهِ فَلَيْتَ أَصَابِنِي التَّمْثِيلُ
 فَقَدَانِ مَسْلَمِ رَنْةٌ وَعَوِيلُ
 وَالْيَتَمُّ مَسْحُ الرَّأْسِ فِيهِ دَلِيلُ
 يَا وَالِدِي حَزْنِي عَلَيْكَ طَوِيلُ
 لَا تَحْزَنِي وَأَبُّ لَكَ وَكَفِيلُ

قد مات والذُّها فأقلت البقا
 في العمِّ لكن فاتها المأمول⁽¹⁾
 لسان حال اليتيمة حميدة بنت مسلم مع الحسين(ع):
 يعمي اعليه ابويه أرد أنشدك
 سولفلي عنّيه وأنسه عندك
 أشوفن خبر منّيه مضهدك
 مقتول كأنّيه وحگ جددك
 لمّن سمعها جذب وّنه
 وگال إلهاني الخير عنّيه
 مقتول بالكوفه أظّنه
 وكطعت الرّجه وأيسّت منّيه

* * *

(1) من قصيدة للمرحوم السيّد صالح الحلبي، الشهيد مسلم للمقرّم، ص216.

قال الأديب الخطيب الحاج الشيخ محمد باقر الإيرواني النجفي في ترجمة المرحوم السيد صالح الحلبي في كتابه (ديوان شعراء الحسين(ع)): هو أبو المهدي السيد صالح بن محمد بن حسين الحسيني الحلبي خطيبٌ شهير، وأديبٌ جريء، وأستاذ متبحّر، ولد في مدينة الحلة في العراق عام 1290هـ، وبعد أن نشأ وترعرع وبلغ الثامنة عشر من العمر هاجر إلى دار العلم - النجف الأشرف - وأتجه لطلب العلم من أهله وذويه فقرأ المقدمات على أساتذة أعلام منهم الشيخ عبدالحسين الجواهري والشيخ سعيد الحلبي، ثم درس علم الأصول على السيد عدنان السيد شبر والشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري والشيخ ملاً كاظم الخراساني - صاحب الكفاية - ، وتناول الفقه من فقهاء بارزين منهم الشيخ جواد محيي الدين وغيره، ويقول في مكان آخر من ترجمته:

وقد وصفه العلامة المرحوم الشيخ محمد السماوي في كتابه (الطليعة) فاضلاً مشاركاً في العلوم شديد العارضة، وخطيبٌ بارعٌ في فنّ الخطابة، ونائحٌ إذا ذكر الحسين(ع) أذاب القلب وأجراه من العين، ومحاضرٌ حسن المحاضرة لطيف المذاكرة جميل المعاشرة وتكفيه فخراً شهادة بعض العباقرة فيه بقوله: انه خطيب العلماء، وعالم الخطباء.

توفي في النجف الأشرف في 29 شوال ليلة السبت عام 1359هـ، ودفن في (مقام المهدي) بوادي السلام في النجف الأشرف.

روى الشيخ الصدوق؛ في (الأمالي) عن ابن عباس قال: قال عليّ أمير المؤمنين (ع) لرسول الله (ص): يا رسول الله إنك لتحبّ عقيلاً قال: اي والله إني لأحبُّه حبّين حبّاً له وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وإنّ ولده لمقتولٌ في محبةٍ ولدك فتدمع عليه عيونُ المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقربون، ثمّ بكى رسول الله (ص) حتّى جرت دموعُهُ على صدره ثمّ قال إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي (1).

السّفير مسلم هو ابن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، وعقيل والد مسلم علامة نسابة كان أنسب قريش وأعلمهم بأيام الناس وأخبارهم وكان سريع البدهاءة حاضر الجواب، فطناً ذكياً يتوقّد فطنةً ويقطر حماساً، وكان من الأساتذة المدرّسين لعلوم العرب الرّائعة في ذلك العصر توضع له طنفسة - سجّادة - في مسجد رسول الله (ص) ويستند إلى سارية من سواري المسجد فيجتمع إليه طلاب هذه العلوم العربيّة فيحملون عنه علم النّسب والشعر وأخبار الناس وأيامها يعني علم التّاريخ العربي، ولعقيل يدأ في الحديث والفقّه والتفسير، وكان مكفوفاً مديداً القامة مفخراً للأماجد، يقول حسّان بن ثابت الأنصاري في رثاء جعفر الطيّار:

وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ	دعائمٌ عرّ لا تُرامُ ومفخرٌ
بهايلٍ منهم جعفرٌ وابنُ أمّةٍ	عليٍّ ومنهمُ أحمدُ المتخبرٌ
وحمزةٌ والعبّاسُ منهمُ ومنهمُ	عقيلٌ وماءُ العودِ من حيثُ يُعصرُ (2)

(1) أمالي الشيخ الصدوق؛ المجلس السابع والعشرون: ص 111 الحديث 3.

(2) سفير الحسين للعلامة الشيخ عبد الواحد المظفر: ص 5 - 6.

ويقول المحقق المقرّم في حقّه: لقد كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيّبة وممن رضي عنهم رسول الله(ص)، فإنّ النظرة الصحيحة في التأريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أوّل الدعوة وكان هذا مجلبةً للحبّ النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء، من رسوخ الإيمان بجوانحه، وعمل الخير بجوارحه، ولزوم الطاعة في أعماله، واقتفاء الصّدق في أقواله فقول النبي(ص): (إني أحبّ عقيلاً حبّين حبّاً له وحبّاً لحبّ أبي طالب له)، إنّما هو لأجل هاتيك المآثر، إذاً فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة (1).

وأُمّه أُمّ ولد تسمّى (عُليّة) أصلها من النبط ومن أشرفهم، والنبط هم سكّان العراق القدماء (2).
ولد مسلم بن عقيل(ع) في دار أبيه المعروفة (بدار عقيل) في المدينة ثمّ صارت بعد ذلك مقبرة لآل أبي طالب وهي في أوّل البقيع، ولم تعرف سنة ولادته تحقّقاً (3)، نعم لم ينص ولا واحد من المؤرّخين على سنة ميلاده ولكنّ المحقّقين حاولوا معرفة ذلك - ولو تقريباً - فكانت النتيجة هي أنّ عمر الشهيد مسلم حين بعثه الإمام الحسين(ع) سفيراً له إلى أهل الكوفة قد تجاوز الخمسين عاماً.

يقول المحقق المرحوم السيد عبدالرزاق الموسوي المقرّم:

(1) الشهيد مسلم للعلامة المرحوم السيّد عبدالرزاق المقرّم: ص25.

(2) سفير الحسين: ص7.

(3) سفير الحسين: ص12.

جعل الإمام أمير المؤمنين (ع) على ميمنة جيشه في صفين الإمامين الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل ومن المعلوم أنّ من يجعله أمير المؤمنين (ع) في صفّ الحسن والحسين (ع) البالغين نحواً من خمس وثلاثين سنة لا بُدَّ وأن يقارنهم في السن، وحينئذٍ لا أقل أن يقدر عمر مسلم ابن عقيل بالثلاثين وتكون ولادته سنة سبع أو تسع للهجرة وله يوم شهادته أكثر من خمسين سنة (1). ويقول أيضاً: وإذا أخذنا بنصّ الواقدي كانت المسافة أبعد قال: لما دخل المسلمون مدينة (البهنسا) (2) بعد حصارٍ طويل دخل مسلم بن عقيل في جملة الهاشميين وهو يقول:

ضناني الحربُ والسهرُ الطويلُ وأقلقني التسهُدُ والعيولُ
فواثارات جعفر مع عليٍّ وما أبدى جوائك يا عقيلُ
سأقتلُ بالمهتد كلَّ كلبٍ عسى في الحرب أن يشفى الغليلُ

وكان فتح البهنسا أيام عمر بن الخطاب، فإنّ من يخرج في صفّ المجاهدين أيام ابن الخطاب لا بُدَّ وأن يبلغ على الأقل عشرين سنة وحينئذٍ تكون ولادته في أوائل الهجرة.

وأما وصفه فقد قال الفاضل الدربندي في (أسرار الشهادة): بنفسه شجاعاً.

(1) الشهيد مسلم بن عقيل: ص 50 - 52.

(2) قال الحموي في (معجم البلدان) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل.

ويقول الصديق في شأنه: أرسل الحسين (ع) مسلم ابن عقيل إلى الكوفة وكان مثل الأسد، ولقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت، ويقول العدو في حقه (1): يا ابن زياد أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقال الكوفة أو جرمقان (2) من جرامة الحيرة، ألم تعلم أنك بعثتني إلى أسدٍ ضرغامٍ وسيفٍ حسامٍ في كفِّ بطلٍ همامٍ من آل خير الأنام، وقال الزركلي في الأعلام: مسلم بن عقيل المقتول سنة 60 هـ الموافق سنة 680م تابعي من ذوي الرأي والعلم والشجاعة.

هذا هو إذن مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين (ع) إلى أهل الكوفة. الفقيه، والمجاهد، والشجاع، والثابت على المبدأ الحق، قال الشاعر في حقه:

تصفّحتُ أخبارَ السّفارةِ لم أجِدْ سفيراً يداني مسلّمَ بنِ عقيلِ
أرى ذكره حيّاً وإن غابَ شخصُهُ لدى كلِّ دورٍ في الحياةِ وجيلِ
فتىّ ينتقيه السبُّ سبُّ محمّدٍ متى تسمخ الدنيا له بمثيلِ (3)

فعلى مثل مسلم فليبك الباكون ويضح الضاحون كيف لا وقد بكى عليه الرسول الأعظم (ص) قبل أن يقتل وعدّ البكاء عليه من علائم الإيمان كما في الحديث الذي صدرنا به هذا المجلس حيث قال أمير المؤمنين (ع) لرسول الله (ص):

(1) هذه الكلمة قالها محمد بن الأشعث قائد الجيش الذي قاتل مسلم بن عقيل (ع). الشهيد مسلم: ص 165.

(2) جرامة الشام: أنباطها، واحدهم جرّمقاني. (لسان العرب)

(3) سفير الحسين للشيخ عبد الواحد المظفر، وأبيات الشعر له (ره).

(أحبُّ عقيلًا؟ قال: اي والله أحبّه حبّاً له وحبّاً لحبّ أبي طالبٍ له وإنّ ولده -أي مسلمٍ لمقتولٍ في محبّة ولدك - أي الحسين(ع) - تدمع عليه عيون المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقربون) ثمّ بكى رسول الله وقال: (إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي)، وهذا النصّ كافٍ في رجحان البكاء عليه، فإنّ إخبار النبي(ص) عن بكاء المؤمنين وارد لبيان كون البكاء محبوباً للرسول حيث رتب البكاء على شهادة مسلم النّاتجة عن محبّة الإمام الحسين(ع)، ثمّ قرن النبي(ص) البكاء على مسلم بصلاة الملائكة المقربين، وهل يصحّ القول بأنّ صلاة الملائكة عليه غير محبوبه لله سبحانه، فإذا بكاء المؤمنين وصلاة الملائكة على مسلم بن عقيل المترتبان على شهادته ممّا يرغب فيه الرسول وهو محبوبٌ لله سبحانه (1).

فعلى مثل مسلم فليبك المؤمنين كما بكى رسول الله(ص)، فإنّه(ع) قُتل غريباً، وقُتل وحيداً، وقُتل عطشاناً وذلك عند ما جيء به إلى قصر الإمارة فرأى على باب القصر قُلَّةً (2) مبرّدة فقال: اسقوني من هذا الماء فقال له مسلمٌ بن عمرو الباهلي: لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنّم قال مسلم(ع): من أنت؟ قال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته ونصح لإمامه إذ غششته فقال له ابن عقيل: لأتّك الثُّكل ما أقساك وأفظك!! أنت يا ابن باهله أولى بالحميم ثمّ جلس وتساند إلى حائط القصر، فبعث عمارة ابن عقبة بن أبي معيط غلاماً له يدعى قيساً فأتاه بالماء وكلّما أراد

(1) الشهيد مسلم: ص193.

(2) القُلَّة: الجرّة أو الكوز.

مسلم(ع) أن يشرب امتلاً القدح دماً وهكذا الثانية وفي الثالثة ذهب ليشرب فامتلاً القدح دماً وسقطت فيه ثناياه (1) فتركه وقال: لو كان من الرزق المقسوم لشربته.

وخرج غلام ابن زياد فأدخله عليه فلم يسلم فقال له الحرسى: ألا تسلّم على الأمير؟ قال له: اسكت إنّه ليس بأمير فقال ابن زياد: سلّمت أو لم تسلّم إنك مقتول فقال مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خيرٌ مني وبعد فإنك لا تدع سوء القتل ولا فُبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحدٍ أولى بها منك فقال ابن زياد: لقد خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة قال مسلم: كذبت إنّما شقّ العصا معاوية وابنه يزيد، والفتنة ألقها أبوك، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شرّ بريته، ودار بينهما كلام مثل ما تقدّم حتى أمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يصعد بمسلم(ع) إلى أعلا القصر ويضرب عنقه ويرمي رأسه وجسده إلى الأرض، وفعلاً أصعدهُ إلى أعلا القصر وهو يسبح الله ويهلّله ويكبّر ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا وكذبونا، وتوجّه نحو المدينة وسلّم على الحسين(ع) (2).

صعدوا بمسلم والدمع يجري من العين اتوجّه بوجهه للحجاز يخاطب حسين

(1) الثنايا: هي أسنان مقدّم الفم.

(2) الشهيد مسلم: ص 186 - 188.

يحسبن انا مقتول ردوا لا تجبوني خانوا هل الكوفه عكب ما بايعوني
وللفاجر ابن زياد كلهم سلّموني محزون وتو ياهلي عني بعيدين

* * *

ياليت هل الدّم الذي يجري على الكعاب مسفوح بين ايديك يامكسور الضلاع
يحسبن منك ما حضيت بساعة وداع بيني وبينك يا حبيبي فرّك البين
وأشرف به الشامي على موضع الحدّائين وضرب عنقه ورمى برأسه وجسده إلى الأرض، وامسلماه، واسيداه،
واشهيداه، واغريباه.

المكدر جره وشاعت أخباره رموه الكوم من قصر الإمارة
وهاني انقتل بعده وبغت داره مظلمة ولا بعد واحد يصلها

* * *

مصيبتهم مصيبه تصدع الأجمال ومن جبل المشيب تشيب الأطفال
شفت ميّت يجزّونه بالجمال يصاحب لا تظن صارت مثلها

* * *

عكب هذا طلعت مذحج امن الدّور وشغت لعد هاني ومسلم جبور
بس جثة حسين بيوم عاشور ظلّت بالشمس والدم غسلها

* * *

ياسائلاً وشظايا القلب في شجن هل جهّزوا لقتيلٍ مات ممّتحنٍ
أجبتُهُ بفؤادٍ خافقٍ وهن
ما غسّلوهُ ولا لَقّوه في كفنٍ يوم الطفوف ولا مدُّوا عليه ردا

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين

مسلم سفيرُ الإمام الحسين (ع)

بكتك دماً يابنَ عمِّ الحسين
ولا برحمت هـاطلاتُ العيون
لأنك لم تَروَ من شـربةٍ
رموكَ من القصر إذ أوثقوك
وسحباً بُجُرُّ بأسواقهم
أتقضي ولم تنكك الباقيات
لئن تقضي نجباً فكم في زرود
وكم طفلةٍ لك قد أعولت
يعززها السبُّ في حجره
فأوجعها قلبها لوعاءةً
تقولُ مضى عمُّ مني أبي
مدمعٌ شـيعتك السـافحة
تحيبك غاديةً رائحة
ثناياك فيها غدت طائحة
فهل سلّمت فيك من جارحة
ألسنت أميرهم البارحة
أمالك في المصر من نائحة
عليك العشيّة من صائحة
وجمرتها في الحشا قادحة
لتغدو في قريبه فارحة
وحسنت بنكبتها القارحة
فمن ليتيمته النائحة⁽¹⁾

(1) الأبيات السبعة الأولى من هذه القصيدة للمرحوم السيد باقر الهندي، والأبيات الأربعة الأخيرة للمرحوم الشيخ قاسم الملا الحلبي. الشهيد مسلم: ص 209.

قال السيد جواد شبر في (أدب الطف) الجزء الثامن ص 224:

السيد باقر ابن السيد محمد ابن السيد هاشم الهندي الموسوي النجفي، عالمٌ فاضلٌ، وأديبٌ شاعرٌ ظريف لطيف حسن الأخلاق حلو المعاشرة له مراثي كثيرة في أهل البيت: لا زالت تُقرأ وتعاد في مجالس العزاء، ويحفظها الجم الكثير من رواد المجالس حتى العوام، وسمعت من علماء النجف الأشرف أنه كان إذا حدّث لا يملّ حديثه، وينظم الشعر باللغتين الفصحى والدارجة.

ولد في النجف الأشرف سنة 1284هـ ونشأ بها، وفي عام 1298هـ سافر بصحبة والده إلى سامراء لتلقي العلم من الإمام الشيرازي ثم رجع مع أبيه سنة 1311هـ وعندما حلّ بسامراء أخذ الفقه والأصول من بعض الأساتذة هناك.

كان شديد الولاء لأهل البيت: عظيم التعلّق بمودّتهم، وقال يمدح الإمام أمير المؤمنين 7 من رائعة تتكون من 90 بيتاً مطلعها:

ليس يدري بكنهه ذاتك ما هو يا بـن عـمّ النـبيّ إلا الله

إلى أن يقول:

قلبت للقلائلين في أنسك الله أفيقوا فالله قد سواؤه
هو مشكاة نوره والتجلّي سرُّ قـدسـي جهلـتـم معناه
قد برأه من نوره قبل خلق ال خلق طـراً وباسمـه سمّاه
وحباه بكلّ فضلٍ عظيم ومقدارٍ ما حباه ابـتلاه

مرض في أواخر شهر ذي الحجّة الحرام من سنة 1328هـ، وانتقل إلى جوار ربّه في أول يوم من المحرم من سنة 1329هـ ودفن بجوار والده في دارهم في النجف الأشرف.

ورثاه شقيقة العلامة الكبير شيخ الأدب السيّد رضا الهندي بقصيدةٍ أوّلها:

ما كان ضرّاً طوارق الحدّثان لو كان قبلك سهماً رماني
يالبيت أخطاك الردي أو أتته لما أصابك لم يكن أخطاني

الشيخ قاسم الملا :

قال الشيخ محمد علي اليعقوبي في ج4 من كتابه (البابليات):

ولد في الحلة سنة 1290هـ كما أخبرني هو بذلك، وهو ثاني أنجال الشيخ محمّد الملا، ولم يبق بعده من أولاده الأربع من ينوب عنه في الحلة أدباً وخطابة سوى صاحب الترجمة فقد كان أشدّهم ملازمة له، وأوفرهم حظوةً لديه.

من اجت عد عمها حميده
تكله يعمي ابوي اريده
يكلها وبگه يصفك بايده
بالكوفه اييك بگه وحيده
گعدت تون وتنه شديده
أشو سفرته صارت بعيده
وأهل الغدر كطعوا وريده
صاحت وتجري الدمع عل خد
يتيممة صرت الله وخذ

من كتاب لإمامنا الحسين (ع) بعثه إلى أهل الكوفة: (إني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل) (1).

بعد أن عرفت في المجلس السابق نسب الشهيد مسلم، ومكانته، وفضله وجهاده تعال معي في هذا المجلس لنقف على قصة إرساله من قبل الإمام الحسين (ع) سفيراً له لأهل الكوفة. لنأخذ الدروس والعبر من هذا السفير الحسيني، والمجاهد العقيلي. وننتفع من تفانيه في سبيل المبدأ والعقيدة.

قال الشيخ المفيد في (الإرشاد): ودعى الإمام الحسين (ع) مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد الله السلولي

وقال السيد جواد شبر في (أدب الطف): الشيخ قاسم من خطباء الحلة ناظماً وناثراً وخطيباً محققاً له شهرته الخطابية، عاش 84 سنة حيث ودع الحياة ليلة الأربعاء رابع ربيع الثاني سنة 1374هـ، وحمل إلى النجف بموكب من الحلبيين، ودفن بوادي السلام، وأقيمت له الفواتح، ورثي بكثير من القصائد.

(1) الإرشاد للشيخ المفيد: ص 204.

وعبد الله وعبد الرحمن ابني شدّاد الأرحبي وأمره بالتقوى، وكتمان أمره، واللفظ، فإن رأى النَّاسَ مجتمعين مستوسقين عَجَّلَ إليه بذلك.

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله (ص) وودّع من أحبّ من أهله واستأجر دليلين من قيس فأقبلا به يتنكبان الطريق فضلاً وأصابهما عطشٌ شديد فعجزا عن السير فأومئا له إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك فسلك مسلم ذلك فنجا ومات الدليلان عطشاً. فكتب مسلم ابن عقيل من الموضع المعروف (بالمضيق) مع قيس ابن مسهر الصيداوي إلى الإمام الحسين (ع): أما بعد فإني أقبلتُ من المدينة مع دليلين فضلاً واشتدّ عليهما العطش فلم يلبثا أن ماتا فلم ننجُ إلاّ بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكانٍ يُدعى المضيق من بطن الخبت وقد تطيّرت (1) من توجّهي هذا فإن رأيت أعفيتني وبعثت غيري والسلام.

والطيرة عادة جاهليّة نهي عنها الإسلام. وملخصها هو أن العربي إذا أراد سفراً يطلق طيراً في الهواء فإذا سار من اليمين إلى اليسار سُمّي البارح، وإذا سار من اليسار إلى اليمين سُمّي السّانح، وأهل الحجاز يتشاءمون بالسّانح، وأهل نجد يتشاءمون بالبارح، وكانت العرب تتشاءم برؤية الأعمور أو الشاة ذات القرن الواحد وما شابه ذلك، فعندما جاء الإسلام حارب هذه العادة أشدّ المحاربة حتى جاء في الحديث: (مَنْ أَرَجَعْتُهُ الطَّيْرَةَ عَنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ) أو الحديث: (فإذا تطيّرت فامض) (2)، ولم يحك الله تعالى التطير إلا عن أعداء الرّسل:

(1) قال الفيومي في (المصباح المنير): الطيرة وزن عنبة وهي التشاؤم. انتهى.

(2) الشهيد مسلم للمحقّق المقرّم: ص 85.

﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيُ مَسِّنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنُنْ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (1).

وإلى هذه العادة أشار الكميت الأسدي في إحدى رواه الخالدة:

ولا أنا ممّن يزجر الطير همّه أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشيةً أمر سليم القرن أم مرّ أعضب⁽²⁾

قال السيد المقرّم: لقد تجلّى ممّا ذكرناه من رفع الطيرة في الشريعة الافتراء على مسلم بن عقيل في كتابه إلى الحسين (ع): إني تطيّرت من وجهتي هذه فإن رأيت أن تعفيني وتبعث غيري، فيكتب إليه الإمام: (أما بعد فقد خشيت ألا يكون الذي حملك على هذا إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له)، فإنّ المتأمل في صك الولاية الذي كتبه سيّد الشهداء لمسلم بن عقيل لا يفوته الإذعان بما يحمّله من الثبات والطمأنينة ورباطة الجأش إنّه لا يهاب الموت، فتلك الجملة التي جاء بها الرواة وسجلها ابن جرير للحطّ من مقام ابن عقيل الرفيع جاءت متفككة الأطراف واضحة الخلل كيف وأهل البيت ومن استضاء بأنوار تعاليمهم لا يعبأون بالطيرة ولا يقيمون لها وزناً، وليس العجب من ابن جرير إذ سجلها ليشوّه بها مقام شهيد الكوفة كما هي

(1) سورة يس: 18 - 19.

(2) يزجر الطير: أي ينهى، وسليم القرن: الذي له قرنان سلمان، والأعضب هو مكسور القرن.

عادته في رجالات هذا البيت ولكنّ العجب كيف خفيت على بعض أهل النظر والتدقيق (1).

ثمّ أقبل مسلم (ع) حتى دخل الكوفة فنزل في دار المختار بن أبي عبيدة، وأقبلت الشيعة تحتلف إليه فكلّما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين (ع) وهم يبكون حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، فكتب مسلم إلى الإمام الحسين (ع) يخبره بذلك ويقول: أما بعد فإنّ الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فإذا وصلك كتابي هذا فالعجل العجل والسلام، وكان هذا الكتاب قبل مقتل مسلم بسبع وعشرين يوماً (2).

ثمّ وصلت أخبار مسلم بن عقيل إلى والي الكوفة آنذاك وهو النعمان ابن بشير الذي كان والياً على الكوفة أيام معاوية فأقرّه يزيد عليها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فإنّ فيها تهلك الرجال وتسفك الدماء، وتغصب الأموال وإني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالظنة ولا التهمة ولكنكم إن أبديتهم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمته بيدي... إلى آخر كلامه.

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني أمية فقال له: إنّه لا يصلح ما ترى أيّها الأمير إلا الغشم، وإنّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين

(1) الشهيد مسلم للمحقّق المقرّم: ص 97 - 98.

(2) المصدر السابق: ص 105 عن تاريخ الطبري.

عدوك رأي المستضعفين. فقال له النعمان: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأعرّين في معصية الله ثمّ نزل، وخرج عبدالله بن مسلم وكتب إلى يزيد كتاباً قال فيه: أما بعد فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين بن علي بن أبي طالب فإن يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف، ثمّ كتب إليه عمارة بن عقبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص مثل ذلك، فلمّا وصلت الكتب إلى يزيد دعى سرجون مولى معاوية فقال له: ما رأيك إنّ حسيناً قد أنفذ إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبيع له وقد بلغني عن النعمان ضعفٌ وقول سيءٍ فمن ترى أن أستعمل على الكوفة فقال له سرجون: رأيت لو يشير لك معاوية حياً ما كنت أخذت برأيه؟ قال: بلى فأخرج سرجون كتاباً كتبه معاوية في حياته ولى فيه عبيدالله بن زياد الكوفة، فقال سرجون ليزيد: ضمّ المصريين - الكوفة والبصرة - إلى عبيدالله فقال يزيد: أفعل ذلك وفعلاً كتب من ساعته كتاباً ولى عبيدالله بن زياد الكوفة أيضاً وهذا نصّ الكتاب:

أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أنّ ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشقّ عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخريزة حتى تقتله أو تنفيه والسلام، فلمّا وصله الكتاب أمر عبيدالله بن زياد بالتجهّز بسرعة وخرج من البصرة بعد أن خلف أخاه عثمان على البصرة وأقبل يسير ومعه شريك ابن عبدالله الأعور الحارثي الهمداني البصري وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة

وعليه عمامة سوداء وهو متلثم والناس قد بلغهم إقبال الحسين (ع) إليهم فهم ينتظرون قدومه فظنوا حين رأوا عبيدالله أنه الحسين (ع) فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم فرأى من تباشرهم بالحسين (ع) ما ساءه فقال مسلم بن عمرو الباهلي - لما أكثروا في ذلك - تأخروا هذا الأمير عبيدالله بن زياد، وسار حتى وافي القصر بالليل ومعه جماعة قد التفوا به لا يشكّون أنه الحسين (ع). فأغلق النعمان بن بشير والي الكوفة عليه الباب وعلى خاصته ثم أخرج رأسه وهو يظن الحسين بالباب فقال: أنشدك بالله إلا تنحيّت والله ما أنا بمسلّم إليك أمانتي ومالي إلى قتالك من حاجة، فقال عبيدالله له: افتح لا فتحت فقد طال ليك فقالوا: هذا ابن مرجانة والذي لا إله غيره ففتح له النعمان ودخل القصر فلما أصبح نادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فخرج وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن أمير المؤمنين يزيد ولّاني مصركم وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم كالوالد البرّ وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي، ثم أخذ الناس أخذاً شديداً.

فلما سمع مسلم بن عقيل (ع) مجيء عبيدالله إلى الكوفة ومقاتته التي قالها خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة فدخلها، وأخذت الشيعة تأتي إليه في دار هاني على تسرّ واستخفاء من عبيدالله بن زياد (1).

(1) الإرشاد للشيخ المفيد: ص 206 - 207.

وفي بيت الرّعيم المجاهد هاني بن عروة وقعت حادثة مهمّة سيبقى التاريخ يذكرها بغمّ عاطر وهي: أن شريك بن عبدالله الحارثي جاء مع ابن زياد من البصرة إلى الكوفة ونزل دار هاني بن عروة، فعندما جاء مسلم (ع) ونزل معه قال شريك لمسلم (وكان شريك مريضاً آنذاك): سيأتيني ابن زياد عائداً فخذ السيف وادخل المخدع فإذا استقرّ به الجلوس اخرج إليه واقتله، والعلامة بيني وبينك هي أن أرفع عمّامتي وأضعها على الأرض. وفعلاً قام مسلم (ع) ودخل وحضر ابن زياد فعندما استقرّ به الجلوس أخذ شريك عمّامته من على رأسه ووضعها على الأرض ثمّ وضعها على رأسه فعل ذلك مراراً ومسلم لم يخرج فنادى بصوتٍ عالٍ يُسمع مسلماً:

ما الانتظارُ بسلمي لا تحيوها حيّوا سليمي وحيّوا من يحييها
 هل شربة عذبة أسقى على ظمياً ولو تلفتُ وكانت منيتي فيها
 فلو أحسّست سليمي منك داهيةً فلسّت تأمّن يوماً من دواهيها

وما زال يكررها ثمّ صاح بصوتٍ رفيع اسقونيها ولو كان فيها حتفي، فالتفت عبيدالله إلى هاني وقال: ابن عمّك يخلط في علته فقال هاني: إنّ شريكاً يهجر منذ وقع في علته وإنه يتكلّم بما لا يعلم، فلمّا ذهب ابن زياد وخرج مسلم قال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: منعتني شيثان:

الأول: حديث سمعته عن عمّي أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص): (إنّ الإيمانَ قيدُ الفتك فلا يفتك مؤمن).
 والثاني: منعتني امرأة هاني وأقسمت عليّ بالله أن لا أفعل هذا في

دارها وبكت في وجهي فقال هاني: ياويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرّت منه وقعت فيه (1).
ولكنّ السبب المخفي في عدم فتك مسلم بابن زياد هو أنّ مسلم(ع) كان سفيراً للإمام الحسين(ع) وهذا اللون من القتل - ولو لعدوّ فاجرٍ فاسق - لا يناسب المنصب الذي شرفه به الإمام(ع) يقول السيد المقرّم في ذلك:
فمسلم(ع) كبقية رجالات أهل هذا البيت الرفيع أراد بفعله هذا وبقية أعماله أن يفيض على الأمة دروساً أخلاقية لا تعدوه الأمة في التجنّب عن رذيلة الفتك والغدر فتستفيد به كما استفادت من كلّ فرد من شهداء الطفّ إباء ونخوة وحمية (2).

و لما خفي على ابن زياد مكان مسلم بن عقيل دعا رجلاً اسمه (معقل) وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وأمره أن يلقي الشيعة ويعرفهم إنه من أهل الشام وقد أنعم الله عليه بحبّ أهل البيت، وبلغه قدوم رجلٍ منهم يدعو للإمام الحسين وعنده مال يريد أن يوصله إليه.

و فعلاً جاء (معقل) ودخل الجامع الأعظم ورأى مسلم بن عوسجة الأسدي يصليّ وسمع الناس يقولون هذا يبائع للحسين اجتمع به وأوقفه على ما عنده فدعا له مسلم بن عوسجة بالخير والتوفيق وأخذ منه البيعة والمواثيق على الكتمان حتى لا يصل الخبر لابن زياد ثمّ أدخله على مسلم ابن عقيل في دار هاني بن عروة وسلّم المال إلى أبي ثمامة الصائدي وكان

(1) الشهيد مسلم للمحقّق المقرّم: ص 138 - 139.

(2) المصدر السابق: ص 141.

قد عيّنه مسلم لقبض الأموال ليشتري بها السلاح، فبقي معقل يراقبهم وينقل الأخبار إلى ابن زياد عند المساء. و لما عرف ابن زياد ان مسلم محتبى في دار هاني دعا أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج الزبيدي وسألهم عن سبب انقطاع هاني بن عروة عنه فقالوا: المرض يمنعه فلم يقتنع ابن زياد فركب هؤلاء الثلاثة وسألوه المصير إلى ابن زياد وألحوا عليه فجاء معهم و لما دخل على ابن زياد قال:

(أتتك بخائنٍ رجلاه) والتفت إلى شريح القاضي وقال:

أريدُ حبَاءه ويريدُ قتلِي عذيرك من خليلك من مرادٍ

ثمّ التفت إلى هاني قائلاً: أتيت بـابن عقيل إلى دارك وجمعت له السلاح فأنكر هاني ذلك فلما كثر الجدل دعا ابن زياد ذلك الجاسوس (معقل) ففهم هاني أنّ الخبر أتاه من جهته فقال هاني: لم أدعه إلى منزلي وإنما استجار بي وإذا أذنت لي أخرجته من داري فأبى ابن زياد أن يطلق سراحه إلا أن يأتيه بمسلم، هنا صرّح هاني ابن عروة بعقيدته فقال: إنّ مسلم بن عقيل أحقُّ منك بالأمر وأنا سأقوم بحمايتك مع أهل بيتك حتى تخرجوا إلى الشام سالمين لأنّ مسلم أولى بالقيام على أمر الأمة وإدارة شؤونها، فغضب ابن زياد من كلام هاني وألح عليه بالإتيان بـابن عقيل فأفهمه هاني بأنّ هذا محالٌ عليه ويأباه دينه وعقيدته وقال: لو كان ابن عقيل تحت قدمي لما رفعتهما عنه، فأغلظ له ابن زياد في القول وتهدده بالقتل فتعجّب هاني من جرأته وهو واحد ويتبع ابن عروة ثلاثون ألفاً

من الرجال الأشداء فاستدناه ابن زياد وضربه على وجهه حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه وسال الدم على لحيته وهاني يستغيث فلا يُعَاثُ ثم أمر به ابن زياد إلى الحبس (1) وعندما علم مسلم بن عقيل (ع) بذلك عجل الخروج لعله يستطيع أن ينقذ حياة هاني بن عروة. فنادى المنادي بكلمة السر وهي (يامنصورُ أمتُ) (2) فخرج الكوفيتون وأحاطوا بقصر الإمارة وضاق الخناق على ابن زياد فلم يكن أمامه من حيلة سوى إرعاب الناس بالقتل وترغيبهم بالمال، وفعلاً نزل جماعة من أعوان الشيطان منهم محمد بن الأشعث وحجار بن أبجر وشمير بن ذي الجوشن يمتنهم العطاء مع الطاعة، ويهددوهم بجند الشام الموهوم، ثم أشرف على الناس من أعلى القصر كثير بن شهاب حين كادت الشمس أن تغرب وقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم لا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت وقد أعطى الأمير عهداً لئن بقيتم على حربكم ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي الشام، وأن يأخذ البريء بالسقيم والغائب بالشاهد حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا ذاق وبال ما جنت يده، وأمثال هذه الكلمات والألفاظ.

فأخذ الأخ يخذل أخاه، والمرأة تتعلّق بزوجها حتى يرجع، والآباء يمنعون أبناءهم عن الجهاد ويحبّون لهم العافية فتفرّق ذلك الجمع عن مسلم (ع) حتى لم يبق

(1) الشهيد مسلم للمحقّق المقرّم: ص 150 - 152 بتصرّف.

(2) منصور هو اسم رئيس الملائكة الذين نزلوا لنصرة النبي (ص) يوم بدر، وكان شعار المسلمين آنذاك يامنصور أمت. (من الحاشية)

معه إلا ثلاثمائة رجل، صَلَّى العشاء في المسجد ومعه ثلاثون رجلاً (1) وخرج (ع) من المسجد وغاب في أزقة الكوفة لا يدري أين وكيف سينتهي به الحال حتى وصل إلى باب دار وامرأة واقفة سلم عليها وطلب منها الماء فسقته فجلس على الباب قالت له: ألم تشرب الماء؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك بارك الله فيك فسكت فأعدت عليه مثل ذلك فسكت فقالت له: سبحان الله يا عبد الله قم عافاك الله إلى أهلك لا يصلح لك الجلوس على باب داري ولا أحله لك فقام وقال: يا أمة الله مالي في هذا المصر أهل ولا عشيرة فهل لك في أجرٍ ومعروفٍ ولعلي مكافئك بعد اليوم قالت: يا عبد الله وما ذلك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبي هؤلاء القوم وغروني قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم. قالت: ادخل فدخل دارها:

اجت ليه العفيفة واسكته الماي وكالت گوم شنهي گعدتك هاي
لا تكعد يروحي وماي عيناى گوم وروح لهلك چاهلك وين

ون ونه يتكطع منها الفواد يهل حرّه هلي ما هم بالبلاد
غريب الدار وهلي عني بعاد وين أهلي هلي ما هم قريبين

نادت يابعد عگلي والأنفاس كأنك هاشمي مومن عرض ناس
هله وكل الهله عل عين والراس إلك منزل يمسلم بين هل عين

(1) الشهيد مسلم: ص 155 - 156.

أنا مسلم وعندك ضيف هليل فرحت طوعة ومنها الدّمع هليل
على رحب وسعة والوجه هلّل بسرور تفضّل ومّنّه عليّه

دخل دارها أفردت له حجرة عرضت عليه الطعام فلم يأكل، فما زال صافاً قدميه للصلاة حتى عاد ولدها بلال
رأها تكثر الدخول والخروج فسألها فقالت بني إله عن هذا ألحّ عليها قالت فلا تخبر أحداً من الناس بشيءٍ ممّا أخبرك
به؟ قال: نعم أخذت عليه الأيمان فحلف لها فأخبرته ولكن ما أصبح الصباح حتى ذهب إلى ابن زياد وأخبره الخبر.
أما مسلم(ع) عندما جاءته طوعة ورأت الطعام على حاله قالت: سيدي ما أراك أكلت قليلاً ولا نمت قليلاً قال:
بلى هومت عيناى فرأيت عمي أمير المؤمنين في الرؤيا وهو يقول: ولدي مسلم إنك عن قريب صائرٌ إلينا فبينا هي
تحدثه وإذا بوقع الخيل وإذا هو محمّد بن الأشعث ومعه خمسمائة فارس فقام مسلم وشدّ وسطه بمنطقه وحمل سيفه
وتدرّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يرتجز:

أقسمتُ لا أقتلُ إلا حُرّاً وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا
أخافُ أن أُخدعُ أو أُغرّاً كلّ امرئٍ يوماً ملاقٍ شرّاً

قاتلهم قتال الشجعان فقتل منهم مقتلةً عظيمةً فأخذوا يشعلون النار بالقصب ويرمونها عليه، ويرضحونه بالحجارة
فلم ينفع حتى حفروا له حفيرةً وغطّوها بالتراب إنهمزوا من بين يديه فسقط في الحفيرة فاجتمعوا عليه وأخرجوه فضربه
محمّد بن الأشعث على فمه فسالت دماؤه على لحيته الكريمة وأخذوا سيفه

فبكى فقال له ابن الأشعث: إنَّ الذي يطلُّبُ مثلَ ما تطلُّبُ إذا نزل به الذي نزل بك لا يبكي عندها قال: والله ما على نفسي بكيت ولكن أبكي لأهلي المقبلين أبكي لحسين وآل حسين.

جاءوا به إلى قصر الامارة وأدخلوه على ابن زياد دار بينهما كلام فشمَّ اللعينُ أميرَ المؤمنين (ع) والإمام الحسن والحسين وعقيل حتى أمر أن يُصعد إلى أعلى القصر وتُضرب عنقهُ وفعلاً ضربه الغلام فقتله ومضى إلى ربِّه مظلوماً شهيداً غريباً ورميت جثته من أعلى القصر إلى الأرض ثم أخرجوا هاني ابن عروة وهو ينادي وامدحجاه ولا مدحج لي اليوم حتى ضُربت عنقهُ وربطوا برجليهما الحبال وسحبوهما في الأسواق:

فإن كنت لاتدرين ماالموت فانظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل
إلى بطلٍ قد هتَّمَ السيفُ وجهَهُ وآخَرَ يَهْوِي من طمارٍ قتيل
أصابهما أمرُ اللعينِ فأصبحا أحاديثٌ من يسري بكلِّ سبيل

* * *

عاده اليسـتجير يكون ينجار وعن قتله حليف الشرف ينجار
مثل مسلم صدگ بالجل ينجار وتتنومس بقتله أزدال اميه
و لما سمع الإمام الحسين (ع) بمصرع مسلم وذلك عندما وصل إلى منطقة تُعرف بـ (زرود) كأني بالإمام (ع) قام يتخطى الأطفال حتى وقف على حميدة بنت الشهيد مسلم فأخذ يمسح على رأسها ودموعه جارية فأحست الطفلة فقالت: ياخال ياأبا عبدالله هل أصيب أبي بشيء؟ قال لاعليك أنا أبوك وهذه النسوة أخواتك ولسان الحال:

كَلْبِي كَسَّرْتَهُ يَا غَرِيبَ الْغَاضِرِيَّةِ مِثْلَ الْيَتَامَى تَمْسُحُ بِكَفِّكَ عَلَيْهِ

تَمْسُحُ عَلَيَّ رَأْسِي وَدَمْعَ الْعَيْنِ هَمَّالٍ كَأَنِّي يَتِيمَةٌ الْكَافِيَّ اللَّهُ مِنْ هَلْ أَحْوَالٍ
مَاعُودَتِي بِهَلْ فَعَلٌ مِنْ كَبَلٍ يَا خَالَ خَلَّيْتُ عِبْرَاتِي عَلَيَّ خُدُودِي جَرِيَّتِهِ

بِمَسْحِكَ عَلَيَّ رَأْسِي تَرَكْتَ الْكَلْبَ ذَائِبٍ وَهَذَا يَخَالِي مِنْ عِلَامَاتِ الْمَصَائِبِ
كَلْبِي تَرَوِّعُ حَيْثُ أَبُوِي بِسَفَرِ غَايِبٍ طَوَّلَ الْغَيْبِ يَعُودُهُ اللَّهُ بِعَجَلٍ لَيْتِهِ

جَانِي الْخَيْرِ عَنْ حَالِ مُسْلِمٍ يَا حَزِينِهِ يَكُولُونَ مِنْ قِصْرِ الْإِمَارَةِ ذَائِبِينَهِ
وَبِالْحَبْلِ فِي الْأَسْوَاقِ جَسْمَهُ سَاحِبِينَهِ وَرَأْسَهُ يُوِيلِي رَاحَ لِلطَّاعِي هَدِيدِهِ

صَرَخْتَ الطِّفْلَةَ وَالِدَمْعَ بِخُدُودِهَا يَسِيحُ وَتَكُومُ مَذْعُورَهُ وَعَلَى وَجْهِ الثَّرَى تَطِيحُ
تَلَطَّمُ عَلَيَّ الْهَامَةَ بَعِشْرَهَا وَنُوبٍ تَصِيحُ فَكَدَّ الْأَبُويَانَا مِنْ أَعْظَمِ كُلِّ رَزِيهِ

لَمْ يَكْهَهَا عَدَمُ الْوَثُوقِ بَعَثَهَا كَلًّا وَلَا الْوَجْدُ الْمَبْرُحُ فِيهَا
لَكِنَّهَا تَبْكِي مَخَافَةَ أَنَّهَا تُسَمِّي يَتِيمَةً عَمَّهَا وَأَيُّهَا

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

فضل أصحاب الإمام الحسين (ع)

كيف تهنيني الحياةً وقلبي بعد قتلى الطّفوفِ دام الجراح
 بأبي مَنْ شَرَوْا لِقَاءَ حَسَنِ بفراقِ التّفوسِ والأرواح
 وقفوا يَـدْرؤُونَ سُمَرَ العوالي عنه والتّـبيلَ وقفّةَ الأشباح
 فوقوهُ بيضَ الطُّبى بالنُّحورِ البـ ييضُ والتّـبيلَ بالوجوهِ الصّباح
 فئّةٌ إن تعاورَ التّقُعُ ليلاً أطلعوا في سماه شُهبَ الرّماح
 وإذا غنّتِ السـيوفُ وطافت أكؤسُ الموتِ وانتشى كلُّ صاح
 باعدوا بين قـريهم والمواظي وجسـوم الأعـداء والأرواح
 أدركوا بالحسين أكبرَ عيدٍ فعدّوا في منى الطّفوفِ أضحاح
 لستُ أنسى من بعدهم طودَ عِرِّ وأعاديه مثلُ سـيلِ البِطاح (1)

گضوا حق العليهم دون الخيام ولا خلّوا خوات حسين تنضمام
 لماطاحوا تفايض منهم الهام تهاووا مثل مهوى النّجم من خر

هـذا الرّمح بفـواده تتنّه وهـذا بيـه للنشّاب رنّه
 وهـذا الخيل صدره رضرضنه وهـذا وذاك بالهندي مودّر

(1) هذه الأبيات من قصيدة عصماء للمرحوم السيد جعفر الحلبي (ره)، ومّرت ترجمته في ص 43.

ركب غوجه وتعتنه حسين ليها لگاهها بس جثث ومسليها
صبّ الدّمع وتحسّر عليها وگال احتسب عند الله وأصبر

* * *

من خطبة لأبي عبد الله الحسين (ع) قال: أمّا بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيراً (1).
بهذه الكلمة الذهبية الخالدة، وبهذا المدح المُركّز والتوثيق الذي لم يسبقه مثيل يُعرّف الإمام الحسين (ع) أصحابه وأهل بيته الأوفياء.

قوله (ع): (لا أعلم أصحاباً أوفى.. الخ) يعني أنّ الإمام (ع) وهو الحجّة المعصوم الوارث لعلوم جدّه وأبيه وجميع الأنبياء الذين كان علمهم بتوسّط الوحي والإلهام الإلهي لا بتعليم معلّم أو تفهيم مفهّم يقول لا أعلم أنّ هناك أصحاباً في كلّ زمان ومكان، وفي كلّ عصر ومصر أولى من أصحابي ولا أبرّ وأوفى ولا أوصل منهم، فصار أصحابه (ع) أفضل من أصحاب كلّ نبيّ ووصيّ.

ولكنّ الأفضليّة هنا هي بمقابلة المجموع بالمجموع لا بمقابلة الواحد بالواحد بمعنى أنّ مجموع أصحاب الإمام الحسين (ع) أفضل من مجموع أصحاب رسول الله أو أمير المؤمنين (صلى الله عليهما وآلهما)، لا بمعنى أنّ كلّ واحد من أصحاب الإمام الحسين (ع) أفضل من كلّ واحد من أصحاب رسول الله (ص) فإنّ من أصحاب رسول الله (ص) سلمان وأبذر وهما في

(1) إِبصار العين في أنصار الحسين (ع) للمرحوم الشيخ محمد السماوي: ص 9.

الإيمان والقرب بحيث يصعب أن يُقاس بهم واحد من أتباع الأنبياء والأوصياء، وإنّ في أصحاب أمير المؤمنين (ع) مالك الأشر وهو الآخر يصعب أن يُدان به أحد من أصحاب الأنبياء والأوصياء وهكذا.
روى الشيخ الصدوق؛ في (علل الشرائع) عن ميثم التمار: أنّ الحسين ابن علي (ع) سيّد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء درجة (1).

وروى الشيخ ابن قولويه؛ في (كامل الزيارات) عن أمير المؤمنين (ع) أنّه مرّ بكربلاء فطاف بها على بغلته فأنشأ يقول: (مناخ ركاب ومصارع الشهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من أتى بعدهم) (2).
ويقول المرحوم الشيخ جعفر الشوشتری: لقد تأملت فرأيت أنّ أفضليّة شهداء كربلاء على سائر الشهداء ليس أمراً اعتباطياً، وحياتهم على هذه الدرجات العالية ليس اعتباطياً بل يعود إلى كمالهم في العبودية لله بحيث أنّهم الأكمل في جميع المراتب، فهم سادة الموحّدين، وسادة المتقيّين، وسادة المصلّين والصائمين والمزكّين والمخمّسين وسادة المضحّين في سبيل الله تعالى (3).

تَرى لَهُمْ عِنْدَ القِرَاعِ تَباشِراً كَأَنَّ لَهُم يَوْمَ الكَرِهُةِ عَيْدُ
فَمَا وَهَنُوا عَن نَصْرَةِ الدِّينِ وَالهُدَى إِلَى أَنْ تَفْانِي جَمْعُهُمْ وَأَيُّدُوا

(1) علل الشرائع: ج 1 ص 227 ح 12.

(2) كامل الزيارات: ص 270 ح 12.

(3) فوائد المشاهد: ص 393.

ويقول المرحوم الشيخ عباس القمّي في (نفس المهموم): أصحاب الإمام الحسين رضوان الله تعالى عليهم هم سادات الشهداء يوم القيامة والراضون عن الله تعالى وهو راضٍ عنهم، وأخبر النبي (ص) عنهم في أخباره بشهادة الحسين (ع) بقوله: وهو يومئذٍ في عصبةٍ كأهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحلهم وتربتهم (1).

فما أحقهم بوصفٍ من قال:

لله قوّمٌ إذا ما الليلُ جَنَّهُمُ	قاموا من الفرشِ للرّحمِ عبّادا
ويركبون مطايا لا تملُّهُمُ	إذا هُمُ بمنادي الصبحِ قد نادى
هُمُ إذا ما بياضُ الصبحِ لاح لهم	قالوا من الشوقِ ليلتَ الليلَ قد عادا
هُمُ المطيعون في الدّنيا لسَيِّدهم	وفي القيامةِ سادوا كلَّ من سادى
الأرضُ تبكي عليهم حين نفقدهم	لأنّهم جعلوا للأرضِ أوتادا (2)

تعال وأنظر إلى تفانيهم في نصره الدين والهدى، فهذا سعيد بن عبد الله الحنفي قام حين جمعهم الإمام الحسين (ع) ليلة العاشر وأذن لهم بالانصراف وقال لهم: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، قام سعيد فقال: والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا نبيّه محمداً (ص) فيك، والله لو علمت أني أقتلُ ثم أحيى ثم أُحرق حياً ثم أذرّ يُفعل بي ذلك سبعين مرّة ما

(1) نفس المهموم: ص 626 - 627.

(2) نفس المهموم: ص 630.

فارتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً، وفعلاً وفي سعيد بما قال وضمّ إلى قوله فعلاً أكسبه الثناء في الدنيا، وأحسن الجزاء في الآخرة، وذلك أنه لما صلى الإمام الحسين(ع) الظهر صلاة الخوف، اقتتلوا بعد الظهر واشتدّ القتال ولما قرب الأعداء من الحسين وهو قائم بمكانه تقدّم سعيد الحنفي أمام الحسين(ع) وصار هدفاً لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً وهو قائم بين يدي الإمام(ع) يقيه السهام طوراً بوجهه وطوراً بصدره وطوراً بيديه وطوراً بجنبه فلم يصل إلى الإمام(ع) شيء من ذلك حتى سقط سعيد الحنفي إلى الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعنّ عادٍ وثمود، اللهم ابلغ نبيك عتي السلام وابلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت ثوابك في نصره نبيك، ثم التفت إلى الإمام الحسين(ع) فقال: أوفيت يا ابن رسول الله قال: (نعم أنت أمامي في الجنة)، ثم فاضت نفسه النفيسة (1).

وهذا جون مولى أبي ذر الغفاري وقف أمام الإمام الحسين(ع) يستأذنه في القتال فقال له الإمام(ع): (يا جون أنت في إذنٍ مني فإنا تبعنا طلباً للعافية فلا تبطل بطريقتن)، فوقع جون على قدمي أبي عبدالله يقبلهما ويقول: يا ابن رسول الله(ص) أنا في الرخاء أحسن قصاعكم وفي الشدة أخطر لكم إن رجي لنتن، وحسي للئيم، ولوني لأسود فتنفس علي في الجنة ليطيب ريحي، ويشرف حسي، ويبيض لوني، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، فأذن له الإمام الحسين(ع) فبرز وهو يقول:

(1) إِبصار العين: ص126.

كيف ترى الفجّار ضرب الأسود بالمشرفي والقنا المسدد

يدب عن آل النبي أحمد

ثمّ قاتل حتى قُتل، وقيل أنّه قتل خمساً وعشرين رجلاً، فوقف عليه الإمام الحسين (ع) وقال: (اللهم بيض وجهه، وطيب ريحُه، واحشره مع الأبرار وعرف بينه وبين محمد وآل محمد (ص))، وروي عن الإمام الباقر (ع) عن أبيه زين العابدين (ع) أنّ بني أسد الذين حضروا المعركة ليدفنوا القتلى وجدوا جوناً بعد أيّام (من شهادته) تفوح منه رائحة المسك، وفي ذلك يقول المرحوم الشيخ محمد السماوي:

خليلي ماذا في ثرى الطفّ فانظراً أجونهُ طيب تبعثُ المسك أم جونُ

ومن ذا الذي يدعو الحسين لأجله أذكك جونُ أم قرابتُهُ عونُ

لئن كان عبداً قبلها فلقد زكا النجار⁽¹⁾ وطاب الرّيح وازدهر اللون⁽²⁾

وهذا بُرير بن خضير الهمداني الذي كان شيخاً ناسكاً قارئاً للقرآن من شيوخ القراء في الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وعندما خطب الإمام الحسين (ع) أصحابه حيث قال: (ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُنْهَى عنه... الخ) قام إليه أصحابه الكرام وأجابوه بما اقتضى خالص الدّين ثمّ قام برير بن خضير وقال: واللّه يا ابن رسول الله (ص) لقد

(1) قال في المصباح المنير: النجار بالكسر: الأصل والحسب.

(2) إِبصار العين: ص 105.

من الله بك علينا ان نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا حتى يكون جدك يوم القيامة بين أيدينا شفيحاً لنا، فلا أفلح قومٌ ضيَعوا ابن بنت نبيهم، وويلٌ لهم ماذا يلقون به الله، وأُف لهم يوم ينادون بالويل والثبور في نار جهنم.

وروى أبو مخنف عن عفيف بن زهير قال: خرج يزيد بن معقل فقال يا برير بن خضير كيف ترى صنع الله بك؟ - وكان هذا بعد أن خطبهم برير ووعظهم - قال: صنع والله بي خيراً وصنع بك شراً فقال: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذاباً، أتذكر وأنا أماشيك في سكة بني دودان وأنت تقول: إن عثمان كان كذا، وإن معاوية ضالّ مضلّ، وإن عليّ بن أبي طالب إمام الحق والهدى قال برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي، فقال يزيد: فإني أشهد أنّك من الضالين، قال برير: فهل لك أن أباهلك؟ ولندعُ الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقّ المبطل، ثمّ قال: اخرج لأبارزك، قال: فخرجاً فرفعا أيديهما بالمباهلة إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحقّ المبطل، ثمّ برز كل واحدٍ منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بريراً ضربةً خفيفة لم تضره شيئاً وضرب برير يزيد ضربةً قدّت المغفر وبلغت الدماغ فخرّ كأنما هوى من حالق وإنّ سيف برير لثابتٌ في رأسه حتى أخرجه وهو يقول:

أنا بريـــــــــــــــــرُ وأبي خضـــــــــــــــــيرُ وكلُّ خـــــــــــــــــيرٍ فله بريـــــــــــــــــرُ

ثمّ طلب المبارزة من القوم فحمل عليه رضي بن منقذ العبدي فاعتنق بريراً فاعتركا ساعة ثمّ أنّ بريراً صرعه وجلس

على صدره فجعل رضي بن منقذ يصيح بأصحابه أين أهل المصاع (1) والدفاع، فذهب كعب بن جابر الأزدي

(1) أهل المصاع: أهل القتال.

ليحمل عليه فقال له عفيف بن زهير: انّ هذا برير بن خضير القاريء الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد؟ فلم يلتفت وحمل عليه بالرّمح حتى طعنه في ظهره، فلمّا وجد برير مسّ الرّمح بركّ على رضي فعضّ أنفه حتى قطعه، وأنفذ الطعنة كعب حتى ألقاه عنه وقد غيّب الرّمح في ظهره ثمّ أقبل يضربه بسيفه حتى مات شهيداً رضوان الله تعالى عليه، فلمّا رجع كعب بن جابر قالت له أخته النّوّار: أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيّد القُرّاء؟! لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً⁽¹⁾.

وهذا مسلم بن عوسجة الأسدي كان رجلاً شريفاً سرياً عابداً متنسكاً قال ابن سعد في الطبقات: وكان صحابياً ممّن رأى رسول الله(ص) وروى عنه الشعبي، وكان فارساً شجاعاً له ذكرٌ في المغازي والفتوح الإسلامية⁽²⁾.
روى أبو مخنف عن الضحّاك بن عبد الله الهمداني أنّ الحسين(ع) خطب أصحابه فقال في خطبته: (إنّ القوم يطلبوني ولو أصابوني هوا عن طلب غيري وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ثمّ ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي) فقام له أهله وتقدّمهم العباس بالكلام لمّ نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً ثمّ قام مسلم بن عوسجة فقال: أنحن نخلي عنك ولمّ نُعذر إلى الله في أداء حقك أم والله لا أبرح حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولا أفارقك، ولو لم

(1) إِبصار العين: ص72 - 73.

(2) إِبصار العين: ص61.

يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك، قال أبو مخنف: ولما التحم القتال حملت ميمنة ابن سعد على ميسرة الحسين (ع) وفي ميمنة ابن سعد عمرو بن الحجاج الزبيدي وفي ميسرة الحسين (ع) زهير بن القين وكانت حملتهم من نحو الفرات فاضطربوا ساعة وكان مسلم بن عوسجة في الميسرة فقاتل قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله فكان يحمل على القوم وسيفه مصلت يمينه فيقول:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فإِني ذُو لُبِّدٍ وَإِنْ يَبِيَّتِي فِي ذُرَى بَنِي أَسَدٍ
فَمَنْ بَغَانِي حَائِدٌ عَنِ الرَّشَدِ وَكَافِرٌ بَعْدَ بَيْنِ جَبَّارٍ صَمَدٍ

فلم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى عطف عليه مسلم بن عبدالله الضبائي وعبدالرحمن بن أبي حكاره البجلي فاشتركا في قتله، فما أنجلت الغبرة إذا هم بمسلم بن عوسجة صريعاً فمشى إليه الحسين (ع) فإذا به رمق فقال له: رحمك الله يامسلم (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ثم دنا منه فقال له حبيب عز علي مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة فقال له مسلم بصوت ضعيف: بشرك الله بخير فقال حبيب: لولا أعلم أني في الأثر لاحتق بك من ساعتى هذه لأحببت أن توصي إلي بكل ما أمرك، قال بلى أوصيك بهذا رحمك الله (وأومى بيديه إلى الحسين (ع)) أن تموت دونه فقال حبيب: أفعل ورب الكعبة (1):

(1) إِبْصَارُ الْعَيْنِ: ص 59.

وصلت يا بن ظاهر منيتي ما اوصيك بعيالي وبيتي
وان كان نيتك مثل نيتي أريدك تجاهد سويتي

بالحسين واولاده وصيتي

يهل تعرف عظم شاني وصيتي هتاني مولجل اهلي وصيتي
بيو السجاد وعياله وصيتي واريدك تحفظ حقوق الوصيّة

نصروه أحياءاً وعند مماتهم يوصي بنصرته الشفيق شفيقا
أوصى ابن عوسجة حبيب قائلاً قاتلهم حتى الحمام تذوقا

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

مواقف أنصار الإمام الحسين (ع)

أرى العمرَ في صرفِ الزّمانِ بييدُ ويذهبُ لكن ما نراهُ يعودُ
فكن رجلاً إن تُنضَ أثوابُ عيشه رثاءاً فثوبُ الفخرِ منه جديدُ
وإيّاكَ أن تشري الحياةَ بذلّةِ هي الموتُ والموتُ المريحُ وجودُ
وغيرُ فقيديٍّ مَن يموتُ بعزّةِ وكلُّ فتىٍّ بالذلِّ عاش فقيدُ
لذاك نضى ثوبَ الحياةِ ابنُ فاطمِ وخاضَ عبابَ الموتِ وهو فريدُ
ولاقي خميساً⁽¹⁾ يملأُ الأرضَ زحفُهُ بعزمٍ له السبعُ الطّباقُ تميّدُ
وليس له من ناصرٍ غيرُ تيّفِ وسبعينَ ليثاً ما هناك مزيدُ
سقطت وأنايبُ الرّماحِ كأثما أجام⁽²⁾ وهم تحت الرّماحِ أسودُ
وما برحوا عن نصره الدّين والهدى إلى أن تفاني جمعُهُم وأبيدوا⁽³⁾

قال الشيخ محمد علي اليعقوبي في الجزء الأول من كتابه (البابليات):

ولد في النجف الأشرف عام 1141هـ ونشأ فيها، وأخذ العلم عن علمائها يومئذٍ حتى ذاع صيته واشتهر ذكره بعلمي الأديان والأبدان، وبعد استكمال الفضيلة غادر النجف إلى الحلة وسكنها سنة 1175هـ فكان أشهر أعلامها علماً وأدباً وتقوى وكرماً.

(1) الخميس: هو الجيش لأنه خمسُ فرق وهي المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والسّاقة.

(2) أجام: هو الحصن، ومعنى البيت هو أن الرماح لكثرتها صارت كأنّها حصن وهم تحت هذا الحصن كالأسود.

(3) القصيدة من نظم المرحوم السيد سلمان بن السيد داود الحلبي (رحمهما الله تعالى) الدرّ النضيد: ص 135.

قال الشيخ محمد علي اليعقوبي في الجزء الأول من كتابه (البابليات):

ولد في النجف الأشرف عام 1141هـ ونشأ فيها، وأخذ العلم عن علمائها يومئذٍ حتى ذاع صيته واشتهر ذكره بعلمي الأديان والأبدان، وبعد استكمال الفضيلة غادر النجف إلى الحلة وسكنها سنة 1175هـ فكان أشهر أعلامها علماً وأدباً وتقوى وكرماً.

بالطف من لهيب الشمس والحر ذاب اوسال دم العبد والحر
وهلال وحييب الليث والحر هوو مثل النجوم اعلاه الوطييه

(من زيارة وارث الشريفة: السلام عليكم يا أنصار أبي عبدالله بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم
وأنتم فوزاً عظيماً فياليتني كنتُ معكم فأفوز معكم) (1).

هذه الكلمات الخالدة السامية، ذات المعاني الطيبة العالية هي من

وكان متعدّد المواهب والملكات إضافة إلى الشّعْر منها جمال الخط وسرعته حتى أنه كتب كتاب (فرحة الغري) لابن طاووس في يوم واحد، ومنها
الطب حتى لقب بالحكيم وذلك لاشتهاره فيه، واتقانه له، حتى أنه ألّف في علم الطب، كما كان سريع البديهة حاضرَ الجواب، وهو جدّ الأسرة
الجلية المعروفة بآل السيد سليمان، وقد نبغ منهم عددٌ ليس بالقليل في الفضل والأدب ومن مشاهيرهم ولده السيد حسين، وحفيده السيد
مهدي والسيد سليمان وولده السيد حيدر الشاعر الشّهير وغيرهم.

توفي يوم الأحد ال 24 من جمادي الثانية سنة 1211هـ بالسكنة القليية، وحمل جثمانه إلى النجف الأشرف في موكبٍ مهيب مشى فيه مئات
الرجال من أشرف الحلة، وصلّى عليه إمام الطائفة يومئذ السيد مهدي بحر العلوم، ودفن عند إيوان العلماء مقابل مسجد عمران، وكان لنعيمه
صدى في الأوساط العلمية والأدبية وراثه عامة أدباء النجف والحلة منهم العلامة الشهير الشيخ محمد علي الأعسم بقصيدتين مطلع الأولى:

خطوبٌ دهنني أضرمت نازَ أشجاني وأغررت بإرسال المدامع أجفاني

ويقول في آخرها مؤرخاً عام وفاته:

وإذ غطّلت منه المدارسُ أرحوا وتعطّل درسُ العلم بعهد سليمان

1211

(1) المصباح للكفعمي: ص 503.

انشاء الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع)، ومعلوم أنّ الإمام (ع) ما زار أصحاب جدّه الإمام الحسين (ع) بهذه الزيارة - ويعلم الله تعالى ماذا يقول الإمام الصادق (ع) لو أراد الوقوف على شهداء الطف وزيارتهم - ولكنّه علّم واحداً من أصحابه وهو صفوان الجمال رضي الله عنه تعالى هذه الزيارة الشريفة، ومن هنا يندفع الإشكال القائل كيف يفدّي الإمام المعصوم أصحاب جدّه الحسين (ع) بأبيه الإمام المعصوم خامس أئمة الحق والخلق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر (ع).

قال المحقق المقرّم (ره): إنّ الإمام (ع) لم يكن هو المخاطب لهم - أي الأصحاب - وأما هو (ع) في مقام تعليم صفوان الجمال عند زيارتهم أن يخاطبهم بذلك فإنّ الرواية تنصّ كما في (مصباح المتهدّد) للمرحوم الشيخ الطوسي أنّ صفوان استأذن الإمام الصادق (ع) في زيارة الحسين (ع) وأن يُعرّفه ما يقوله ويعمل عليه فقال له: (يا صفوان صم قبل خروجك ثلاثة أيام إلى أن قال: ثمّ إذا أتيت الحائر فقل: الله أكبر ثمّ ساق الزيارة إلى أن قال: ثمّ اخرج من الباب الذي يلي رجلي عليّ بن الحسين وتوجّه إلى الشهداء وقل: السلام عليكم يا أولياء الله) إلى آخر الزيارة (1).

يقول (ع): (طبتّم وطابت الأرض التي فيها دفنتم).

أجل والله لقد طابت أرواحهم كما طابت أبدانهم، وطابت نياتهم مثلما قويت عزائمهم، وطابت أوصافهم ونعوتهم كما طاب بعد ذلك ذكركم والتوسّل بهم

(1) مقتل المقرّم: ص 255 الحاشية.

وطبّبوها الأرض التي دفنوا فيها، والتراب الذي ألقى عليهم، وشرفت كربلاء بهم، وبأبدانهم ودمائهم، ورحم الله الشاعر حيث يقول:

فيا كربلا طلت السماء وربّما تناول عفواً حظّ ذي السّعي قاعدُ
لأنّك وإن كنتِ الوضيعة نلتِ من جوارهمُ ما لم تنلهُ الفراقُ
سُررتِ بهم ماذا آنسوكِ وساءني محاربتُ منهم أوحشتُ ومساجدُ
بذا قضتِ الأيّامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ⁽¹⁾

ومن الثابت الذي لا ريب فيه هو أنّ الصفوة الطيّبة ما كانت لتنال من الخطوة والقرب لولا ملازمتها لسيد

الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب:، ولقد أجاد من قال فيهم:

وذوو المروّة والوفى أنصارةُ همّ على الجيش العظيم زئيرُ
طهّرت نفوسهم بطيب أصولها فعناصرٌ طابت لهم وحجورُ
فتمثلت لهم القصور وما بهم لولا تمثلت القصور قصورُ
ما شافهم للموت إلا دعوة ال رحمن لا ولدائها والحورُ⁽²⁾

فهذا زهير بن القين البجلي وهو رجلٌ شريفٌ في قومه شجاعٌ له مواقف مشهورة ومواطن مشهودة كان أولاً

عثمانياً فحجّ سنة ستين في أهله

(1) هذه الأبيات من قصيدة عصماء للمرحوم الشيخ جعفر الخطّي البحراني (ره) - الدرّ النضيد: ص131.

(2) نفس المهموم: ص629.

ثم عاد فوافق الحسين (ع) في الطريق، فهداه الله تعالى وانتقل علويّاً، روى أبو مخنف عن بعض الفزاريين قال كنا مع زهير بن القين حين أقبلنا من مكة (إلى الكوفة) فساير الحسين (ع) فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين (ع) تخلف زهير، وإذا نزل الحسين (ع) تقدّم وسار زهير، حتى نزلنا يوماً في منزل لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين (ع) في جانب ونزلنا في جانب، فبينما نحن نتغدى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين (ع) فسلم ودخل فقال: يا زهير بن القين إنّ أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه، فطرح كل إنسان منّا ما في يده حتى كأنّ على رؤوسنا الطير، قال أبو مخنف: فحدثتني دهم بنت عمرو زوجة زهير قالت: فقلت له: أبيعك إليك ابن رسول الله (ص) ثم لا تأتيه سبحانه الله، لو أتيت فسمعت من كلامه ثم انصرفت قالت: فذهب زهير إلى الإمام الحسين (ع)، فما لبث أن عاد مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقوض وحمل إلى الحسين (ع) ثم قال لي: أنت طالق الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد اني سأحدثكم حديثاً غزونا (بلنجر) ⁽¹⁾ ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم فقلنا نعم فقال لنا: إذا أدركتم سيّد شباب آل محمد (ص) الحسين (ع) فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من المغانم.

(1) بَلَنْجَرٌ: قال ياقوت الحموي في (معجم البلدان) ج 1 ص 489: هي مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب قال البلاذري: فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي.

فأما أنا فإني أستودعكم الله ثم قال والله ما زال أول القوم حتى قتل بين يديه.

روى أبو مخنف عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي قال: لما كانت الليلة العاشرة خطب الحسين (ع) أصحابه وأهل بيته فقال في كلامه: (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي فإنّ القوم إنّما يطلبوني) فقام زهير بن القين فقال: والله لوددتُ أني قتلتُ ثمّ نشرتُ ثمّ قُتلتُ حتى أُقتل كذا ألف قتلة وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفسِ هؤلاء الفتية من أهل بيتك، وما زال زهير مأنوساً بحضرة وخدمة الإمام الحسين (ع) حتى صار يوم العاشر وقُتِلَ جمعٌ من الأصحاب الأوفياء وصلّى الإمام (ع) بأصحابه صلاة الخوف فلما فرغ منها تقدّم زهير فجعل يُقاتل قتالاً لم يُر مثله، ولم يُسمع بشبهه وأخذ يحمل على القوم وهو يقول:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القيين أذودكم بالسيفِ عن حسين
ثمّ رجع فوقف أمام الحسين (ع) وقال له:

فدنتك نفسي هادياً مهدياً اليوم ألقى جدك النبيّ
وحسناً والمرضى عليّ وذا الجناحين الشهيد الحيّ

فكأنّه ودّع الإمام (ع) بهذه الكلمات وعاد إلى القتال، فشدّ عليه كثير ابن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه، قال السروي في المناقب: لما صرع وقف عليه الإمام الحسين (ع) فقال: (لا يبعدنك الله

يازهير، ولعن الله قاتليك لعن الذين مسخوا قردهً وخنازير) (1).

وهذا سعيد بن مرّة التميمي ممن رزق الشهادة بين يدي الإمام الحسين (ع) مع نفرٍ من أهل البصرة، وكان سعيداً شاباً له من العمر تسعة عشر سنة فإنه لما سمع بأنّ الحسين (ع) استنصر أشراف أهل البصرة في كتبه أقبل إلى أمّه صبيحة عرسه وصاح: أمّاه عليّ بلامه حربي وفرسي قالت: وما تصنع بها قال: أمّاه لقد ضاق صدري وأريد أن أمضي إلى خارج البساتين فقالت له: ولدي انطلق إلى زوجتك ولاطفها فقال: أمّاه لا يسعني ذلك فبينما هم كذلك إذ أقبلت زوجته وقالت: إلى أين تريد يا ابن العم؟ قال: أنا ذاهبٌ إلى من هو خيرٌ ممّي ومنك فقالت: ومن هو خيرٌ منك وممّي؟ فقال لها: ذاك سيدي ومولاي الحسين بن علي (ع)، فلمّا سمعت أمّه بذلك بكت وقالت: ولدي جزاك الله عن الحسين خيراً، ولكن ولدي أما حملتك في بطني تسعة أشهر؟ قال: بلى، قالت: أما سهرت الليالي في تربيتك؟ قال: بلى، وأنا لست منكرًا لحقك عليّ، قالت: إذاً عندي وصيّة، قال: وما هي يا أمّاه؟ قالت: ولدي إذا أدركت سيّد شباب أهل الجنّة اقرأه عني السلام وقل له: فليشفع لي يوم القيامة فقال لها: يا أمّاه وأنا أوصيك بوصيّة قالت: وما هي ولدي؟ قال: إذا رأيت شاباً لم يتهنأ بشبابه وعريساً لم يتهنأ بعرسه فاذكري عرسي وشبابي.

قال الراوي: ثمّ ودّعها وودّع زوجته وخرج من البصرة، وأقبل يجدّ السير في الليل والنهار وسمع في الطريق أنّ الإمام الحسين (ع) نزل كربلاء، فجعل يجدّ

(1) ابصار العين: ص 98 - 99.

السير حتى وافى كربلاء وكان ذلك في يوم العاشر من المحرم والإمام الحسين (ع) وحيداً فريداً قد قُتل أهله وأصحابه فلما رآه الإمام الحسين (ع) قال: (سعيدٌ هذه)؟ قال: نعم سيدي قال: (ما قالت لك أمك ياسعيد)؟ قال: سيدي تقرؤك السلام قال الإمام (ع): (عليك وعليها السلام ياسعيد انّ أمك مع أمي في الجنة)، ثمّ قال سعيد: سيدي أتأذن لي أن أسلم على بنات رسول الله (ص)؟ قال: نعم، فأقبل سعيد حتى وقف بإزاء الخيام ونادى: السلام عليكم يا آل بيت رسول الله فصاحت امرأة عليك والسلام فمن أنت؟ قال: سيدي أن خادمكم سعيد بن مرّة التميمي جئت لنصرة سيدي الحسين، فقالت: يا سعيد أما تسمع الحسين ينادي هل من ناصر؟ هل من معين؟ قال: ثمّ رجع إلى الإمام الحسين (ع) ووقف يستأذن للبراز فأذن له الإمام فحمل على القوم وجعل يُقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً فعطفوا عليه حتى قتلوه، ولما قتل سعيد مشى إليه الإمام فجلس عنده وأخذ رأسه ووضع في حجره وجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه وهو يقول: (أنت سعيد كما سمّتك أمك سعيد في الدنيا وسعيد في الآخرة) (1).

وهذا وهب بن حباب الكلبي وكان نصرانياً فأسلم على يدي الإمام الحسين (ع) وكانت معه أمّه وزوجته فقالت أمّه: قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله (ص)، فقال: أفعل يا أمّاه ولا أقصّر، فبرز وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابنُ الكلبي سوف تروني وتروني ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب أدركُ ثاري بعد ثار صـحبي

(1) ثمرات الأعواد للمرحوم السيد علي الهاشمي: ج 1 ص 170.

وأدفع الكربَ أمامَ الكربِ ليسَ جهادي في الوغى باللَّعبِ
ثمَّ حمل ولم يزل يُقاتل حتى قتل جماعةً ثمَّ رجع إلى أمه وزوجته وقال: يا أمّاه أرضيت؟ قالت: ما رضيت حتى تُقتل
بين يدي الحسين(ع)، فقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك فقالت أمه: يا بُني أعزب عن قولها وارجع فقاتل
بين يدي ابن بنت نبيِّك تنل شفاعة جدّه يوم القيامة، فرجع إلى الميدان ولم يزل يُقاتل حتى قطعت يده، وأخذت
امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأُمِّي يا وهب قاتل دون الطيّين عترة المصطفى(ص)، فقال لها:
كنت تنهيني عن القتال والآن جئت تقاتلين معي، قالت: يا وهب لا تلمني إنّ واعية (1) الحسين كسرت قلبي،
فقال: ما الذي سمعتي منه؟ قالت: رأيته جالساً بباب الخيمة وهو ينادي واقلّة ناصراه، فبكى وهب بكاءً كثيراً وقال
لزوجته: ارجعي إلى النساءِ رحمك الله فأبّت فصاح وهب: سيدي أبا عبدالله ردها إلى الخيمة، فردّها الإمام إلى
الخيمة، ثمَّ اجتمع القوم على وهب وأردوه قتيلاً رضوان الله تعالى عليه (2).

وهكذا قُتل الواحد بعد الآخر حتى تفانوا عن آخرهم وبقي الإمام(ع) بعدهم وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين
وجعل ينظر يميناً وشمالاً فلم يرَ أحداً من أصحابه إلاّ من صافح الترابُ جبينه وقطع الحِمَامُ أنينه فنادى: (يامسلم بن
عوسجة ويا حبيب بن مظاهر ويا زهير بن القين ويا عباس بن علي ويا علي الأكبر ويا فلان ويا فلان يا أبطال
الصفا ويا فرسان الهيجا مالي أناديكم لا

(1) الواعية: هي الصّوت.

(2) مقتل المرحوم الشيخ عبدالزهراء الكعي: ص39.

تجيبون وأدعوكم فلا تسمعون أنيأماً أرجوكم تنتبهون أم حالت بينكم وبين سيّدكم منيتكم وهذه بنات الرسول لفقدكم
قد علاهنّ النحول فقوموا عن نومتكم أيّها الكرام وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللثام).

لما رأى السبّطُ أصحابَ الوفا قُتلوا نادى أبا الفضلِ أين الفارسُ البطلُ
وأين من دوبي الأرواحَ قد بذلوا بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا
وخلفوا بسويدا القلبِ نيرانا

ما بالهم لا يجيبوني أما سمعوا ولو رأوني وحيداً ما الذي صنعوا
بل هم سُكارى بكاساتِ الردى كرعوا نذرتُ عليّ لعن عادوا وإن رجعوا
لأزرعنّ طريقَ الطفِ ريحانا

* * *

ليش انادي وما تجيبون النده رحتوا عني ودارت عليّ العده
أدري بيبي وبينكم حال الرده وعلي صالت بالغضب عدوانها
ياعلي الأكبر يقاسم يا حبيب ياهلال الوغه وانوه اعلمه المغيب
ليش انادي وما حصل منكم مجيب صاح من يحمي الحرم وخذورها

* * *

أحيبتنا من للضعائن بعدكم فليت فدتكم ياكراهم الضعائن

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر الأسدي

كَلَّمَا تَعْدَلَانِ زِدْتُ نَحِييَا يَا خَلِيلِيَّ إِنِّ ذَكَرْتُ حَبِييَا
 يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ رَزُوكَ مَهْمَا ذَكَرْتَهُ الرَّائِثُونَ شَقَّ الْقَلْبِوَا
 يَا وَحِيداً حَامِيَتَ دُونَ وَحِيدٍ حَيْثُ لَا نَاصِراً يُرَى أَوْ مَجِييَا
 بَعَثَ نَفْساً نَفِيسَةً فَاشْتَرَاهَا بَارِي النَّفْسِ مِنْكَ وَالرَّيْحُ طُوبَى
 إِنَّ نَصْرَتَ الْحُسَيْنِ غَيْرُ عَجِيْبٍ إِنَّ تَخَلَّفَتَ عَنْهُ كَانَ عَجِييَا
 يَاوَزِيْرَ الْحُسَيْنِ حَزَتْ مَقَاماً كُلُّ أَنْ يَزْدَادُ عَرَفَافاً وَطِييَا
 كَمَ عَنِ السَّبْطِ قَدْ كَشَفْتَ كَرُوباً بَعْدَ مَا قَدْ لَقِيْتَ مِنْهُمْ كَرُوبَا
 إِنَّ يَوْمَماً أُصِيبَتْ فِيهِ لِيَوْمٌ أَيُّ قَلْبٍ لَذَكَرَهُ لَنْ يَنْذُوبَا
 إِنَّ هَجَرْتَ الدِّيَارَ صَرْتِ بَدَارٍ فِيهِ جَاوَرْتَ حَيْدِراً وَالْحَبِييَا
 الْغَرِيبُ الَّذِي يَمُوتُ ذَلِيلاً لَيْسَ مِنْ مَاتَ فِي الْإِبَاءِ غَرِييَا
 قَدَّسَ اللَّهُ تَرْبَةً قَدْ حَوْتَهُ سِرُّ قَدْسٍ حَوْتٍ وَلِيثاً مَهِييَا (1)

أَحْبِيبُ أَنْتَ إِلَى الْحُسَيْنِ حَبِيبُ إِنْ لَمْ يَنْطِ نَسَبُ فَأَنْتَ نَسِيبُ
 يَا مَرْحَباً بِابْنِ الْمَظَاهِرِ بِالْوَلَا لَوْ كَانَ يَنْهَضُ بِالْوَلَا التَّرْحِيبُ
 شَأْنٌ يَشُقُّ عَلَى الضَّرَاحِ (2) مَرَائِيهِ بَعْدَ وَقَبْرِكَ وَالضَّرِيحُ قَرِيبُ
 بِأَبِي الْمَفْدِيِّ نَفْسَهُ عَنْ رَغْبَةٍ لَمْ يَرَعَهَا التَّرْهِيْبُ وَالتَّرْغِيْبُ

(1) القصيدة من نظم المرحوم السيد صالح الحلبي. وقد مرّت ترجمته ص 74.

(2) الضَّرَاح: هو العالي الشاهق.

هو سيّد أصحاب الإمام الحسين(ع) الذي كان لواؤهم بيده يوم كربلاء، وهو العالم العارف المتفاني في حبّ أهل بيت نبيّه(ص)، والحافظ المحافظ على وصيّة رسول الله(ص) لأمتّه حيث قال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتّما بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وكان صحابياً⁽¹⁾ أدرك النبي(ص) وسمع حديثه، ثمّ انقطع حبيب رضوان الله عليه بعد رحيل رسول الله(ص) إلى أمير المؤمنين(ع) وشارك في حروبه الثلاثة الجمل، وصفين، والنهروان، وكان موضع عناية الإمام أمير المؤمنين(ع) حيث تفضّل عليه وعلمه العلم النافع، وكزّمه ببعض أسراره، وذلك لما علّم الإمام(ع) طيب ذاته، وصلاح سريرته، وسلامة نيّته.

قال السيّد الأمين؛ في (أعيان الشيعة): كان حبيب من الرجال السبعين الذين نصرّوا الحسين(ع) ولقوا جبال الحديد واستقبلوا الرّماح بصدورهم، والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال فيأبون ويقولون لا عذر لنا عند رسول الله(ص) إنّ قُتلَ الحسين ومنا عين تطرف حتى قُتلوا حوله رحمهم الله تعالى⁽²⁾.

(1) لم يكن حبيب بن مظهر الأسدي الصحابي الوحيد الذي نال الشهادة مع الإمام الحسين(ع) في واقعة الطّف بل كان مع أربعة آخرين، يقول المحقّق الشيخ السماوي في (ابصار العين): قتل من أصحاب رسول الله(ص) مع الإمام الحسين(ع) خمسة نفر في الطّف، أنس بن الحرث الكاهلي، ذكره جميع المؤرّخين، وحبيب بن مظهر الأسدي، ذكره ابن حجر، ومسلم بن عوسجة الأسدي ذكره ابن سعد في الطبقات، وفي الكوفة هاني بن عروة المرادي، فقد ذكره الجميع انه قارب الثمانين من العمر، وعبدالله بن يقطر الحميري، ذكره ابن حجر، وكان لدة الحسين(ع) أي ولد في نفس سنة ميلاد الحسين(ع).

(2) أعيان الشيعة - المجلد الرابع: ص553.

وفي مجالس المؤمنين عن روضة الشهداء أنه قال: حبيب بن مظاهر رجلٌ ذو جمال وكمال، وفي يوم وقعة كربلاء كان عمره 75 سنة وكان يحفظ القرآن كله، ويحتمه في كل ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر (1).
وقال الشيخ السماوي في (ابصار العين): قال أهل السير أنّ حبيباً نزل الكوفة وصحب أمير المؤمنين (ع) في حروبه كلها، وكان من خاصته وحمله علومه.

ومن جملة العلوم التي تعلّمها حبيب رضوان الله عليه من أمير المؤمنين (ع) هو علم البلايا والمنايا، وهو علم شريف يعرف فيه آجال الناس والحوادث والفتن والوقائع، قال الشيخ السماوي في (ابصار العين): روى الكشي عن فضيل بن الزبير قال مرّ ميثم التمار على فرسٍ له فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي فتحدثا ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق - في الكوفة - قد صلب في حب أهل بيت نبيّه، فتبقر بطنه على الخشبة، فقال ميثم: واني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه فيقتل ويجال برأسه في الكوفة ثم افترقا فقال أهل المجلس ما رأينا أكذب من هذين، فلم يفترق المجلس - لم يفترق الناس - حتى أقبل رُشيد الهجري فطلبهما فقالوا افترقا وسمعنهما يقولان كذا وكذا فقال رشيد رحم الله ميثماً نسي شيئاً

(1) اعيان الشيعة - المجلد الرابع: ص 554.

وهو أنه يزداد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم ثم ذهب فقال القوم هذا والله أكذنبهم، فما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو ابن حريث وجيء برأس حبيب وقد قتل مع الإمام الحسين(ع)، ورأينا كل ما قالوا (1).

وروى الشيخ المجلسي(ره) في (البحار) عن عليّ بن الحكم قال: من أصفياء أصحاب عليّ أمير المؤمنين(ع) عمرو بن الحمق الخزاعي، وميثم التمار، ورشيد الهجري وحبيب بن مظاهر، ومحمد بن أبي بكر (2).
ومّا زاد في شرفه وعلوّ رتبته دفنُهُ بعد شهادته عند رأس الإمام الحسين(ع) متميّزاً عن بقية الشهداء، وكان ذلك بأمر الإمام زين العابدين(ع)، فصار وكأنّه بوّاب الحسين(ع) بعد شهادته يبدأ به الدّاخل وينتهي به الخارج من الحائر الحسيني الشريف.

حكى أحد العُلَماء أنّ رجلاً صالحاً رأى حبيب بن مظاهر الأسدي في الرؤيا فقال له: سيدي يا حبيب لقد حزت الخير من جوانبه كلّها فأنت صحابي أدركت رسول الله(ص) وسمعت حديثه ثمّ جئت إلى الكوفة ولازمت أمير المؤمنين(ع) وشاركت في حروبه كلّها، ثمّ صاحبت الإمام الحسين(ع) ونلت الشهادة بين يديه فأنتم سادات الشهداء لا يسبقكم سابق ولا يلحقكم لاحق، وهذا قبرك بعد الموت -الشهادة- فأنت باب

(1) ابصار العين: ص57.

(2) اعيان الشيعة - المجلد الرابع: ص554.

الحسين(ع) يدخل الزائر فيسلم عليك أولاً ولا يخرج حتى يسلم عليك ثانياً، ومكانك في اعلا عليين مع الأنبياء والصدّيقين وحسن أولئك رفيقاً، فهل بقي في قلبك شيء؟ أم هل بقيت لك أمنية تتمناها بعد هذا الإكرام؟ قال حبيب: نعم أتمنى أن أعود إلى الدنيا وأحضر مع المؤمنين في مجلس الحسين وأبكي مع الباكين وأندب مع الناديين. وروى الطبري في تاريخه وتبعه ابن الأثير أنّ حبيب بن مظاهر كان من جملة الذين كتبوا إلى الإمام الحسين(ع) لما امتنع من بيعة يزيد وخرج إلى مكّة، وكانت صورة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم لحسين بن علي(ع) من سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب ابن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. سلامٌ عليك (1) فإنّما نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد: فالحمدُ لله الذي قصمَ عدوكَ الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأئمة فابتزّها وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضئ منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دُولَةً بين جبارتها وأغنيائها فبعداً له كما بعُدت ثمود، إنّه ليس علينا إمامٌ فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان (2) بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعةٍ ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله والسلام ورحمة الله وبركاته عليك (3).

(1) المقصود من العدو هنا هو معاوية بن أبي سفيان.

(2) النعمان بن بشير الأنصاري كان والياً على الكوفة أيام معاوية، فأقرّه عليها يزيد بعد هلاك معاوية.

(3) أعيان الشيعة - المجلد الرابع: ص 554.

و لما دخل مسلم بن عقيل(ع) الكوفة جعل حبيب بن مظاهر ومسلم ابن عوسجة يأخذان البيعة للحسين(ع) في الكوفة، حتى إذا دخل عبيدالله ابن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم وفر أنصاره حبسهما عشيرتهما واخفياهما، فلما نزل الإمام الحسين كربلاء خرجا إليه مختفين يسيران الليل ويكتمان النهار حتى وصلا إليه (1).
وفي كيفية لحوق حبيب بن مظاهر الأسدي بالإمام الحسين(ع)، ذكر صاحب كتاب ثمرات الأعواد: انه لما نزل الحسين(ع) كربلاء عقد اثني عشر رايةً وقسمها على أصحابه فبقيت واحدة في يده فأقبل إليه رجلٌ من أصحابه وقال: سيدي سلّمني هذه الراية، قال(ع): أنت نعم الرجل ولكن لهذه الراية رجالاً يركّزها في صدور القوم وهو يعرفني حقّ المعرفة، وسأكتب إليه كتاباً يأتي ان شاء الله تعالى، فقال الرجل: سيدي ومَن تعني بذلك؟ قال: أعني حبيب بن مظاهر الأسدي فقال الرجل: إنّه لكفؤٌ كريم قال الراوي ثمّ دعا الإمام(ع) بدوات وبياض وكتب إليه كتاباً يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) إلى أخيه النجيب حبيب، أما بعد يا حبيب فقد نزلنا كربلاء وقد بانّت من أهل الكوفة الخيانة كما خانوا بأبي سابقاً وبأخي لاحقاً فإن كنت يا حبيب تروم أن تحظى بالسعادة الأبدية فبادر إلى نصرتنا والسلام. ثمّ ختم الكتاب بخاتمه الشريف

(1) ابصار العين: ص57.

ودفعه إلى رجل من أصحابه فأقبل به حتى دخل الكوفة وسلّم الكتاب لحبيب فأخذه وقبّله ووضع على عينه وعلى رأسه وفتحته فعندما علم بأنّ الحسين(ع) يستنصره قال: أفديه بنفسي وأهلي وولدي ثمّ قال للرسول ابلغ سيدي السلام وقل له يأتي إن شاء الله تعالى، ثمّ خرج الرسول فجاءت إليه زوجته وقالت: يا أبا القاسم سمعت كلمات حدّثك بها الرسول فقال حبيب لا يشعر بسرّنا أحد فقالت له: إن لم تمض لنصرة سيدي الحسين(ع) لألبسّ ملبوس الرجال وأمضي لنصرته، ولسان حال هذه المرأة الموالية الصادقة:

ياحبيب ابن البتولة لا تخلي نصرته حائر ويكسر الخاطر لو تعان حالته

ابكربله يگولون سبط المصطفى حط الخيم وماله ناصر ياحبيب وعنده اطفال وكرم
وان كان راح حسين ما يرتفع للشيعه علم ترضه أنه بالخدر وحسين تهتك نسوته

وگفت انتخي أوتنادي والعيون مدّمعه ان كان ماتنهض اجمّة وتطب ذيك المعمة
جيب العمامة يبن عمي اوخذ هل مقنعه ظل حيب ايعاين الهاوغصب هلّت دمعته

صاح ما يحتاج هل نخوه وبطلني امن الحنين وأنه عبد ابن الرسول وعبد امير المؤمنين
ذاب گلبي من سمعت بكربله خيم حسين واسمع يگولون أرذال الأعدا يحاطته

ثم نهض حبيب وقال لغلامه خذ الجواد وانتظري خارج البساتين فذهب الغلام، وودع حبيب أهله وعياله ثم خرج حتى إذا صار قريباً من العبد سمع الغلام يكلم الجواد وهو يقول: يا جواد ان لم يأتك صاحبك لأعلوتك وأمضي بك لنصرة سيدي الحسين (ع) فلما سمع حبيب ذلك بكى وقال: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله العبيد تريد نصرتك فكيف بنا ثم التفت إلى الغلام وقال له: اذهب أنت حرّ لوجه الله فوق الغلام على قدميه وهو يقول: سيدي يا حبيب أيسرّك أن تمضي إلى الجنة وأنا أمضي إلى النار لا كان ذلك أبداً بل أمضي معك لنصرة سيدي الحسين (ع) فقال له: بارك الله فيك فأردفه خلفه وجاء حتى ورد كربلاء في اليوم الثامن من المحرم، وكان الإمام (ع) جالساً في خيمته ومعه اخوته وأولاده وأصحابه اذ التفت إلى أصحابه وقال لهم هذا حبيب قد أقبل ثم انه لما قرب من خيام الإمام الحسين (ع) نزل من على ظهر جواده إلى الأرض وأقبل يمشي حتى دخل على الإمام (ع) ووقع على قدميه يقبلهما وهو يبكي ويقول: سيدي لعن الله غادريك، واستبشر أصحاب الحسين (ع) وأهل بيته بقدم حبيب بن مظاهر الأسدي، وسألت العقيلة زينب (ع) من القادم؟ قالوا لها حبيب بن مظاهر الأسدي قالت: أبلغوه عني السلام، فلما أبلغوه السلام لطم وجهه وحشى

التراب على رأسه وهو يقول: ومن أنا حتى تسلّم عليّ عقيلة الطالبين ثم استأذن الإمام الحسين (ع) أن يسلم عليها، فأذن له الإمام (ع) فسلم عليها، وما زال مانوساً بخدمة الإمام الحسين (ع) وأهل بيته حتى صار يوم العاشر فصفت الإمام أصحابه للحرب فجعل حبيب بن مظاهر في الميسرة فكان يحمل على الأعداء مع بقية الأصحاب ورجالات أهل البيت: حتى صار وقت صلاة الظهر فقال أبو ثمامة الصائدي للإمام (ع): نفسي لك الفداء اني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا والله لا تُقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها، فرفع الإمام (ع) رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها سلوهم أن يكفوا عنّا حتى نصلي فقال الحصين صلّ يا حسين فإنّ صلاتك لا تُقبل!! فقال له حبيب: أوتقبل صلاتك يا بن اليهودية؟! فغضب الحصين لعنه الله وبرز إليه قائلاً:

دونك ضربُ السيف يا حبيبُ وفاك ليثٌ بطلٌ نجيب

في كفه مهنتٌ قضيبُ من لمعةٍ كأته حليبُ

فلما سمع حبيب كلام اللعين ودّع الإمام (ع) وقال: إيّ أحب أن أتمّ صلاتي في الجنة فبرز إليه وهو يقول:

أنا حبيبٌ وأبي مظهُرُ فارسٌ هيجاءٍ وحربٍ تسعُرُ

وفي يميني صارمٌ مذكُرُ وأنتم ذو عددٍ وأكثرُ

ونحنُ منكم في الحروبِ أصبرُ أيضاً وفي كلّ الأمورِ أبصرُ

فحمل عليه كالأسد وضايقه وضربه على أم رأسه، وقطع خيشوم جواده وهم أن يقطع رأسه فحمل عليه أصحابه واستنقذوه من بين يدي البطل الموالي حبيب، وما زال رضوان الله عليه في صولة وجولة مع القوم حتى اجتمعوا عليه من كل جانب فضربه بدليل بن صريم بسيفه وطعنه آخر برمح فوقه على الأرض صريعاً فنزل إليه التميمي واحتز رأسه، فأتاه الإمام الحسين (ع) فرآه بتلك الحالة فقال: عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي، لله درك يا حبيب لقد كنت فاضلاً تحتم القرآن في ليلة واحدة، قال أبو مخنف: إنه لما قتل حبيب بن مظاهر هدّ مقتله الحسين (ع).

إن يهدّ الحسين قتله حبيب
فقد هدّ قتله كل ركن
بطل قد لقي جبال الأعادي
من حديد فردّها كالعهن
قتلوا منه للحسين حبيباً
جامعاً في معاليه كل حسن

ولسان حال الإمام الحسين (ع):

ساعد الله أبايّمه على الثرى شاف الحبيب
نايم ومكطوع راسه والجسد منه خضيب
صاح عند الله احتسبهم من عضيد ومن حبيب
رحتوا يصحابي وتركتوني أعاني بغربتي

شلون اشوفنكم ضحايا وما أهل دمعة العين حولكم ابكي يشيعه وبالخيم زاد الونين
زينب تعزي ابوه المرتضى وجدته الأمين او للخيم محني الظهر رديت انشف دمعتي

* * *

نصروا ابن بنت نبيهم طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب ساميه

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

شقاء عمر بن سعد وسعادة الحرّ

فروّيتُ بالدمعِ أطلالها	ديارٌ تذكّرتُ نزالها
بها تبلغ الوغدُ أمالها	فكانت رجاءاً لمن أمّها
ولو طاولتُهُ السّما طالها	وكم منزلٍ قد سمى بالنزِيلِ
بيومٍ سمّت فيه أمثالها	بنفسي كراماً سخت بالنفوسِ
وقد أبدت الحربُ أثقالها	وخفّوا سراعاً لنصرِ الحسينِ
فكادت تسابقُ آجالها	رأت أنّ في الموتِ طولَ الحياةِ
ونال الشّهادةَ من نالها	إلى أن أُبيدوا بسيفِ العدى
يلاقى من الحربِ أهوالها	ولم يبقَ للسبطِ من ناصرٍ
عداهُ وجاهدَ أبطالها	بنفسي فريداً أحاطت به
فعيّنُ لهنّ وأخرى لها ⁽¹⁾	ويرعى الوغى وخيامَ النساءِ

* * *

أعاتبكم وروحي تون لونكم	كفوف القدر يصحابي لونكم
وحيد وحاطت العدوان بيّه	تگومون وتشوفوني لونكم

* * *

(1) القصيدة من نظم المرحوم الشيخ محمد علي الأعمش (ره). تقدّم ذكر ترجمته في ص 54.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (1).

قال المرحوم الشيخ الطبرسي في -مجمع البيان- في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ اي بيّنا له الطريق، ونصّبنا له الأدلّة، وأزحنا عنه العلة حتى يتمكّن من معرفة الحق والباطل ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قال الزجاج معناه ليختار إمّا السعادة وإمّا الشقاوة، والمراد إمّا أن يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى والإعتراف بنعمه فيصيب الحظ، وإمّا أن يكفر نعم الله ويحدّ إحسانه فيكون ضالاً عن الصواب، فأتيهما اختار جوزي عليه بحسبه، وهذا كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (2).

هذه الآية الشريفة صريحة في أنّ ما يختاره الإنسان لنفسه ويرتضيه لها أمّا هو بمحض اختياره وإرادته لا دخل لأحدٍ في ذلك، فلو اختار الإنسان الهدى -الإيمان- وسار عليه، أو اختار العمى -الكفر- وسار عليه، لكان ذلك الاختيار من قبيله هو ليس غير، وذلك لأنّ الله تعالى جعل في كلّ انسان قوّة يعلم بها الخير ويميّزه عن الشرّ، وتلك هي العقل وبه أصبح الإنسان إنساناً، ففي اصول الكافي بسنده إلى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (الباقر) (ع) قال: لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل ثمّ قال له: أدبر فأدبر فقال: وعزّي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك إيتاك أمر وإيتاك أنهي، وإيتاك أثيب وإيتاك أعاقب (3).

(1) سورة الإنسان: الآية 3.

(2) مجمع البيان: ج 5 ص 407.

(3) أصول الكافي: ج 1 ص 26 ح 26.

إذن فالثواب والعقاب يكونان نتيجةً حتميةً لما يختاره الإنسان العاقل في دار الدنيا، فإن اختار طريق الهدى كانت عاقبتهُ النجاة، وإن اختار الضلال كانت عاقبتهُ الهلاك، وإنّ من أوضح أمثلة تقديم العمى على الهدى هو عمر بن سعد بن أبي وقاص، وتقديم الهدى على العمى هو الحر بن يزيد الرياحي، وهلمّ معي لنعرف قصة هذين الرجلين فإنّ فيها موعظةً بليغة.

أمّا عمر بن سعد فقد كان قبل خروجه إلى كربلاء معسكرًا ب (حمام أعين) في أربعة آلاف ليسير بهم إلى (دستي) لأنّ الديلم قد غلبوا عليها، وكتب له ابن زياد عهداً بولاية الرّي وشرع دستي والديلم (1)، فغيّر ابن زياد الوجهة وطلب من عمر بن سعد أن يذهب لقتال الإمام الحسين (ع)، فلم يقبل ابن سعد فطالبه ابن زياد باسترداد العهد الذي كتب له بولاية الرّي، فاستمهله ليلةً واحدة قال ابن زياد: قد أمهلتك، فانصرف عمر بن سعد إلى منزله وجعل يستشير قومه وإخوانه ومن يثق به من أصحابه، فلم يشر عليه أحدٌ بذلك، وكان عنده رجلٌ من أهل الخير يُقال له كامل وكان صديقاً لأبيه فقال له: يا عمر ما لي أراك بهيئةً وحركة؟ ما الذي أنت عازمٌ عليه؟ فقال: اني قد وليتُ هذا الأمر في حرب الحسين وإذا قتلته خرجت إلى ملك الرّي فقال له: أفيّ لك أتريد يا ابن سعد أن تقتل الحسين بن بنت رسول الله؟ أفيّ لك ولدنيك يا عمر أسفّهت الحقّ وضللت الهدى، أما تعلم إلى حرب من تخرج؟ ول من تُقاتل؟ إنّنا لله وإنّا إليه راجعون.

والله لو أعطيتُ الدنيا وما فيها على قتل رجلٍ واحدٍ من أمة

(1) دستي: كورة واسعة بين همدان والرّي - مقتل المقرّم. (من الحاشية)

محمد(ص) لما فعلت فكيف بك وأنت تريد قتل الحسين ابن بنت رسول الله(ص)؟ وما الذي تقول غداً لرسول الله(ص) إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرّة عينه وثمره فؤاده وابن سيّدة نساء العالمين وابن سيّد الوصيين وهو سيّد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين وانه في زماننا هذا بمنزلة جدّه في زمانه، وطاعته فرض علينا كطاعته، وانه باب الجنّة والنار، فاختر لنفسك ما أنت مختار، واني أشهد بالله إن حاربتّه أو قتلته أو أعنت عليه أو على قتله لا تلبث في الدنيا بعده إلا قليلاً، فقال عمر: فبالموت تحوّفني وإني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس، وأتولّى ملك الرّي (1).

وممن نراه عن المسير لحرب الإمام الحسين(ع) ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة فقال له: أنشدك الله أن لا تسير لحرب الحسين فتقطع رحمك وتأثم بربك فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّه لو كان لك لكان خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين فقال عمر بن سعد أفعل إن شاء الله، وبات ليلته مفكراً في أمره، وسمع يقول (2):

فوالله لا أدري وإني لحائر	أفكر في أمري على خطرين
أترك ملك الرّي والرّي مني	أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمي والحوادث جمّة	لعمري ولي في الرّي قرّة عيني

(1) بحار الأنوار: ج 44 ص 306.

(2) مقتل المقرّم: ص 237.

ألا إثمنا الدنيا بخيرٍ معجَّلٍ وما عاقلٌ باعَ الوجودَ بدينِ
يقولون إنَّ اللهَ خالقُ جنَّةٍ و نارٍ وتعذيبٍ وغِلِّ يدينِ
فإن صدقوا فيما يقولون إنني أتوبُ إلى الرحمنِ من سنتينِ
وإن كذبوا فزناً بدينياً عظيمةً ومُلكٍ عقيمٍ دائمِ الحجلَّينِ⁽¹⁾

في كتاب (تذكرة الخواص) قال محمد بن سيرين: وقد ظهرت كرامات عليّ بن أبي طالب (ع) في هذا، فإنه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب فقال: ويحك يا ابن سعد كيف بك إذا قمت يوماً مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار⁽²⁾.

ثم أتى عمر بن سعد لعبيدالله بن زياد وقال له: أنك وليتني هذا العمل⁽³⁾، وسمع الناس به، فإن رأيت أن تنقذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين (ع) من أشرف الكوفة من لست أغنى ولا أجراً في الحرب منه، وسمي له أناساً فقال له ابن زياد: لست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث فإن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا على الرسي قال ابن سعد: فإني سائر وفعلاً أقبل في ذلك الجيش ونزل به كربلاء لقتال الحسين (ع)⁽⁴⁾.

لأن عمر هو ابن سعد بن أبي وقاص. وأبو الوقاص هو مالك بن أهيب بن عبدمناف وعبدمناف جد النبي (ص).

(1) قال في المنجد: يوم محجل أي مضيء ومشرق بالسرور.

(2) تذكرة الخواص للعلامة سبط ابن الجوزي: ص 247.

(3) وهو ان عبيدالله بن زياد أمره على أربعة آلاف ليسير إلى (دستي) حيث غلب عليها الديلم، وكتب له عهداً بولاية الرسي.

(4) نفس المهموم: ص 21 بتصرف.

وكان عمر بن سعد أوّل من رمى سهماً نحو خيام الإمام الحسين(ع) وهو يقول: اشهدوا لي عند الأمير أيّ أوّل من رمى، وهكذا إلى أن جرّه سوء اختياره لقتل الحسين(ع) وسبي عياله، ولكنّه لما وصل إلى عبيدالله ابن زياد لم يجد عنده ملك الرّي ولا شيئاً ممّا كان يتمنّى وطرد من قصر الإمارة شرّ طرده، وما مضت مدّة طويلة حتى ظهر المختار وقتل هذا اللعين شرّ قتلة وعجّل بروحه إلى جهنم، ألا لعنة الله على الظالمين.

فتبصّر تبصر هـداك إلى الحقّ فليس الأعمى به كالبصير
ليس تعمى العيون لكنّما تعمى القلوب التي انطوت في الصّدر

وأما الذي قدّم الهدى واختاره على العمى فهو الحر بن يزيد الرّياحي رضوان الله تعالى عليه، فإنّه كان أوّل أمره قائداً من قوّاد جيش عبيدالله بن زياد، وقد جعله أمراً على ألف فارس، وأرسله لمعارضة الإمام الحسين(ع) في الطريق ثمّ ليضيق عليه بعد ذلك حتى يدخله الكوفة، ولكنّ الإمام الحسين(ع) اختار طريقاً آخر أوصله إلى كربلاء، وقبل أن يفوت الوقت وتمرّ الفرصة حكم الحرّ عقله وعاد إلى رشده وفكّر بين البقاء في معسكر أعداء الله وبين الانتقال إلى معسكر أحبّاء الله تعالى فاختر الثاني، لأنّ العقل نبيّ باطن ما خاب أبداً من حكمه وقبل حكمه.
ففي أصول الكافي: من وصيّة الإمام باب الحوائج موسى بن جعفر(ع) لهشام قال: يا هشام إنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمة: وأما الباطنة فالعقول (1).

(1) أصول الكافي: ج 1 ص 16.

قال الشيخ السماوي في (ابصار العين): روى الشيخ ابن نما أنّ الحرّ لما أخرجته ابنة زياد إلى الحسين وخرج من القصر نودي من خلفه: أبشر يا حرّ بالجنتة قال: فالتفت فلم ير أحداً فقال في نفسه والله ما هذه بشارة وأنا أسيرُ إلى حربِ الحسين(ع)، وما كان يحدث نفسه بالجنتة، فلما صار مع الإمام الحسين(ع) قصّ عليه الخبر فقال له الإمام الحسين(ع): لقد أصبت أجراً وخيراً⁽¹⁾.

والحق أنّ الحرّ كان مؤدّباً مع الإمام الحسين(ع) عندما اجتمع به في الطريق في الخبر الآتي ذكره، ولعلّ هذا الأدب كان جزء السبب في هداية هذا الشهيد الخالد:

ففي الخبر المعروف حين التقى الحرّ وأصحابه مع الإمام الحسين(ع) وأهله وأصحابه حدث شيئا يدلّان على أدب الحرّ العالي وهما:

1 - صلّى الحر خلف الإمام الحسين(ع) صلاتي الظهر والعصر، وذلك عندما قال الإمام(ع) للحر صلّ بأصحابك وأصلّي بأصحابي قال: بل تصلّي ونصلّي بصلاتك.

2 - بعد صلاة العصر أراد الإمام(ع) الانصراف بمن معه فحال القوم بينه وبين الحركة فقال الإمام(ع) عندها للحر: ثكلتك أمك ما تريد؟ فقال الحر: اما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذه الحالة التي

(1) ابصار العين: ص116.

دنا منهم قلب تُرْسُهُ (1) فقالوا مستأمن -طالب الأمان- حتى إذا عرفوه سلّم على الإمام الحسين(ع) وقال: جعلني الله فداك يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننتُ أنّ القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، واني قد جئتكَ تائباً ممّا كان مني إلى ربي ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك افتري لي توبة؟ قال الإمام(ع): نعم يتوب الله عليك ويغفر لك فانزل قال: أنا لك فارساً خيراً مني راجلاً أقاتلهم على فرسي ساعة والى النزول يصير آخر أمري قال(ع): فاصنع ما بدا لك.

ثمّ تقدّم أمام الأصحاب ثمّ قال: أيّها القوم أما تقبلون من الحسين(ع) هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيكُم الله من حربه قالوا: كلّم الأمير عمر بن سعد فكلّمه فقال عمر: قد حرصت ولو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت، عندها التفت الحر إلى أهل الكوفة وقال: يا أهل الكوفة لأمتكم الهبل والعبر دعوتم ابن رسول الله(ص) حتى إذا أتاكم أسلمتموه؟ وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، امسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه التوجّه في بلاد الله العريضة حتى يأمنَ ويأمن أهل بيته فأصبح في أيديكم كالأسير منعموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والنصراني وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه فهاهم قد صرعهم العطش بمسما خلقتُم

(1) التُّرس - جمعة أتراس: صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف.

محمد(ص) في ذريته لا سقاكم الله يوم الظما إن لم تتوبوا وتنزعوا عما انتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه، فحملوا عليه يرمونه بالسهم فأقبل حتى وقف أمام الإمام الحسين(ع) سيدي كنت أول خارج عليك فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك فأذن له الإمام فبرز وهو يقول:

إني أنا الحرُّ ومأوى الضيف أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خيرٍ من حلِّ بأرضِ الخيف أضربكم ولا أرى من حيف
فلم يزل يُقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً ثم عقروا فرسه وبقي يُقاتل راجلاً حتى قتل أربعين فارساً وخمسة عشر راجلاً فتكاثروا عليه وقتلوه رضوان الله تعالى عليه.

و لما قُتل مشى لمصرعه الحسين(ع) وجلس عند رأسه وهو يقول: أنت حرٌّ كما سَمَّتك أمك حرٌّ في الدنيا وسعيدٌ في الآخرة، ورثاه عليّ بن الحسين(ع):

لننعمَ الحرُّ حرُّ بني رباح صبورٌ عند مشيتك الرِّمَّاحِ
ونعمَ الحرُّ إذ واسى حسيناً وجاد بنفسه عند الصِّباحِ
ولسان الحال:

صال وصال بالعسكر بهمه ودفَع العدو عن حسين هممه
يوسفه طاح وتخصَّب بدمه ولفاه امن الخيم ييجي ابو اليمه

حسين ورفع راسه وكعد يمه مسح بيده جبينه وصاح باسمه
حر وما خطت من سمته أمه

وعندما انتهت المعركة جاء الأعداء وفصلوا رؤوس الشهداء عن أجسادهم، وعندما وصلوا إلى الحر قامت عشيرته
بنو رياح وقالوا: لا والله لا يفصل رأس زعيمنا وفيينا عرق يضرب فقال عمر بن سعد: دعوا لبني رياح زعيمهم
فحملوه أمام أنظار بنات رسول الله(ص) ولسان الحال:

الحر للعدل خط رايه ولا ظل بحر الشمس لا كاسر ولا ظل
العشيره شالته الجسمه ولا ظل الماعدهم اهل ظلوا رمي
ويقول الآخر:

العشيره شالته بحر الظهيره الكل منهم عليه شالته الغيره
بس ظلوا الماعدهم عشيره عرايه اعله الثره من غير تغسي

جادوا بأنفسهم عن نفس سيدهم والجود بالنفس اقصى غاية الجود

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

فضل أبي الفضل العباس (ع)

هيهات أن تجفو الشهادَ جفوني
 أتى ويومُ الطفِّ أضرمَ في الحشا
 يومُ أبو الفضلِ استفزّت بأسه
 في خيرِ أنصارٍ بـراهم رُئُهم
 فأغاث صبيته الظمَّما بمزادة
 حتى إذا قطعوا عليه طريقه
 ودعّته أسرارُ القضا لشهادة
 حسموا يديه وهامه ضربوه في
 ومشى إليه السبُّ ينعاه كسر
 عباسُ كبشَ كتيبي وكنانتي
 ياساعدي في كلِّ معتركٍ به
 لمن اللوى أُعطي ومن هو جامعُ
 عبّاسُ تسمعُ زينباً تدعوك من
 أولست تسمعُ ما تقول سكينة

أو أنّ داعيةَ الأسى تجفوني
 جنواتٍ وجدٍ من لضى سجين
 فتياتٍ فاطمٍ من بني ياسين
 للدينِ أوّلَ عالمِ التكوين
 من ماءٍ مرصودِ الوشيجِ معين
 بسدادٍ جيشٍ بارزٍ وكمين
 رسمت له في لوحها المكنون
 عمَدِ الحديدِ فخرٍ خيرِ طعين
 تَ الآنَ ظهري يا أخي ومعيني
 وسريّ قومي بل أعزّ حصوني
 أسطو وسيفَ حمايتي يميني
 شملي وفي ضنكِ الزحامِ يقيني
 لي يا حماي إذا العدى نهروني
 عمّاه يومِ الأسرِ من يميني (1)

(1) القصيدة من نظم المرحوم الشيخ حسن قفطان(ره).

قال السيد جواد شير في (أدب الطف) الجزء السابع ص106:

ولد في النجف الأشرف سنة 1199 هـ ، وكان فاضلاً ناسكاً تقيّاً محبباً للأئمة الطاهرين، وأكثر

كفوفه مكطوعات والراس انطير وسال دمع حسين يشبه للمطر
وصاح ياخوية الظهر مّي انكسر يابدرنه شلون غطّاك الخسوف

رحت عني وانته لي سور الحديد فجعت گلي والعدة صار إله عيد
شلون أظل بعدك ييو فاضل وحيد وتجمّعت كوفانها وصارت الووف

كنت أعذل ولوم اليون ونه وصرت أنشد بيوت الحزن ونه
اويلي شلون ونّه حسين ونه على العباس يوم أصبح رمية

من زيارة الإمام أبي عبدالله الصادق (ع) لعمّه أبي الفضل العباس (ع): (سلامُ الله وسلامُ ملائكتِهِ المقَرَّبِينَ وأنبيائِهِ
المُرْسَلِينَ وعبادِهِ الصّالحِينَ وجميعِ الشُّهداءِ والصّدّيقِينَ والزّكياتِ الطّيباتِ فيما تغتدي وتروخُ عليكِ يا بنَ أميرِ المؤمنينَ
أشهدُ لكِ بالتّسليمِ والتّصديقِ والوفاءِ والتّصيحَةِ لِحَلْفِ النَّبِيِّ ﷺ المُرْسَلِ والسَّبَطِ المنتجبِ والدّلِيلِ العالمِ والوصيِّ
المُبَلِّغِ والمظلومِ المهتمّمِ فجزاك اللهُ عن رسوله وعن أميرِ المؤمنينَ وعن

شعره فيهم (ع)، درس الفقه على الشيخ علي بن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر حتى نبغ فيه وعُدّ من الأعلام الأفاضل، واختصّ أخيراً بصاحب
الجواهر وكان يعدّ من أجلّ طلابه وأفاضلهم.

توفي (ره) سنة 1275 هـ ودفن في الصحن العلوي الشريف عند الإيوان الكبير المتصل بمسجد عمران.

الحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت فنعم عُقبى الدار (1).

بهذه الكلمات المضيئة والعبارات العالية التي تحمل كل معاني الفضل والتوقير والتبجيل والاحترام، يعلم الإمام أبو عبد الله الصادق (ع) كافة المؤمنين والمؤمنات كيفية زيارة العبد الصالح أبي الفضل العباس (ع).

قوله (ع): سلام الله وسلام ملائكته... الخ بيان عن جليل مقام أبي الفضل (ع) عند الله تعالى بحيث صار موضعاً لنزول رحمته - سبحانه ورحمة ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصدّيقين.

ثم عدّد الإمام الصادق (ع) بعض ما انطوت عليه ذاته الإلهية من كمالات كانت سبباً لسلام الله وملائكته وأنبيائه وهي: اشهد لك بالتسليم والتصديق والتّصيحة لخلف النبي (ص)، وهذه شهادة ثمينة جداً يعرف قيمتها أهل الفضل وقد قيل (لا يعرف الفضل إلا أهله).

هذه كلمات قليلة أحببت أن تكون مقدّمةً ومفتاحاً ندخل بواسطته إلى رحاب أبي الفضل باب الحوائج لتتعرف أكثر على هذه الشخصية الإسلامية الكبيرة.

ولد (ع) في المدينة يوم الرابع من شعبان سنة ست وعشرين للهجرة فكان هو وأخوه الإمام الحسين (ع) من مصاديق قوله تعالى في التأويل:

(1) مفاتيح الجنان للمرحوم الشيخ عباس القمي عن كامل الزيارات لابن قولويه القمي (ره).

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا﴾ (1) فمولد الإمام الحسين يوم الثالث من شعبان ومولد العباس (ع) يوم الرابع منه، ولم يسبق أبو الفضل أخاه أبا عبد الله (ع) بقول استفاده منه أو بعملٍ اتبعه فيه ولا بنفسية هي ظلّ نفسيته، ولا بمنقبة هي شعاعُ نوره الأقدس المنطبع في مرآة غرائزه الصقيلة، وقد تابع إمامه في كلّ أطواره حتى في بروز هيكله القدسي إلى عالم الوجود (2).

أمّه السيّدة الجليلة والعالمة الفاضلة أم البنين فاطمة بنتُ خزام الكلابية العامرية، تزوّجها الإمام أمير المؤمنين (ع) بعد وفاة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع).

قال المحقّق المقرّم في (قمر بني هاشم) فولدت لأمير المؤمنين (ع) أربعة وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان وعاشت بعده مدّة طويلة ولم تنزوّج من غيره، وكانت من النساء الفاضلات العارفات بحقّ أهل البيت: مخصّصةً في ولائهم مخصّصةً في مودّتهم ولها عندهم الجاه الوجيه والمحلّ الرّفيع وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزيها بأولادها الأربعة كما كانت تزورها أيّام العيد.

وبلغ من عظمتها ومعرفتها وتبصّرها بمقام أهل البيت: أنّها لما أدخلت على أمير المؤمنين (ع) وكان الحسنان مريضين أخذت تلاطف القول معهما وتلقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب (3).

(1) الشمس / 1 و2.

(2) قمر بني هاشم للمرحوم السيد عبدالرزاق المقرّم: ص 17.

(3) المصدر السابق نفسه: ص 16.

أمُّ البَينِ طابَت الأبنَاءُ منك كما قد طابت الآباءُ
 بنت الأسودِ من بني عمرو العُلا أمُّ الحُمَـةِ والأبوةِ الثُّبلا
 أمُّ أبي الفضلِ وأمُّ جعفرِ وأمُّ عبدِاللهِ شبلِ حيدرِ
 وأمُّ عثمانَ السَّديِّ سمَّاهُ باسمِ بنِ مطعونَ الأبِ الأواهُ
 الأنجبين الطاهرين أنفسا الأكرميين الطيبين مغرسا
 آجرك اللهُ وإيانا فمسا أملكُ لو شئتُ أعزَّيكَ فما(1)

وأما شأنه فمما لا شكَّ فيه هو أن لنفسيات الآباء ونزعاتهم وكميَّاتهم من العلم والخطر أو الإنحطاط والضَّعة دخلاً تاماً في نشأة الأولاد وتربيتهم، لذا تجدُّ في الغالب مشاكلةً بين الجيل الأول والثاني - الآباء والأبناء - في العادات والأهواء والمعارف والعلوم، وعلى هذا التاموس (2) يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل (ع) من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوته في البيت العلوي فهو بيت العلم والعمل بيت الجهاد والورع بيت الإيمان والمعرفة. من هنا يعلم أنَّ لم تكن كل البصائر في أبي الفضل (ع) اكتسابية بل كان الكثير منها موروثاً من أبيه المفدى الذي لو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً، فقبل ولادته ووصوله إلى عالم الوجود كان (ع) معدن الذكاء والفتنة واذن واعية للمعارف الإلهية، دعاه أمير المؤمنين (ع) وهو صغير وأجلسه في حجره وقال له: قل واحد فقال له: قل اثنين فامتنع وقال: ابني أستحي أن أقول اثنين بلسان قلت به واحد (3).

(1) المقبولة الحسينية للمرحوم الشيخ هادي كاشف الغطاء: ص 99.

(2) التاموس هو السرّ.

(3) أشار أبو الفضل العباس بهذه الكلمة الشريفة وذلك بقوله: واحد إلى التوحيد ولا يليق بمن يقرّ بوحدانية الله تعالى أن يجعل له شريكاً في ملكه، ولهذا امتنع أن يقول اثنين بذلك اللسان الذي قال فيه واحد.

إذا أمعنا النظر في هذه الكلمة وهو على عهد نعومة أظفاره فلا نجد بُدأً من الاقرار بأنّها من أشعّة تلك الاشراقات الإلهيّة، فما ظنّك اذن حينما يلتقي هذا الإستعداد الرفيع مع المبادئ الفيّاضة من أبيه سيّد الوصيين واخويه سيّدي شباب أهل الجنّة (1).

وبعد هذا كلّه فقد حوى أبو الفضل (ع) من صفاء النّفس والعنصر الزّاكي والإخلاص في العمل، والمداومة على العبادات ما فتح له أبواباً من العلم وأوقفه على كنوز المعرفة، وإذا كان الحديث ينصّ على أنّ من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، اذن فما ظنّك بمن أخلص لله طيلة عمره وهو متخلّ عن كلّ رذيلة، ومتحلّ بكلّ فضيلة (2).

ومن طريف الحديث أنّ رجلاً من الأفاضل قد اغترب بعلمه وبلغ من غروره في ذلك أنّه كان في مجلسٍ مع أصحابه وجرى ذكر أبي الفضل العباس (ع) وما حمّله من المعارف والعلوم الإلهيّة التي امتاز بها على سائر الشّهداء فقال الرجل علمي أكثر من علم العباس (ع)!!

فاستغرب الحاضرون هذه الجرأة وأنكروا عليه ولاموه على هذه البادرة وانتهى المجلس والرجل على غروره لم يتراجع، و لما أصبح الصباح

(1) قمر بني هاشم: ص 38 بتصرّف.

(2) قمر بني هاشم: ص 39 - 40 بتصرّف.

ما كان للجماعة همٌّ إلا معرفة خبر هذا الرجل وأنه هل بقي على غيِّه أو أنّ الهداية الإلهية شملته فقصدوا داره وطرقوا الباب فقبيل لهم انه ذهب إلى حرم أبي الفضل العباس(ع)!! فأسرعوا إلى الحرم لمعرفة الخبر فإذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الأقدس بجبل شدّ طرفه بعنقه والآخر بالضريح وهو تائب نادم ممّا فرط فسألوه عن شأنه وخبره فقال:

لما نمثُّ البارحة وأنا على الحال الذي فارقتكم عليه رأيت نفسي في مجتمع من أهل الفضل وإذا رجل دخل وهو يقول: إنّ أبا الفضل العباس(ع) قادمٌ إليكم، فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً ثمّ دخل(ع) والتور الإلهي يسطع من أسارير جبهته والجمال العلوي يزهو في محيّاها فاستقرّ على كرسي في صدر المجلس، وقد دخلني من الرهبة والخوف والقلق شيءٌ كثيرٌ لما فرّطت في حقّ أبي الفضل(ع) ثمّ بدأ يسأل ويجيب واحداً واحداً حتى وصلت النوبة إليّ فقال لي: ماذا تقول أنت؟ فلم أستطع الكلام وبعد برهة كرّرت نفس الكلام الذي قلته لكم أمس فقال(ع): أمّا أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين وأخوي الإمامين الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، وأنا على يقين من ديني بما تلقيتُهُ من مشايخي من الحقائق ونواميس الإسلام، وأنت شاكٌ بدينك شاكٌ في إمامك أليس الأمر هكذا؟ فلم أقدر انكار ذلك ثمّ قال(ع): وأمّا شيخك -أستاذك- الذي قرأت عليه الدروس وأخذت منه فهو أتعس منك حالاً، وما عسى أن يكون عندك من أصول وقواعد مضروبة للجاهل بالأحكام يعمل بها إذا أعوزه الوصول إلى الواقع، واني غير محتاج إليها لمعرفتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي

الإلهي، ثمّ بد(ع) يعدّد بعض ما انطوت عليه ذاته القدسيّة من كرم وصبر ومواساة وجهاد إلى غيرها، فانتبهت من نومي فرعاً مرعوباً معترفاً بالتقصير، ولم أجد طريقة غير التوسّل به والإناابة إليه صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين (1).

ولقرب هذا العبد الصالح من ربّه تعالى، ولوجهته الكبيرة عنده، صار احدى أهم الوسائل المتقرّب بها إلى الله تعالى لنيل القرب وقضاء الحوائج وشفاء الأسقام ينقل المرحوم السيّد المقرّم في كتابه (العبّاس(ع)) هذه الكرامة عن الشيخ حسن الجواهري وهو بدوره ينقل عن الحاج منيشد الذي شاهد الكرامة بنفسه قال: كان رجل من عشيرة البراجعة اسمُهُ (مخيلف) مصاباً بمرضٍ في رجليه وطال ذلك حتى يبستا وصارتا ضعيفتين لا يحملنه، وبقي على هذا ثلاث سنين وشاهده الكثير من أهل المحمّرة وكان يحضر الأسواق ومجالس عزاء الإمام الحسين(ع) وهو يزحف على إلبته ويديه على الأرض، وقد عجز عن المباشرة -العلاج- ويئس وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمّرة حسينيّة يُقيم فيها عزاء الإمام الحسين(ع) في العشرة الأولى من المحرم ويحضر هناك خلقٌ كثير حتى النساء يجلسن في الطابق الأعلى من الحسينيّة والعادة المعروفة في تلك البلاد ونواحيها هي أنّ الخطيب النَّائح إذا وصل في قراءته إلى الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجات مختلفة وهكذا النساء، في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف ذكر مصيبة أبي الفضل العباس(ع)، وجاء هذا

(1) العبّاس(ع) للمحقّق المقرّم: ص96.

المُصاب مخيلف وجلس تحت المنبر وحينما وصل الخطيب إلى ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً وبيناهم على هذا الحال اذ يرون ذلك الرجل المُصاب بالزمانة في رجله وهو مخيلف واقفاً معهم يلطم وهو يقول بلهجته (آنه مخيلف كيمني العباس) وبعد أن عرف الناس هذه الكرامة من أبي الفضل (ع) فتهافتوا عليه وخزقوا ثيابه للتبرك بها وازدحموا عليه يقبلون رأسه ويديه فأمر الشيخ خزعل غلمانة أن يرفعوه إلى احدى الغرف ويمنعوا الناس عنه وصار ذلك اليوم في المحمّرة أعظم من يوم العاشر من المحرم لكثرة البكاء والعيول من الرجال والنساء، قال العلامة الشيخ حسن: ثمّ أنّه سئل مخيلف عمّا رآه وشاهده فقال: بينما الناس يلطمون على العباس (ع) أخذني النوم وأنا تحت المنبر فرأيت في المنام رجلاً جميلاً طويلاً على فرس أبيض عال في المجلس وهو يقول لي: يا مخيلف لم لا تلطم على العباس مع الناس؟ قلت له: سيدي لا أقدر وأنا بهذا الحال فقال: قم والطم على العباس مع الناس، قلت له: يا مولاي أنا لا أقدر على القيام على قدمي، قال قم والطم، قلت له: يا مولاي اعطني يدك لأقوم، فقال: أنا ما عندي يدين، وإذا بيديه مقطوعتين، فقلت له: كيف أقوم؟ قال الزم الركاب وقم فقبضتُ على ركاب الفرس وأخرجني من تحت المنبر وغاب عني (ع) (1).

أقول: لم يكن (ع) مقطوع الكفين فقط بل كانت السهام موزعة على بدنه الشريف فسهمٌ أصاب عينه، وسهمٌ أصاب قلبه، وسهمٌ أصاب القربة فأريق

(1) العباس (ع) للمقرّم: ص 144 - 145.

ماؤها، وإذا بعمود الحديد يرضخ هامه الشريف فسقط على وجهه أي واعبّاساه واسيّداه وامظلوماه:

عمدُ الحديدِ بكربلا خسفَ القمر فلتبكه السّاداتُ من عليا مُضر
أوما درتُ عن سرجه العباسُ خرّ

ومشى إليه السبطُ ينعاهُ كسرُ تَ الآنَ ظهري يا أخوي ومُعيني

يخويه العلمُ كلي وين أوديه ينور العين دربي بيش أجدّيه
حنه ظهره يولي واشبك إيديه عليه وصاح خويه الله وأكبر

يخويه انكسر ظهري ولا أگدر أگوم وصرت مركز يخويه الكل الهموم
يخويه استوحدوني عگبك الگوم ولا واحد عليّ بعد ينغر

أأخيّ يُهنيك التّعيمُ ولم أخل ترضى بأن أرزى وأنت مننعم
أأخيّ من يمي بناتِ محمّدٍ إن صرّنَ يسترحمنَ من لا يرحمُ

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الدين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين

أبو الفضل العباس (ع) الكنى والألقاب

إذا كان ساقى الحوض في الحشر حيدرٌ
على أنّ ساقى الناس في الحشر قلبه
وقفث على ماء الفرات ولم أزل
علامك تجري لا جريت لوارِد
أما نشفت أكباد آل محمد
من الحق أن تذوي غصونك ذبلاً
فقال استمع للقول إن كنت سامعاً
برغمي أرى مائي يلدُ سواهم
جزى الله عنهم في المواساة عمهم
لقد كان سيفاً صاعه يمينه
ولم أرَ ظمِ حولَه الماء قبله
يميناً يميناك القطيعة والتي
بصبرك دون ابن النبي بكرِ بلا
ووافاك لا يدري أفقدك راعه

فساقى عطاشى كربلاء أبو الفضل
مريعٌ وهذا بالظما قلبه يغلي
أقول له والقول يحسنه مثلي
وأدركت يوماً بعض عارك بالغسل
لهيباً وما ابتلت بعلي ولا هُبل⁽¹⁾
أسى وحياءاً من شفاههم الذبل
وكن قابلاً عذري ولا تكثرن عذلي
به وهُم صرعى على عطش حولي
أبا الفضل خيراً لو شهدت أبا الفضل
علي فلم يحتج شباه⁽²⁾ إلى الصقل
ولم يرو منه وهو ذو مهجة تغلي
تسمى شمالاً وهي جامعة الشمل
على الهول أمرٌ لا يحيط به عقلي
أم الكون غالتُه المقادير بالشل⁽³⁾

(1) بعلي ولا هُبل قال في المنجد: عَلَّلَ بعد نَحَلَ أي الشرب المتوالي بعد الشربة الأولى فالشربة الأولى نَحَلَ والشرب المتكرر عَلَلَ.

(2) شباه : حَدُّ كلِّ شيء .

(3) الشَّلُّ : بيوسة اليد .

أخي كنت لي درعاً ونصلاً كلاهما فقدتُ فلا درعي لديّ ولا نصلي (1)

* * *

فگدك نحل عظامي ولي سل ودمعي ما جرى الغيرك ولي سل
جفاني ولا نشد عني ولي سل كقطع جبل المودّة وكقطع بيّه

* * *

بذلت أيا عبّاسُ نفساً نفيساً لنصيرِ حسينٍ عزّ بالنّصر من مثلِ
أبيتَ إلْتذاذَ الماءِ قبلَ التذاذه فحسنُ فعّالِ المرءِ فرغُ عن الأصلِ
فأنت أخو السبطينِ في يومِ مفخّرٍ وفي يومِ بذلِ الماءِ أنت أبو الفضلِ

(1) القصيدة من نظم المرحوم الخطيب الأديب الشيخ محسن أبو الحب الحائري.

قال السيد جواد شير في (أدب الطف) ج 7 ص 56:

الشيخ محسن خطيب بارع وشاعرٌ واسع الآفاق خصبُ الخيال.

ولد سنة 1235 هـ ونشأ بعناية أبيه وتربيته، ينحدر من أسرةٍ عربيّةٍ تعرف بآل أبي الحبّ تمتّ بنسبها إلى قبيلةٍ خنعم.

تدرّج على نظم الشعر ومحافل الأدب وندوات العلم، ولا سيّما مجالس أبي الشهداء (ع) فإنّها مدارس سيّارة، وهي من أقوى الوسائل لنشر الأدب وقرض الشّعْر، وشاعرنا الشيخ محسن نظم فأجداد، وأكثر من النوح والبكاء على سيّد الشهداء (ع)، وصوّر بطولات شهداء الطف تصويراً شعرياً لا زالت الأدباء ومجالس العلماء تترشّفه وتستعيده وتتذوّقه.

كتب عنه الشيخ محمد السماوي في كتابه (الطليعة) فقال:

محسن بن محمد الحويزي الحائري المعروف بأبي الحبّ كان خطيباً ذاكراً بليغاً متصرّفاً في فنون الكلام إذا ارتقى الأعواد تنقل في المناسبات المختلفة.

توفي في كربلاء ليلة الاثنين 20 ذي القعدة سنة 1305 هـ ودفن في الروضة الحسينية المقدسة إلى جوار مرقد السيد إبراهيم الحجاب.

عرف سيّدنا أبو الفضل العبّاس (ع) بكنى وألقابٍ كثيرة، منها ما كان له قبل الطّف، ومنها ما عرف به أثناء الطّف، ومنها ما عرف به بعد شهادته ودفنه.

أمّا الكنى التي عرف بها فهي:

1 - (أبو الفضل) وذلك من جهة أنّ له ولداً اسمُهُ الفضل، وكان (ع) حرّاً بها، فإنّ فضله لا يخفى ونوره لإخخاً يطفى (1).

أبا الفضلِ يأمّن أسسَ الفضلَ والإبا أبا الفضلِ إلّا أن تكون له أبا
وقال الشيخ عبدالواحد المظفر في كتابه (بطل العلقمي) إنّ هذه الكنية -أبا الفضل- قد اشتقت من فضائله، فإنّه (ع) قد توسّموا فيه سمات الفضل منذ الصغر وزمن الطفولة فلقبوه به، وكنّوه أبا الفضل عند ظهور تلك الامارات والدلائل وقد قيل:

قَلَمُ الْعُلَا قَدْ حَطَّ فَوْقَ جَبِينِهِ أَثَرُ التَّجَابَةِ سَاطِعِ الْبِرِّهِانِ (2)
2 - (أبو القاسم) وذلك من جهة أنّ له ولداً اسمُهُ القاسم ذكر ذلك المحقّق المظفر في (بطل العلقمي) حيث قال: محمّد والقاسم هما ولدا العبّاس (ع) ولا عقب لهما، واستشهدا مع عمّهما الحسين (ع) (3). وقد خاطبه

(1) العبّاس (ع) للمقرّم: ص 70.

(2) بطل العلقمي: ج 2 ص 9.

(3) بطل العلقمي: ج 3 ص 433.

ب هذه الكنية جابر بن عبدالله الأنصاري في زيارة الأربعين، قال: السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا عباس بن علي (1).

3 - (أبو قرية) (2) وذلك لحمله الماء في مشهد الطفّ أكثر من مرّة وقد سدّت الشرائع ومنع الورود على ابن المصطفى (ص)، ولكنّ أبا الفضل لم يرعه جمعهم، ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرّماح المشرعة ولا السيوف المجردة فجاء بالماء وسقى عيال أخيه الإمام الحسين (ع) وأصحابه (3)، وهذه الكنية عرف بها في أثناء الطفّ.
إذا كان ساقى الحوض في الحشر حيدرٌ فساقى عطاشى كربلاءً أبو الفضل
أما الألقاب:

عرّف النحويون اللقب فقالوا: هو ما أشعر برفعة المسمّى أوضاعته، فاللقب يكسب الإنسان شهرةً في المدح أو الذم، ومثال ما أشعر برفعة المسمى كالصّادق الأمين، وزين العابدين، وكاظم الغيظ وغيرها.
ومثال ما أشعر بضعفة المسمى: كالدوانيقي (4)

(1) العباس (ع) للمقرّم: ص 80 .

(2) ذكر هذه الكنية أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين: ص 55.

(3) العباس (ع): ص 80.

(4) لقب أبي جعفر المنصور الملك العباسي والدانقي بالفتح والكسر سدس الدرهم وجمع المفتوح دوانق، والمكسور دوانيق ولقب الدوانيقي لشدة تجلّه حتى أنّه كان يصرف في كلّ السّنة ألفي درهم!! ولما مات كان عنده من المال مائة ألف ألف درهم. (عن الكنى والألقاب)

والأعمش (1) والجاحظ (2) وغيرها، وهذا في العرب كثير، أمّا أهل البيت: فليس لهم لقبٌ ذمٌ أصلاً إنّما ألقبهم للمدح خاصّةً لأنّه لا عيب فيهم في حُلُق ولا حُلُق (3) قال الشاعر مخاطباً جدّهم رسول الله (ص):
وأحسنَ منك لم ترَ قطُّ عينٌ وأجملَ منك لم تلدِ النساءُ
خُلقت مبرّءاً من كلِّ عيبٍ كأنّك قد خُلقت كما تشاءُ
وأبو الفضل العباس (ع) ورقةٌ من تلك الشجرة الطيبة، وفرعٌ من ذلك الأصل الطاهر، فكانت ألقابه الشريفية الكثيرة ما أشعر برفعة المسمّى، ومن هذه الألقاب التي عُرف بها:

1) العبدُ الصّالح: وهذا اللقب الشريف منحه إياه الإمام أبو عبد الله الصادق (ع) في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي حيث يقول: (السلام عليك أيّها العبدُ الصّالح) وهذه الصّفة أرقى مراتب الإنسان الكامل، ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواظباً على العبادات المسقطه للواجب والرافعة للعتاب فحسب وأنّما نقصد منه ما إذا عبد الله تعالى حقّ

(1) الأعمش: لقبٌ لأبي محمّد سليمان بن مهران الأسدي معروف بالفضل والجلالة والتشيع والإستقامة، والعَمَش في العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها.

(عن الكنى والألقاب)

(2) الجاحظ: لقبٌ لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، كان مائلاً إلى العثمانية ويظهر النصب والعداء لأهل البيت (ع)، وكان قبيحاً دميماً، قال الشاعر:

لو يُمسَخُ الخنزيرُ مسخاً ثانياً ما كان إلا دون قبيح الجاحظ

والجاحظ: هو عظيم المقلة ناتئها.

(3) بطل العلقمي: ج 2 ص 11.

عبادته النَّاشئة عن فقهٍ وبصيرةٍ ومعرفةٍ بالمعبود الذي يجب أن يعبد من دون النظر إلى الثواب والعقاب، ولولا أنّ هذه الصّفة أسمى الصّفات التي يتّصف بها العبد لما خصّ الله تعالى أنبياءه بها، فقال سبحانه:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (2) وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (3).

وقد كان في وسع الباري تعالى أن يقول وهو يخاطب نبيّه محمد بن عبد الله (ص): وان كنتم في ريبٍ ممّا نزلنا على رسولنا ونحوه ممّا يدلّ على النبوّة والرّسالة، ولكن حيث كان حبيب الله وصفيّه فانياً في سبيل خدمة الحقّ تعالى لا يرى في الوجود غيره، استحقّ أن يهبه الباري تعالى أرقى صفة تليق بهذا المقام، ومن جانب آخر فأنّت لازلت تقول في الفرائض والتّوافل في اليوم والليلة في التّشّهّد: أشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، ولم تقل خاتم الأنبياء أو علّة الكائنات أو سرّ الموجودات أو حبيب الله حيث أنّك علمت أنّ أسمى هذه الصّفات وأجل ما يليق بالعبد حال اتّصاله برّبّه تعالى هو وصفه بالعبودية، فاعرف اذن أهميّة هذا اللقب الشريف لأبي الفضل العباس (ع) (4).

(1) سورة الإسراء / آية 1.

(2) سورة ص / آية 30.

(3) سورة ص / آية 45.

(4) العباس (ع) للمقرّم: ص 82 بتصرّف.

(2) قمر بني هاشم: لوضائته وجمال هيئته، وكان وجهه الكريم يضيء كالبدر المنير فلا يحتاج في الليلة الظلماء إلى ضياء (1). قال أبو الفرج الاصفهاني في (مقاتل الطالبين): وكان العباس رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض ويُقال له: قمر بني هاشم (2) والأشخاص الذين لقبوا بالقمر ثلاثة: عبد المطلب يلقب (قمر البطحاء)، وعبدالله بن عبدالمطلب والد النبي(ص) يلقب (قمر قريش)، والعباس بن علي بن أبي طالب: يلقب (قمر بني هاشم). وحسبك بمن يكون قمر هذه العشيرة الفائقة على عامة البشر بجمالها الباهر وحسنها الزاهر، وقد أكثر الشعراء من نعتة بالجمال في مراثيه الكثيرة، وأول من فتح لهم هذا الباب سيّد الشهداء أبو عبدالله الحسين(ع)، ففي (أسرار الشهادة) للفاضل الدرندي رحمته الله تعالى قال فيه الإمام الحسين(ع) لما وقف عليه:

أيا بن أبي نصحت أخاك حتى سقاك الله كأساً من رحيق
وياقماً منيراً كنت عوني على كل التوائب في المضيق (3)

(3) السقاء: وهو لقب نبيل اختص به أبو الفضل العباس(ع) حتى بلغ من شهرته أنه إذا أطلق هذا اللقب انصرف إليه، وقد شاركه فيه أبوه أمير المؤمنين(ع) وأسلافه الكرام.

(1) المصدر السابق: ص 81.

(2) مقاتل الطالبين: ص 56.

(3) بطل العلقمي: ج 2 ص 151.

والسَّقَايَةُ هي إرواء العطاشى من البشر في حالتي السِّلْم والحرب، وأشرفُها سقاية الحرب، وهي فضيلةٌ من الفضائل الإنسانية، وأحد المكارم والمآثر الشريفة واحد مفاخر العرب الممدوحة (1).
ومن أجل مجيء العباس (ع) بالماء إلى عيال أخيه الإمام الحسين (ع) وصحبه في الأيام العشرة من المحرم سَمِّي (السَّقَاء).

4) كبش الكتيبة: هو لقبٌ تطلقه العرب على مقدّم العسكر أميراً كان أو ملكاً، ولا يطلق الكبش في الحرب عند العرب إلا على مَنْ تكاملت فيه سمات البطولة وجمعت فيه صفات الرجولة، وهذا اللقب اختصَّ به أبو الفضل العباس (ع) دون سائر شهداء كربلاء، وقد اختصّه بهذا اللقب أخوه الإمام الحسين (ع) وجعله من ألقابه المميّزة، وعرف بهذا اللقب قبل أبي الفضل العباس بن علي (ع) رجلان من العرب، أحدهما بطل المشركين بلا منازع وهو طلحة بن أبي طلحة القرشي كان يلقَّب كبش الكتيبة قتله أمير المؤمنين (ع) يوم أُحد فسُرَّ بقتله رسول الله (ص)، وبقتله قُلت شوكة المشركين وكُسر حدّهم، والثاني هو بطل المسلمين غير مدافع مالك بن الحارث الأشتر النخعي؛ صاحب أمير المؤمنين (ع) علي بن أبي طالب (ع)، وكان يلقَّب أيضاً ب (كبش العراق) (2).

5) حامي الطّعينَة: هذا لقبٌ مشهورٌ شائع اطلاقُهُ على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين (ع) قال السيد جعفر الحلي في تأيينه:

(1) بطل العلقمي: ج 2 ص 12.

(2) بطل العلقمي: ج 2 ص 53.

حامى الطعينة أين منه ربيعة أم أين من عليا أبيه مكدّم

وقد حُصَّ بهذا اللقب للفرق بينه وبين أخيه سيّد الشهداء الإمام الحسين (ع) الملقّب بحامي الإسلام وحامي الشّرع المقدّس، ورتبة العباس (ع) دون رتبة الحسين (ع) وحماية الطعينة أدنى من حماية الشريعة الغراء رتبةً، ومن جهةٍ ثانية ان الإمام الحسين (ع) هو الأمير والسيد والقائد ولا يباشر كل المهمّات بنفسه وأنّه لا بُدّ للرئيس من معتمدٍ يقوم مقامه وينوب عنه في المهمّات ويكون من أهل الكفاءة وله الأهلية في القيام بواجبه ليحصل الاعتماد في ما رشّح له وحيث لم يكن عند سبط النبي (ص) أهم من القيام بحياطة العائلة المخدّرة وحمايتها وحفظها في تلك الفيا في الموحشة والمفاوز المقفرة وكان من أوثق القادمين معه في نفسه أخوه العباس الأكبر وابنه علي الأكبر، فكانا يقومان بترحيل العائلة وانزاهما ويتوليان حراستها مع فتیان العلويين، وكانت حماية العباس (ع) للطعائن من حين سار الإمام الحسين (ع) من المدينة إلى أن نزل الغاضرية وكذلك العشرة أيام التي أقامه (ع) في كربلاء حتى استشهد، وكان العباس (ع) أمير الحرس الحسيني الذي يقوم بحماية المخيم⁽¹⁾.

6) حامل اللواء: لقد شاع هذا اللقب بين التّاس، وعرفه المسلمون القدماء بحامل لواء الحسين (ع)، وكان هذا اللقب أشهر ألقاب أبي الفضل العباس (ع)، لأنّ ذلك قد صدر من أخيه الإمام الحسين (ع) فعلاً وقولاً أما الفعل فقد دفع إليه لواءه باتّفاق حملة الأثر وأهل العلم بالخبر، وأما القول

(1) المصدر السابق نفسه: ص71.

فقد تكرر منه (ع) مراراً منها لما أراد أبو الفضل (ع) الحملة على الأعداء قال له الإمام الحسين (ع): أنت حامل (1) لوائي، ومنها لما وقف عليه صريعاً وقد أكثر الشعراء في ذكره بحامل اللواء قال أحدهم عن لسان الإمام الحسين (ع):

لمن اللوا أعطى ومَن هو جامعٌ شملي وفي ضنكٍ (2) الزحام يقيني
(ع) باب الحوائج: اشتهر سيّدنا أبو الفضل العباس (ع) بين الخاصّة والعامة بأنّه باب (3) الحوائج لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات ولنعم ما قال المرحوم السيّد حيدر الحلي:

باب الحوائج ما دعتُهُ مروعةٌ في حاجةٍ إلا ويقضي حاجها
بأبي أبا الفضل الذي من فضله السامي تعلّمت الورى منهاجها (4)
حدّثني المرحوم الحاج السيّد ناصر الحلو - أبو عدنان - أنّ الشاعر المرحوم الشيخ كاظم السوداني حدّث والدي فقال: ذهبْتُ إلى كربلاء في احدى زيارتي لها، وقدمت باب الحوائج أبا الفضل العباس (ع) في الزيارة حيث كنّا نعتبره باب الحسين (ع):

(1) أنظر: ابصار العين للسماوي: ص 29.

(2) الضنك: الضيق من كل شيء.

(3) المعروف بين المؤمنين أنّ أبواب الحوائج أربعة - وإن كان أهل البيت: كلّهم أبواب الحوائج وهم: الإمام باب الحوائج موسى بن جعفر (ع)، وسيّدنا أبو الفضل العباس (ع)، وسيّدنا مسلم بن عقيل (ع)، ورضيع الإمام الحسين عبد الله (ع).

(4) العباس (ع) للمقرّم: ص 81.

أبا الفضل أنتَ البابُ للَسَّبِطِ مثلما أبوك عليٌّ كان باباً لأحمدَ

يقول: عندما دخلت الحرم الشريف لفت نظري وجود امرأة جالسة قريب الضريح المطهر وبين يديها صبي نائم عمره حدود 12 سنة، والمرأة - الأم - تتكلم مع أبي الفضل (ع)، وكان كلامها عتاباً شديداً مرّاً، وصوتها مسموع بشكلٍ واضح، فأدهشتني طريقة الحديث مع أبي الفضل (ع) لأنّها حادّة وفيها عتاب شديد، فرأيت رجلاً بجني فجنّت إليه وقلت له: ألا تسمع هذه المرأة كيف تتكلم مع سيّدنا أبي الفضل (ع) هذه الطريقة غير مناسبة في حضرة هؤلاء الأطهار؟ فقال لي: هذه المرأة زوجتي وهي ابنة عمّي ولم تمض على زواجي منها مدّة حتّى رزقني الله تعالى منها ولداً ذكراً سوياً ولكنه عندما وصل إلى السنة الثالثة من عمره مرض ومات، فحزنت عليه أمّه فعزّيتها وهوّنت الأمر عليها وقلت لها لا زلنا شباب والله تعالى كريم وكما رزقناه سيرزقنا آخر بخيرٍ وعافية، وفعلاً حملت بالثاني وولدت ذكراً سوياً ولكنّه ما وصل إلى الثالثة حتّى مرض كأخيه ومات، وهكذا الولد الثالث، فقلت لها ليس لنا إلا باب الحوائج أبو الفضل العباس (ع) قومي نذهب إليه ونتوسّل به ليرزقنا الله تعالى ولداً يدفع عنه الأمراض والأسقام، وفعلاً جنّنا لزيارة أبي الفضل (ع) وطلبنا منه طلبتنا بحالة البكاء والحزن، وعدنا إلى المنزل وحملت زوجتي وولدت مولوداً سوياً وكبير الصّبي وتجاوزه عمره ثلاث سنوات وأربع وخمس وهو بصحّة جيّدة حتى وصل

إلى هذا العمر فظهرت عليه نفس أعراض المرض الذي مات بسببه أخوته قبله فقلنا ليس لنا باب إلى الله تعالى إلا باب العباس (ع) حيث حصلنا على هذا الولد ببركة التوسّل به ونحن نريده منه.

قال: فتعجّبت من ذلك، وتألّمت لحال الأم والأب ثمّ ودّعته وذهبت لزيارة الإمام الحسين (ع) وعدت إلى المنزل وفي تلك الليلة رأيتُ رؤيا عجيبة وهي:

رأيت كأني دخلت إلى حرم الإمام الحسين (ع) وإذا بالنبيّ الأكرم (ص) وأمير المؤمنين (ع) وسيّدة النساء والإمامين الحسن والحسين عليهما أفضل الصلاة والسلام جلوس والنور يشرق منهم كأنهم الأقمار الزاهرة، فوقفت أتأمل المنظر وإذا برجل بهي المنظر جميل الوجه يشرق منه النور لم أر في حياتي هكذا إنسان ولا؛ ددّ أستطيع أن أصفه ولكيّي أقول هو من أهل الجنة لا من أهل الدنيا فعندما وصل قريباً منهم قام النبيّ إليه وقام أهل البيت: وإذا هو باب الحوائج أبو الفضل العباس (ع) فسأله رسول الله (ص) عن سبب مجيئه فقال: أريد أن أعرف مصير هذا الولد فإنّ أمّه تتوسّل إلى الله تعالى بي، وإذا بالنبيّ (ص) يخبره عن قرب موت الصبيّ وهذا هو المقدّر فقال أبو الفضل: سيّدي يارسول الله أخبر ربّك تعالى أنه ائنا أن يشفى هذا الصبيّ واما يرفع عني لقباً عرفت به بين الناس ونشره تعالى وهو باب الحوائج وإذا بالنبيّ قد قام وذهب ثمّ عاد وهو يقول: أقر الله عينيك يا أبا الفضل أنت باب الحوائج إلى الله تعالى والولد يُعافى ويعود إلى والديه، عندها عاد أبو الفضل (ع) وهو يشرق فرحاً وسروراً، يقول السوداني:

فاستيقظت وإذا بصوت المؤذن يرفع أذان الفجر. فأسبغت الوضوء وأسرعت لحرم أبي الفضل (ع) وإذا بالمرأة جالسة والولد بين يديها دنوت منها سلّمت عليها وقلت لها: أبشري بشفاء الولد ببركة قمر بني هاشم (ع) فرفعت رأسها ودعت لي بالخير ولكنها غير مصدّقة قال: فتنحّيت وجلست في مكان بحيث أشاهد المرأة وابنها فما مضت مدّة طويلة وإذا بالولد المريض يحرك رجله ثمّ يده ثمّ رأسه ويفتح عينيه والأم تنظر إليه بدهشة وإذا به يجلس. وأول شيء فعله قام وتمسك بضريح أبي الفضل فرفعت المرأة صوتها بالهلاهل وكادت أن تموت لشدّة الفرح، فتجمّع الناس على الولد وأخذوا من ثيابه قطعاً يتبركون بها.

أقول: لهذه الفضائل والكمالات، والأوصاف والألقاب، جعله الإمام الحسين (ع) آخر أصحابه وأهل بيته، وهو حامل اللواء. وأشرف من في العسكر بعد أخيه الإمام الحسين (ع)، وهو جيشٌ وحده، ولكنّ المقدّر كائن، والشهادة في سبيل الله تعالى تاجٌ على رؤوس أولياء الله وخاصّته، ولهذا ترجّل لها أبو الفضل (ع) وذهب إلى المشرعة وعميون الحسين وأخواته تشيّعها فما غاب كثيراً وإذا بالراية الخفاقة تسقط على الأرض فعلم الإمام أنّ أخاه سقط فجاءه ولكن بأية حالة:

تعنّنه من الخيم للعلكمي حسين يصيح بصوت يعضيدي وكعت وين
بعدهما شوف دربي ياضوه العين يخويه الكون كلّه بعيني أظلم

فلما وصل إليه رآه بتلك الحالة التي تعزّ على كلّ موالي ومحب فعندها قال كلمته المعروفة: الآن انكسر ظهري،
وقلّت حيلتي، وشمّت بي عدوّي، ولسان الحال على طريقة الحدي:

يكلّله يعبّاس الأخسو	ظهري انكسر من شوفتك
نايم على حرّ الفلا	وحيلي انهدم من نومتك
مقطعة كفوفك والعمد	يعض يدي هتّهم هامتك
وجسمك معقّر بالترب	والسهم فاري غربتك
لولا السهام مجمّعة	بنفسي أقبل جبهتك

هذه أمنية - على لسان الشاعر - ما تحققت حيث أراد الإمام الحسين (ع) توديعه بتقبيل جبهته ولكن منعه
السهام المتجمّعة عليه، وللعباس أمنية أيضاً اسمعها بلسان الحال:

ون العضيد وناشده	تصعب عليّ حالته
وحدهك يبو سكينه تظلل	وهذي الأعادي حاطتك
هكذا أمر الله ونزل	وبأمره تعاني بغربتك
أدري صرت محني الظهـر	ريحمة الخوّة جابتك
لوما دمه عيني جمـد	بنفسي أشوفن غرتك

وقضى إلى جنبِ الفراتِ ورأسه
وقضى إلى جنبِ الفراتِ وعينه
وقضى إلى جنبِ الفراتِ وجسمه
بعمودٍ حقدٍ هشمتهُ لئامها
أسفي عليها قد طفتها سهامها
بسيوفٍ بغبي خدّمته طعّامها⁽¹⁾

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين

(1) طَعَام: هم أوغاد الناس

منزلة العباس بن علي (ع)

عبست وجوه القوم خوف الموت
 قلب اليمين على الشمال وغاص في الـ
 وثني أبو الفضل الفوارس نُكصاً
 بطل تورث من أيه شجاعة
 عرف المواعظ لا تفيد بمعشر
 وانصاع يحطم بالجماجم والكلا
 بطل إذا ركب المظهم خلته
 قسماً بصارمه الصقيل وإنني
 لولا القضا لمحى الوجود بسيفه
 وهوى بجنب العلقمى فليتة
 فمشى لمصرعه الحسين وطرفه
 فأكب منحنيماً عليه ودمعه
 قد رام يلهته فلم ير موضعاً
 نادى وقد مالاً البوادي صيحة

والعباس فيهم ضاحك يتبسّم
 أوساط يختطف النّفوس ويحطم
 فرأوا أشدّ ثباتهم أن يهزموا
 فيها أنوف بني الضلالة ترغم
 صموا عن النبأ العظيم كما عموا
 والسيف ينثر والمنقف ينظم⁽¹⁾
 جبلاً أشم يخف فيه مطهم⁽²⁾
 في غير صاعقة السما لا أقسىم
 والله يقضي ما يشاء ويحكّم
 للشارين به يُداف العلقم
 بين الخيام وبينه متقسيم⁽³⁾
 صبغ البسيط كآتما هو عندم⁽³⁾
 لم يدمه عَضُّ السّلاح فيلثم
 صم الصخور لهولها تتأم

(1) المنقف: هو الرمح في عرف الشعراء.

(2) جواد مُطهم: أي تام الحسن.

(3) العندم: خشب نبات يُصبغ به. (المنجد)

أَخِي يُهْنِيكَ التَّعْمِيمُ وَلَمْ أَحُلْ تَرْضَى بَأَنْ أُزْرَى وَأَنْتَ مَنْنَعْمُ
أَخِي مَنْ يَحْمِي بَنَاتِ مُحَمَّدٍ إِنْ صِرْنَا يَسْتَرْجِمُنْ مَنْ لَا يَرْحَمُ

* * *

يَعْبَسُ لِمَنْ صَدَّتْ الْعَيْنُ مَنِّي لِعَدِّ إِيْدِيكَ الْإِثْنَيْنِ
دَمَهْنَ يَسِيلُ أَوْشَفَتْ كَفَيْنِ فَوَكَّ الثَّرَهَ نَادَيْتَ صَوْتَيْنِ
وَاحِدٌ نَوَاعِي أَوْ وَاحِدٌ وَنَيْنِ يَعْبَسُ صَارَتْ طِيحْتُكَ وَيْنِ
يَعْبَسُ أَنَّهُ عَضِيدُكَ حَسَيْنِ وَسَفَةَ يَفْرُغُ بَيْنَهُ الْبَيْنِ

* * *

روى الشيخ الصدوق - رحمه الله تعالى - في (الخصال): عن أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين (ع):
(إِنَّ لِعَمِّي الْعَبَّاسَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْزَلَةً يَغْبِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشَّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (1).
لا ريب أنَّ المنزلة تكون بنيل الفضيلة، ونيل الفضيلة عند الله تكون بالطاعة له، وتعلو المنزلة وتسمو الفضيلة
بكثرة الأعمال الخيرية، فكلما كان الإنسان حريصاً على تحصيل الفضل مجتهداً في الطاعة كثير الخيرات يكون عند الله
عظيم المنزلة كبير الفضيلة سامي الدرجة (2).

لقد أثبت الإمام زين العابدين (ع) بهذه الرواية الشريفة لأبي الفضل العباس (ع)

(1) الخصال ج 1 ص 68 ح 101.

(2) بطل العلقمي ج 3 ص 384.

منزلةً كبرى لم ينلها غيره من الشهداء ساوى بها عمّه الطيّار جعفر بن أبي طالب (ع) فقال (ع):
رحمَ الله عمّي العباس بن علي (ع) فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده فأبدله الله بجناحين يطير
بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وأنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلةً يغبطُهُ عليها جميع
الشهداء يوم القيامة.

ولفظ (الجميع) في هذه الرواية الشريفة يشمل مثل حمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب. ولعلّ ما جاء في
زيارة الشهداء يشهد له (السلام عليكم أيّها الرّبّانيّون أنتم لنا فرطٌ (1) ونحنُ لكم تبع وأنصار، وأنتم سادة الشهداء في
الدنيا والآخرة) (2).

فقد أثبت لهم السيادة على جميع الشهداء، وأنهم لم يسبقهم ولا يلحقهم أي أحد وأبو الفضل العباس (ع) في
جملتهم بهذا التفضيل، وقد انفرد عنهم بما أثبتّه له الإمام السجّاد (ع) من المنزلة التي لم تكن لأيّ شهيد، فيصبح بهذا
في محلّ يغبطُهُ عليه جميع الشهداء يوم القيامة.

مقامٌ له عند المهيمِنِ شامخٌ	وقدرٌ رفيعُ الشانِ ما مثلهُ قدرُ
لقد خلّدَ الرّحمَنُ في الدّهرِ ذِكرَهُ	وما الفضلُ إلّا ما أشيد له الذّكرُ
وفي الحشرِ لم يُعطى شهيدٌ عطاءهُ	لذا صارَ مغبوطاً وهذا له سرُّ

(1) فرطاً: سبق وتقدّم.

(2) العباس (ع) للمقرّم عن كامل الزيارة.

ومّا يدلّ على منزلته العالية هو مشاطرته ومشاركته لأخيه الإمام الحسين(ع) في تغسيل الإمام الحسن المجتبي(ع)، وأنت بعدما علمت مرتبة الإمامة وموقف صاحبها من العظمة وأنّه لا يلي أمره إلاّ إمامٌ مثله علمت مرتبة أبي الفضل العباس(ع) وأنّه أعظم رجل في هذا العالم بعد أئمة الحق والهدى: وأنه تالي المعصومين في الرتبة، لأنّ جثمان المعصوم بعد موته وعند تغسيله لا يمكن أن يقرب أو ينظر إليه إلاّ من قرّب من تلك الرتبة العالية للمعصومين:، ومّا يشهد له أنّ الفضل بن العباس بن عبدالمطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النبي(ص) معاوناً لأمير المؤمنين(ع) على غسله ولكنّه عصّب عينيه بعصابة خشية العمى إن وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر (1).

يقول المحقق المقرّم في ذلك: وهذه الأسرار - أي عدم قدرة الإنسان العادي النظر إلى جسد المعصوم بعد الموت - لا تصل إليها أفكار البشر وليس لنا إلاّ التسليم، ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرد بعدنا عن ادراك مثلها خصوصاً بعد استفاضة النقل - الأحاديث - في أنّ للنبيّ والأئمة عليهم الصلاة والسلام بعد وفاتهم أحوالاً غريبة ليس لسائر الخلق معهم شركة (2).

ومّا يدلّ على منزلته العالية قول الإمام أبي عبدالله الحسين له(ع) لما زحف القوم على محيّمه عشية التاسع من المحرم قال: إركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم وتسالهم عمّا جاءهم، فاستقبلهم العباس(ع) في

(1) العباس(ع) للمقرّم: ص124 - 125 بتصرّف.

(2) المصدر السابق: ص125.

عشرين فارساً فيهم حبيب بن مظاهر وزهير بن القين وسألهم عن ذلك فقالوا إنّ الأمير يأمر إما النزول على حكمه أو المنازلة، فأخبر أبو الفضل أخاه أبا عبد الله (ع) فأرجعه ليرجئهم إلى غد (1).

أقول: يحارّ الإنسان ويعجز عن معرفة شخصية أبي الفضل (ع)، والإمام الحسين (ع) علّة الكائنات يفديه بنفسه في هذه الكلمة الثمينة السامية ولكي أكتفي بذكر كلمة للعلامة المقدّس مرجع الإماميّة العام في عصره هو المرجوم الشيخ محمّد طه نجف رحمته الله تعالى الموجودة في كتاب (الإتقان) فإنها عظيمة عند التأمل وافية بالمطلوب بلغت على وجازتها ما لم تبلغه المطوّلات من العبارات وهذا نصّها: العبّاس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أبو الفضل هو أجل من أن يذكر في المقام - وهو قسم الثّقات من الأصحاب - بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام (2).

وفي الرواية عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) قال: كان عمّنا العبّاس ابن علي (ع) نافذ البصيرة، صُلّب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله (ع) وأبلى بلاءاً حسناً ومضى شهيداً (3).

وهنا ظاهرة أخرى دلّت على منزلة كبرى للعباس عند سيّد الشهداء (ع)، وذلك لما اجتمع الإمام الحسين (ع) بعمر بن سعد ليلاً وسط

(1) المصدر السابق: ص 127 عن المؤرخ الطبري.

(2) بطل العلقمي: ج 3 ص 493.

(3) ابصار العين في أنصار الحسين للشيخ محمّد السماوي: ص 26.

العسكريين لإرشاده إلى سبيل الحق وتعريفه طغيان يزيد بن معاوية وتذكيره بقول الرسول(ص) في حقه أمر(ع) مَنْ كان معه بالتنحّي إلّا العباس وابنه علي الأكبر وهكذا صنع ابن سعد حيث أبقى ابنه وغلّامه. أراد(ع) في هذا أن يوعز إلى الملاء من بعده ما لأبي الفضل وعلي الأكبر من الصّفات التي لاتحدّها العقول.

ومن هنا فلو رمت تحليلاً لتأخّر شهادة العباس(ع) عن جميع الشهداء وهو حامل تلك النّفس النّزاعة إلى الفداء دون الدّين، ذلك لأهميّة موقفه عند أخيه السبط، فإنّ سيّد الشهداء يعدّ بقاء العباس(ع) من ذخائر الإمامة، وإنّ موتته تفتّ في العصد يقول له: (وإذا مضيت تفرّق عسكري) حتى أنّه في الساعة الأخيرة لم يأذن له إلّا بعد أخذٍ ورد (1).

ومما يدلّ على منزلته بل على رتبةٍ تضاهي رتبة المعصومين ذلك لما حضر الإمام السّجاد(ع) لدفن الأجساد الطاهرة ساعدهُ بنو أسد في نقل الجثث الزواكي إلى محلّها الأخير عدى جسد الإمام الحسين وسيّدنا العباس(ع) فقد تولّى وحده انزالهما إلى مقرّهما واصعادهما إلى حظيرة القدس وقال لبني أسد عندما طلبوا أن يساعده (إنّ معي مَنْ يعينني) أمّا الإمام فالأمر فيه واضحٌ لأنّه لا يلي أمره إلّا إمامٌ مثله، ولكنّ الأمر الذي لا نكاد نصل إلى حقيقته هو فعله بعمّه أبي الفضل مثل ما فعل بأبيه الوصي، وما ذلك إلّا لمنزلة العباس(ع) (2).

(1) العباس(ع) للمقرّم: ص128.

(2) العباس للمقرّم: ص129 عن (الإيقاد) للسيد محمّد علي شاه عبدالعظيمي.

هذا في الدنيا وأما في الآخرة فإنّ الصديقة فاطمة (ع) لا تبدأ بالشكاية بأيّ ظلامٍ من ظلمات آل محمد (ص) وهي لا تحصى إلا بكفي أبي الفضل المقطوعتين (1).

وهأنحُ قد وصلنا إلى نهاية هذا المجلس. ولكن يجدر بنا أن لا ننهي المجلس إلا بذكرِ كرامةٍ من كرامات باب الحوائج أبي الفضل العباس (ع) لتقوى قلوبنا، ويشتدّ إيماننا، وتزداد بصائرنا والكرامة هي أنّ رجلاً مؤمناً كان يحمل قربة الماء على ظهره في أيام المحرم وذلك بمدينة كربلاء ويسقي منها الزوّار، وأرباب العزاء والتّاديبين على الحسين والباكين ومحبي شعائر الله تعالى وكان لهذا الرجل ابنٌ وُلِدَ ناقصاً بحيث صار له من العمر أحد عشر عاماً وهو لا يستطيع الوقوف على قدميه فضلاً عن المشي ويزحف على يديه ورجليه، وفي ليلة التاسع من المحرم أخذ هذا الرجل القربة وتهيأ للذهاب لسقي محبي أبي عبد الله الحسين وأبي الفضل العباس (ع) بالماء وقبل أن يذهب قال له ابنته المريض: أبه إلى أين تذهب؟ قال له: ولدي الليلة تأسوعاء الحسين وأنا ذاهب أسقي المعزّين الماء على حبّ الحسين (ع) فقال: أبه ما أراك أخذتني معك مرّةً لأشارك في عزاء أهل البيت، أبه أليس العباسُ باباً من أبواب الحوائج؟ قال الأب: نعم قال الابن: إذن خذني معك هذه الليلة واطلب شفائي من الله تعالى ببركة مخدومك باب الحوائج أبي الفضل (ع) قال الأب: فتحيّرت ولم أدري ما أصنع حيث فاجأني بطلبه هذا، ولكن نزلت عند رغبته فحملتُ القربة على كتفٍ وعلى الكتف

(1) المصدر السابق: ص 129.

الآخر حملت فلذّة كبدي المريض المقعد وجئت أسعى حتى وصلت إلى أهل العزاء فملأْتُ القربة ووقفت أمام المعزّين وقلت لهم: جئتم هذه الليلة ومعى ابني المريض وقد قال لي في المنزل كلمةً انصدع منها قلبي، أيّها المعزّون إذا شافى مخدمى أبو الفضل (ع) ولدى هذا فهو المطلوب، وإن لم يشفِ ولدى فسأترك سقاية الماء، وأضع القربة جانباً، قلت هذا وتحزّك العزاء الحسينى بأكمله، وقد أدّيت وظيفتي في سقاية الماء كأحسن ما يكون تلك الليلة حتى انتصف الليل، وتفرّق المعزّون، فنظرت إلى ابني وإذا هو على حاله لم يتحسن فجرت دموعى على خديّ وقلت ثانياً بألمٍ وحسرة إذا لم يُشافِ ولدى فسأترك سقاية الماء في عزاء أهل البيت:، ثمّ حملت ابني وجئت به إلى الدار وجلسنا في الحجرة فكنت انظر إليه وأبكي وهو ينظر إليّ ويبكي حتى بكينا كثيراً، وإذا به يقول لي: أبة كفّ عن البكاء واعذرني ان آذيتك هذه الليلة لعلّ الله لا يرى مصلحةً في شفائي ثمّ قال: اللهم إن كان هذا يرضيك فهو يرضيني فألمني أكثر بكلامه ثمّ قمت من عنده وذهبت إلى حجرتي ولكني لم أهدأ فبقيت أبكي وأبكي حتى نمت على هذه الحالة ولم أستيقظ إلا على صوت ولدى وهو يصيح: أبة أسرع إنّ مخدمك ساعدني، أبة إنّ سيدي العباس شافاني فقامت مسرعاً وفتحت باب غرفته وإذا بي أراه واقفاً على قدميه ولأول مرّة في حياتي أراه واقفاً فضممته إلى صدري وقلت له: ولدى عزيزي أخبرني ما الذي حدث؟ قال: عندما خرّجت من الحجرة وبقيت وحدي أبكي فبينما أنا كذلك وإذا أرى الحجرة وقد امتلأت نوراً ساطعاً ورأيت رجلاً مهيباً أمامي وهو يقول لي: قم

وقف على قدميك قلت: سيدي لا أستطيع القيام أنا مريض قال لي قل مرة واحدة يا أبا الفضل وقم فقلت: يا أبا الفضل وقمت على قدمي وغاب عني أبه لم يردّ العباس طلبنا قال الأب: فحملت ابني على كتفي وخرجت إلى الناس وأنا أصبح بصوت عالٍ: أيها المعزّون إنّ العباس الوفي شافي ولدي هذا، وعاد يسقي الماء على حبّ أبي الفضل (ع) (1).

وتعال معي للبكاء على مصيبتيه (ع) قال السماوي في (ابصار العين): لما رأى العباس (ع) وحدة أخيه بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته قال لأخوته من أمه: تقدّموا لأحتسبكم عند الله تعالى فتقدّموا حتّى قتلوا فجاء إلى الإمام واستأذنه في القتال فقال له: أنت حامل لوائي فقال: لقد ضاق صدري وسئمت الحياة فقال له: إن عزمتم فاستسقى لنا ماءً، فأخذ قريته وحمل على القوم حتّى ملأ القربة قالوا: واغترف من الماء غرّة فتذكّر عطش الحسين (ع) فرمى الماء من يده وقال:

يانفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكـوني
هـذا الحسين وارء المنون وتشربين بارد المعين
ثمّ عاد فأخذوا عليه الطريق فجعل يضربهم بسيفه وهو يقول:
لا أرهب الموت إذا الموت رقـا حتّى أوارى في المصـاليت (2) لقمى

(1) عن كتاب (جهره درخشان) باللغة الفارسية للشيخ علي ربّاني الخلحالي : ص 389 - 390.

(2) المصاليت: الشجعان.

إني أنا العباسُ أغدو بالسِّقاً ولا أهابُ الموتَ يومَ الملتقى
فضربه حكيم بن طفيل السنبسي على يمينه فقطعها فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتمــوا يمينــي
وعن إمامٍ صادقٍ اليقــين
إني أحامي أبداً عن ديني
سبطِ النبيِّ الصادقِ الأمينِ

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فقطعها فضمَّ اللواءَ إلى صدره وهو يقول:

يانفسُ لا تُخشِّي من الكفار
قد قطعوا بغيهم يساري
وأبشري برجمة الجبار
فأصلهم ياربِّ حرِّ النار

فحمل عليه رجلٌ تميمي فضربه بعمود على رأسه فخرَّ صريعاً إلى الأرض، ونادى بأعلى صوته أدركني يا أخي، فانقضَّ عليه أبو عبدالله كالصقر فرآه مقطوعاً اليمين واليسار مرضوخ الجبين مشكوك العين بسهم مرتثاً بالجراح فوقف عليه منحنياً وجلس عند رأسه يبكي (1).

ولسان الحال:

يعباس هذا حسين يَمُّك
حائر ييــو فاضل بلمَمَك
يبكي وخط دمه به بدمك
وسكنة تسكت الطفل بسمك

ساعة ويحب الماي عمك

(1) ابصار العين: ص 29 - 30.

يقولون: بينما الحسين(ع) عند أبي الفضل وإذا بامرأة خرجت من المخيم شابكةً عشرها على رأسها وهي تنادي
وأخاه وعبّاساه فترك الإمام الحسين أخاه العبّاس(ع) في مكانه ولم يحمله ودنى وإذا بها العقيلة زينب فقال لها: إلى
أين ارجعي قالت: أراك جئتني وحدك أين ابن والدي فاختنق الإمام بعبرته ولسان الحال:

يگللهه يزینب راح عبّاس راح الضیغم اللی یرفع الراس
وظل یبکی علیه الدرع والطاس

فعندما سمعت ذلك كأني بما أرادت أن تأتي إلى مصرعه وتلقي عليه نظرة الوداع فمنعها الإمام وهو يقول إلى أين؟
قالت بلسان الحال:

أنه رایحة العبّاس أشوفه ورّكب اعلاه زنوده كفوفه
أخوي وعلی زاد معروفه كفیّل الحرم وشلون أعوفه
وعندما سمعت سکینة نادت بلسان الحال:

عبّاسُ یاراعی الشریعة والحرم بجماک قد نامت سکینة فی الخیم
صرخت ونادت یوم قد سقط العَلَمُ
الیوم نامت أعینُ بک لم تنم وتسهدت أخرى فعزّ منامها

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

التفكير والإعتراب

يادوحه المجد من فهير ومن مُضَرِ
 مهذب الخلق والأخلاق إن تره
 قد أحذقت فيه آلاف يصول بها
 ما اخضر عارضه ما دب شاربه
 فاغتيال مفرقه الأزدى بمرففه
 إن ييكه عثمه حزنأ لمصرعه
 ياساعد الله قلب السبط ينظره
 لابن الزكي الا يامقلتي انفجري
 قد كنت أحذر أتي لا أراك على
 ما كنت أمل في الرضاء أبصره
 ما كنت أمل أن أبقى وأنت على
 مرملاً منذ رأتة رملة صرخت
 خلفت والدة وهى محيرة
 بني تقضي على شاطي الفرات ظماً
 بُني في لوعة خلفت والدة

قد جف ماء الصبا من عُصنك النَّظير
 كأنه ملك في صورة البشر
 كأنه أسد قد شد في حُمُر⁽¹⁾
 لكن جرى القدر الجاري على القدر
 فخر لكن بخد منه منعفر
 فما بكى قمر إلا على قمر
 فرداً ولم يبلغ العشرين في العمر
 من الدموع دماً يامهجتي انفطري
 وجه الصعيد ولكن جاءني حذري
 ياليت فارقني من قبل ذا بصري
 حر الصعيد ضجيع الصخر والحجر
 يامهجتي وسروري يا ضيا بصري
 مدهوشة ليس من حام ومنتصر
 والماء أشربه صفواً بلا كدر
 ترعى نجوم الدجى في الليل بالسهر⁽²⁾

(1) الحُمُر: جمع حمار وهو الحيوان المعروف.

(2) القصيدة من نظم المرحوم السيد صالح الحلبي 1، وقد تقدمت ترجمته ص 74.

ردتك ما ردت دنيه ولا مال تحضرنى لو وكع حملي ولا مال
يقاسم خابت ظنوني ولا مال عند الضيق يبني أقطعت بييه

* * *

(روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة) (1).

أوجد الله تعالى المخلوقات جميعاً وجعل الإنسان سيدها، والذي ميّز الإنسان عن سائر المخلوقات هو العقل، إذ لولاه لما صار الإنسان أشرف المخلوقات والتفكّر الذي نتحدّث عنه هو نتاج هذا العقل، وقد مدحته الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وحبّبت إلى الناس التفكّر والتدبّر.

ففي القرآن الكريم على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (2) وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَنَّتِي وَأَفْرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لِّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (3) وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (4) وغيرها كثير.

(1) لعالي الأخبار للتسيركاني 1: ج 1 ص 184.

(2) سورة آل عمران: الآية 190 - 191.

(3) سورة سبأ: الآية 46.

(4) سورة الروم: الآية 8.

وأما ما جاء في السنّة الشريفة ففي الخصال عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) أنّه قال: كان أكثر عبادة أبي ذرّ - رحمة الله عليه - حَصَلْتين: التفكّر والاعتبار (1).

وعن أمير المؤمنين (ع) قال: تبه بالتفكّر قلبك، وقال: لا عبادة مثل التفكّر، وقال: التفكّر يدعو إلى البرّ والعمل به وأنّه مرآة صافية (2).

وعنه (ع) قال: من ألزم قلبه الفكر، ولسانه الذّكر ملاً الله قلبه إيماناً ورحمةً ونوراً وحكمة، إنّ الفكر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن عجائب المنطق في الحكمة، فتسمع له أقوالاً يرضاها العلماء ويخشع لها العقلاء، ويعجب منها الحكماء (3).

والتفكّر هو عملية جولان بين المعارف للحصول على معرفة جديدة، فإذا حصلت عند الإنسان معرفة وازدوجت مع معرفة أخرى حصل منهما نتاج آخر لم يكن موجوداً، وهكذا تتمادى العلوم والمعارف، ويتمادى الفكر، مثال ذلك: مَنْ مالت نفسه إلى الدّنيا وأراد أن يعرف أنّ الآخرة أولى بالإيثار من الدّنيا فله طريقان: أحدهما: أن يسمع من غيره أنّ الآخرة أولى بالإيثار من الدّنيا فيقلده ويصدّقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل إلى إيثار الآخرة اعتماداً على قول الغير وهذا يسمّى تقليداً ولا يسمّى معرفة، الطريق الثاني: أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار [معرفة أولى] ثمّ يعرف أنّ

(1) الخصال: ج 1 ص 42 باب الإثنتين.

(2) لئالي الأخبار: ج 1 ص 184.

(3) المصدر السابق نفسه.

الآخرة أبقى [معرفة ثانية] فيحصل من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهي: أنّ الآخرة أولى بالإيثار، وهذه العملية تسمى تفكيراً، وهي لا تتوقف عند الإنسان إلا بالفناء، وثمره التفكير هي العلوم المختلفة والمعارف. وفي الرواية سُئل الإمام الصادق (ع) كيف يتفكّر؟ قال: تمرّ بالخرية أو بالدّار فتقول أين ساكنوك وأين بانوك مالك لا تتكلمين (1).

يقول أحدهم دخلت خربةً وإذا قد كُتبت فيها هذان البيتان:

هذه منازل أقوامٍ عهدتهم في حفّض (2) عيشٍ وعزٍّ ماله خطرُ
صاحت بهم نائباتُ الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عينٌ ولا أثرُ

والتفكّر خيرٌ من العبادة من وجوه:

الأول: هو أنّ التفكّر يورث صاحبه مقتّ الدنيا ويقصّر الأمل الذي هو أقوى أسباب حبّ الدنيا، ومعلوم أنّ جميع بلاء الإنسان ومصائبه الأخروية إنما هو من حبّ الدنيا وطول الأمل فإذا كان التفكّر مقتناً للدنيا ومقصراً لطول الأمل فلا بدّ أن يكون أفضل من العبادة، كان ذو القرنين يسير في البلاد حتى مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيّها الشيخ لأيّ شيء تقلّب هذه الجماجم؟ قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغنيّ من الفقير فما عرفت ذلك، وإني لأقلّبها منذ عشرين سنة فقال ذو القرنين: ما عنيت بهذا غيري (3). قيل: فترك الدنيا ولبس مسوح العبّاد.

(1) لنالئ الأخبار ج 1 ص 185.

(2) حفّض العيش: أي سهّل وكان هنيئاً. (منجد)

(3) خلاصة الأسرار من بحار الأنوار: ج 1 ص 271.

روي عن أمير المؤمنين(ع) وقد زار القبور:

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرِبَةً وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْ خَيْرِ رَطْبٍ وَيَابَسٍ
أَلَا خَبَّرُونِي أَيُّنَ قَبْرِ ذَلِيلِكُمْ وَقَبْرِ الْعَزِيزِ الْبَاذِخِ الْمَتَنَافِسِ (1)

الثاني: إنّ التفكير ساعة أو أقلّ منها كثيراً ما يقلبُ الرجلَ إلى حالةٍ حسنة فتصدر منه العبادات في طول تلك

المدّة كما حصل لكثير من الزهّاد والعبّاد والأخيار والأبدال والسلاطين، بخلاف العبادة (2).

جاء في سبب توبة بشر الحافي أنّه اجتازَ مولانا الإمام موسى بن جعفر(ع) على داره ببغداد فسمع الملاهي وأصوات الغناء تخرج من تلك الدار فخرجت جارية وببيدها قمامة فرمت بها في الدرب فقال لها: يا جارية صاحبُ هذه الدار حرٌّ أم عبد؟ قالت: بل حرٌّ قال(ع): صدقتِ لو كان عبداً خاف من مولاه فلمّا دخلت قال لها بشر وهو على مائدة السكر ما أبطأك؟ قالت: حدّثني رجل بكذا وكذا فخرج حافياً حتى لقي مولانا الإمام الكاظم(ع) فتاب على يديه واعتذر وبكى لديه استحياءً من عمله، وكان ممّن فاقَ أهلَ عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل وأنواع الفضل (3).

وكان له ذكرٌ حسنٌ جميلٌ بين الناس، قال السيد الأمين في (أعيان الشيعة)

(1) الديوان المنسوب لأمير المؤمنين(ع): ص 73.

(2) لئالي الأخبار: ج 1 ص 185.

(3) الكنى والألقاب: ج 2 ص 168.

عن سفيان بن محمد قال: رأيت بشر بن الحارث في النوم - بعد موته - فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأباح لي نصف الجنة وقال لي: يا بشر لو سجدت على الجمر ما أدت شكر ما جعلت لك في قلوب عبادي (1).
الثالث: إن التفكر ولو قليلاً يورث سعادة لا تحصل بالقيام بجميع العبادات في طول العمر، كما وقع لكثير من الشهداء الكبار الذين منهم الحرّ بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه حيث خرج إلى حرب الإمام الهمام أبي عبد الله (ع)، فبلغ بالتفكر في نفسه ساعة ما بلغ من الدرجة العليا (2).
ومن هنا ما يذكر من أنّ الإمام الحسين (ع) لم يأذن لابن أخيه القاسم بن الإمام الحسن السبط (ع) بالمبارزة فجلس مهموماً متألماً فذكر أنّ أباه (ع) قد ربط في عضده عوذة وقال له: إذا مرّ بك حزن شديد فافتح العوذة واعمل بكلّ ما تراه مكتوباً فيها فقال القاسم: لم يمرّ عليّ مثل هذا الموقف المحزن فحلّ العوذة وإذا فيها: ولدي قاسم أوصيك أنك إذا رأيت عمك الحسين في كربلاء وقد أحاطت به الأعداء فلا تبخل عليه بروحك وكلّمنا نهاك عن القتال عاوده حتّى يأذن لك لتحظى بالسعادة الأبدية فقام القاسم من ساعته وجاء إلى عمّه وعرض عليه الكتاب فلما رآه الإمام الحسين (ع) بكى وقال يا ابن أخي وأنا عندي وصية أخرى منه، فأدخل القاسم خيمة ونادى عوناً وعبّاساً وقال عليّ بالصندوق فأخرج منه ملابس

(1) أعيان الشيعة: المجلد الثالث ص 597.

(2) لئالي الأخبار: ج 1 ص 185.

الإمام الحسن الشهيد المظلوم ولفّت على رأس القاسم عمامة الحسن(ع) وعقد له على ابنته المسماة له وأفرد له خيمة وأخذ بيد ابنته ووضعها بيد القاسم وخرج عنهما، فأخذ القاسم ينظر بوجه ابنة عمّه ويبكي وهي تنظر بوجهه وتبكي وهو يسمع صوت عمّه الحسين(ع) ينادي: وأقلّة ناصره فخرج القاسم وهو يقول لبنيك ياسيدي فأرجعه الإمام إلى ثلاث مرّات وفي المرّة الأخيرة قال له اذهب إلى أمك ودّعها فذهب إليها ولسان حالها:

يا مـاي عـيـني يالولـد	رايـح كأنـك ما تـرد
ويآك إلي حاجـة وكصـد	ليـكون عـيّي تغفـل
قاسـم تناهـه وليه اجـت	أمّه وعـلى فراغـه بـكت
ثمّـت خـدوده وهلهـلت	ما تـدري بيـه ينقتـل
كـاللّه عينـك والتمـس	منـك وكل مـطلع شمـس
ذـكري شـبابي والعـرس	واللـبي طلبتـيه سـهل

أقول: بهذه اللوعة التي يصوّرها الشاعر ودّعت السيّدة رملة ولدها القاسم ليت شعري كيف كان حالها عندما

جيء به إلى الخيام محمولاً مضروباً على رأسه لا حراك فيه ولسان الحال:

رملة طلعت تلطم صدره بدمع همّال	تنادي يغصن البان عني گوض وشال
ظليت حرمه بلا ولي من غير رجال	وصارت الضجّه في خدور الهاشميه

وصلت لعدقاسم او منها الكلب مهموم صاحت ييمه ياشباب المات محروم
مرمي على الرّمض او متخضب بالدموم لبكي على فرگاك كل صبح ومسيه

* * *

ييني ما ذكرت أمك وحنيت تركتني امن انطبگ ظهري وحنيت
يقاسم خضببت شبي وحنيت بدمك ياشباب الغاضرية

* * *

بني في لوعه خلفت والدة ترعى نجوم الدجى في الليل بالسهر

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

شهادة القاسم بن الحسن (ع)

قسَمَ الإلهُ الرِّزَّةَ بينَ أعْظَمِ
 حَسْبِي خُلُقٍ مِنْ نِجَارِ مُحَمَّدٍ
 غَصَنُ نَضِيرٍ مِنْ أَصُولِ مَفَاخِرِ
 قَتَّالِ أَبْطَالِ مَبِيدِ كُنَائِبِ
 هَزَمَ الكَمَاةَ بِقُوَّةِ علَوِيَّةِ
 لله يَوْمَ خَرَّ فِيهِ إلى الثَّرَى
 نادى حَسِيناً عَمَّهُ مُتَشَكِّياً
 ويلوُكُ كالحوتِ التَّريبِ لسانَه
 لا رِزَّةَ أعْظَمُ مِنْ مصَابِ القاسمِ
 مَضْرِي عَرِقٍ مِنْ سَلَالَةِ هَاشِمِ
 ثَمَرُ جَنِّيٍّ مِنْ فَرْوعِ مَكَارِمِ
 فَتَاكُ آسَادِ هَزْبِ نُرِّ مَلَاحِمِ
 وَأَبَادِهِمْ طُوراً بِبَطْشِ هَاشِمِ
 متَكَسِّرَ الأَضْلَاعِ تَحْتَ مَنَاسِمِ (1)
 بُعْدَ الوَصَالِ وَقَرَبِ هَجْرِ دَائِمِ
 لو كَأَ وَيفحَصُ كَالقَطَا بِقِوَادِمِ (2)

ولسان حال امه رمله:

رَبِّتِكَ يَمَّةً وَاسْمَهْتَ بِرَبَاكَ
 عَسَنَ سَيْفِ البَصِيكِ صَابِنِي وَبَاكَ
 أَشْلُونَ اصْبِرْ بِرُوحِي مِنْ بَعْدِ عَيْنَاكَ
 أَوَّلَا شَوْفَكَ خَضِيْبِ الرَّاسِ بِالدَّمِ

وَحَيِّدْ وَعِزْ عِنْدِي أَمِنَ العَذِيبِي
 مَطْنِيَّتِ بِيكَ يَشْحُ نَصِيْبِي
 أَوْ رَدْتِكَ ضَخْرَ لأَيَّامِ شَيْبِي
 وَابْغِه اسْحَنَ صَبْرَ فَرْكََاكَ وَالهَمِ

(1) المناسم: للإبل كالظفر للإنسان أو طرف خف البعير والنعامة.

(2) معالي السبطين للمازندراني رحمته الله تعالى: ج 1 ص 282.

(جاء في زيارته(ع): السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنَّ حَبِيبِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنَّ رِيحَانَةَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ حَبِيبٍ لَمْ يَقْضِ مِنَ الدُّنْيَا وَطَرًا، وَلَمْ يَشْفِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ صَدْرًا، حَتَّى عَاجَلَهُ الْأَجَلُ، وَفَاتَهُ الْأَمَلُ، السَّلَامُ عَلَي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ (1).

أبناء الإمام الحسن المجتبي(ع) الذين قاتلوا مع عمهم الإمام الحسين(ع) في كربلاء بمعركة الطف خمسة وهم: القاسم - والمجلس مخصّص لذكره - والحسن المثنى، وأبو بكر، وعبدالله، وعمرو، وقد نال الشهادة منهم ثلاثة وهم (2): أبو بكر، عبدالله، والقاسم، وبقي منهم اثنان:

الأول: هو الحسن المثنى: وقد كان له من العمر اثنان وعشرون سنة (3)، وقاتل قتالاً شديداً وقد قتل من الأعداء سبعة عشر رجلاً كما في بعض المقاتل، وأصابته ثمانية عشر جراحة فوق أرضاً وبه رمق من الحياة، فلما انتهت المعركة جاءه أسماء بن خارجة فانتزعه من بين الأسرى وقال: لا يُوصَلُ إلى ابن خولة أبداً، فقال عمر بن سعد: دعوا لأبي حسان ابن أخته (4)، فجاء به إلى الكوفة وهو جريح فداواه عنده وبقي في الكوفة ثمانية أشهر أو سنة ثم عاد إلى المدينة.

الثاني: هو عمرو بن الحسن: وكان مع الأسراء، وقد دخل معهم على

(1) بحار الأنوار: ج 101 ص 243.

(2) الإرشاد للشيخ المفيد(ره): ص 179.

(3) وفي أعيان الشيعة: المجلد الخامس ص 44، أنّ المظنون كون عمره 17 عاماً.

(4) الإرشاد للمفيد(ره): ص 196.

يزيد في الشام فقال له يزيد: أتصارع ابني هذا؟ وقصد ابنه خالد فقال: ما فيّ قوّة على الصّراع ولكن أعطني سكّيناً وأعطيه سكّيناً فإمّا أن يقتلني فألحق بجدي رسول الله(ص) وأبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) وإمّا أن أقتله فألحقه بجده أبي سفيان وأبيه معاوية، فتأمل يزيد قليلاً ثمّ قال: شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحية إلا حية (1).

أراد اللعين يزيد من تمثله بهذا المثل هو أنّ طبيعة أهل البيت وسجيّتهم الشجاعة يتوارثونها كما يتوارثون بقية السجاياء والحصائل الحميدة، وأنت ياعمر بن الحسن ورقة من تلك الشجرة حيث جدك أمير المؤمنين وأبوك المجتبي سيّد شباب أهل الجنّة، ولم يلدوا إلاّ الأبطال الشجعان.

ومن المناسب هنا ذكر موقف النبي(ص) يوم فتح مكّة المكرّمة في السنّة الثامنة للهجرة وقوله: لو ولد أبو طالب النّاس كلّهم لكانوا شجعاناً (2).

أمّا الشهداء الثلاثة فهم:

أبو بكر بن الحسن(ع): وهو أخو القاسم لأبيه وأمه، ذكر أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبين): أنّ أبا بكر قُتل قبل أخيه القاسم (3).

وعبدالله بن الحسن(ع): قال الشيخ المفيد(ره) في (الإرشاد): لما ضرب مالك بن النّسر الكندي بالسيف رأس الإمام الحسين(ع) بعد ما شتمه ألقى الإمام الحسين(ع)

(1) الشنشنة: هي العادة والطبيعة، الأخزم هو الذّكر من الحيّات.

(2) شجرة طوي: ص 305.

(3) نفس المهموم: ص 325 عن مقاتل الطالبين.

قلنسوته ودعا بخرقه وقلنسوة فشدّ رأسه بالخرقة ولبس القلنسوة واعتمّ عليها، فرجع عنه الشمر ومن معه إلى مواضعهم، فمكث هنيئة ثم عاد الشمر وعادوا إليه وأحاطوا به، فخرج عبدالله بن الحسن من عند النساء وهو غلام لم يراهق، فشدّ حتى وقف إلى جنب عمّه الحسين (ع) فلحقته زينب (ع) لتحبسها فأبى عليها فقال لها الإمام الحسين (ع): احبسيه يا أخية فامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله لا أفارق عمي، وأهوى بحر بن كعب إلى الحسين بالسيف فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمي؟ فضربه بحر بالسيف فاتّقاء الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، فنادى الغلام يأمنه فأخذه الحسين (ع) وضمّه إليه وقال له: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين ثم رفع الإمام (ع) رأسه إلى السماء وقال: اللهم امسك عليهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم فإنّ متعتهم إلى حين ففرّقهم بدداً واجعلهم طرائق قديداً، ولا ترضي الولاية عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا. وروى أبو الفرج الأصفهاني أنّ الذي قتله هو حرملة بن كاهل الأسدي (1).

والقاسم بن الحسن (ع): قال المرحوم الشيخ عباس القمي في (نفس المهموم): قيل لما نظر الإمام الحسين (ع) إلى القاسم وقد برز اعتنقه وجعلاً يبكيان حتى غشي عليهما ثم استأذن عمّه الحسين (ع) في المبارزة فأبى (ع) أن يأذن له، فلم يزل القاسم يقبل يديه ورجليه حتى أذن له فخرج

(1) ابصار العين: ص38 عن الإرشاد.

ودموعُهُ تسيل على خديهِ وهو يقول:

إن تنكروني فأنا نجلُ الحسن سبطِ النبيِّ المصطفىِّ والمؤمن
هذا حسينٌ كالأسير المرتهن بين أناسٍ لا سُقوا صوب المزن
فقاتل قتالاً شديداً حتى قتلَ على صغره خمسة وثلاثين رجلاً.
وقال ابن شهر آشوب (ره) في المناقب: إنَّ القاسم أنشأ يقول:
إني أنا القاسمُ من نسلِ علي نحنُ وبيتِ اللهِ أولى بالنبي
من شمر ذي الجوشنِ أو ابنِ الدعي (1)

وروى الشيخ المفيد (ره) عن حميد بن مسلم قال: خرج إلينا غلام كأنَّ وجهه شقَّةُ قمرٍ وفي يده سيفٌ وعليه قميصٌ وإزارٌ وفي رجله نعلان قد انقطع شِسْعُ إحداهما (2) ما أنسى أنها اليسرى فوقف ليشدها فقال عمرو بن سعد بن نُفيل الأزدي - لعنه الله - : والله لأشدنَّ عليه فقلت له: وما تريد بذلك يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه من كلِّ جانب قال: والله لأشدنَّ عليه، فشدَّ عليه فما ولىَّ وجهه حتى ضربَ رأسه بالسيف فوقع الغلامُ لوجهه فقال: ياعمّاه قال: فجلى الحسين (ع) كما يجلو الصقر ثمَّ شدَّ شدَّةً

(1) نفس المهموم: ص322.

(2) وفي ذلك يقول المرحوم الشيخ محمد السماوي:

أترأه حين أقام يُصلح نعلَهُ بين العدى كي لا يروهُ بمحتفِي
غلبت عليه شهامةٌ حسنيّةٌ أم كان بالأعداء ليس بمحتفِي

ليثٍ أغضب وضرب عمرًا فاتّقه بالساعد فأطّتها من لدن المرفق، فصاح صيحةً سمعها أهل العسكر ثمّ تنحّى عنه الحسين(ع)، وحملت خيلُ أهل الكوفة ليستنقذوا عمرًا من الحسين(ع) فلمّا حملت الخيل استقبلته بصدورها وجالت فوطاته حتى مات لعنه الله وأخزاه، وانجلت الغيرة وإذا بالحسين(ع) قائمٌ على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والإمام(ع) يقول: بُعداً لقومٍ قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة جدك. ثمّ قال: عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفكك، هذا يومٌ كثّر والله واترّه وقلّ ناصره ولسان الحال:

بكه وناداه ياقاسام شبيدي يريت السيف كبلك حز وريدي
هان الكم تخلّوني وحيدي على خيمي يعمي الخيل تفتري

يعمي شگالت امن الطبر روحك يعمي ما تراويني جروحك
لون أبقى يعمي كنت انوحك بگلب مثل الجمر وبدمع محمر
ثمّ حملة على صدره ورجلاه تخطان في الأرض، وجاء به حتى ألقاه مع ابنه عليّ الأكبر ولسان الحال:
جابه ومدده ما بين اخوته بكى عدهم يويلي وهم موته
بس ما سمعن النسوان صوته اجت زينب تصيح الله واكبر

مبارك بين سبعين الف جابوك
عن الحننه بدم الراس حنوك
وجاءت عندها العروس ولسان الحال:

يقاسم غوم ريت البيك بيّه
صدگ رايح يقاسم هاي هيّه
او تخليني أون الليل واسهر

عسى بعيد البلا خدك على الغاع
قاسم يبن عمي لون تنباع
ثم التفتت إلى قاتل القاسم وصاحت بلسان الحال:

عسا هي برگبتك كل الخطيه
يقاسم عرس اكشعر عليّه
تخليني غريبه واجنبيه
عرس ويزفونك مطبر

خضبوا وما شابوا وكان خضابهم
بدم من الأوداج لا الحناء

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

برُّ الوالدين

جـرى دمعـي لمصرع شـبل طه
فما أدري أعزّي أم أهـني
فطـوراً للوصـيِّ به أهـني
علـيِّ بالطّفـوفِ أقام حـرباً
وقاتـل بـكـرهم كقتـال عمـرو
وصـيّـكـر بلا بدرأ وأحـداً
وطـوراً ياعلـيُّ أعزّي فيـه
كأنيّ بالحسـين غـدى ينادي
رجوئـك ياعلـيُّ تعيـش بعدي
وقمـشي باكياً من خـلف نعـشي
ولم أنـس النـساء غـداة فرّت
فهـذي قبـلت كـفأ خـضيباً
وزينـبُ قابـلت ليلـى وقـالت
علـى حلـو الشـباب وبـدر تمّ

وتاة الفكـرُ في الحـزن الشـديد
علـيِّ المرتضـى بابـن الشـهيد
وأنظـمُ مدخـه نظـم العقـود
كحـربك ياعلـيُّ مع اليهـود
وجدّله علـى وجـه الصـعيد
ونادى يا حـروب الجـدّ عـودي
وتبكي العـين للـعقد الفـريد
علينا يالـيالي الوصلـ عـودي
لتوسـد جـثتي رمـس اللـحود
كما ييـكي الولـيدُ علـى الفقـيد
إلى نعـش الشـهيد ابـن الشـهيد
وشمّـت تلـك ورداً في الخـدود
أعيـدي النّـوح يالـيلى أعيـدي
شـبيه محمّد خـير الجـدود⁽¹⁾

(1) هذه القصيدة العصماء للمرحوم الشيخ جعفر الهر الكربلائي (ره).

قال المرحوم السيد جواد شير في الجزء التاسع من موسوعته (أدب الطف):

الشيخ جعفر ابن الشيخ صادق بن أحمد الحائري الشهير بالهر، أحد أعلام كربلاء

ولسان حال أمه ليلي:

لمن للأكبر اجت ليلي
تكلله ودمعها عليه تسيله
والظعن لـو رادوا رحيله
من بعد عينك يا كفيله
كعدت وكامت تشـتـكـيله
برضاك أظل بعـدك ذليله
ياهو المحملي ياريله
وبـيمن بعـد راسي أشـيله

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ (1).

المقدسة وأفاضلها، ولد سنة 1267هـ وتوفي سنة 1347هـ بكرلاء ودفن فيها في الرواق الشريف الحسيني قريباً من قبر صاحب الرياض وعمره ثمانون عاماً.

درس على الشيخ زين العابدين المازندراني، و لما نال الحظوة الكافية من العلم انفرده بالتدريس وتخرج على يده جماعة.

قال صاحب (الطلبة): كان فاضلاً مشاركاً في العلوم أديباً شاعراً هو اليوم مدرّس بكرلاء وإمام جماعة تقام به الصلاة في حرم أبي الفضل

العباس (ع) ومن شعره قوله مشطراً البيتين المنسوبين إلى قيس العامري:

مرُّ على السديار ديار ليلي
أشـمُّ تراجمـا طـورا وطـورا
وما حـبُّ السديار شـغفـن قلبي
ولا ربـع الغـوير وسـاكنيه
وناؤ الوجـد تسـتـعـر اسـتـعـارا
أقـبـلُ ذا الجـدارَ وذا الجـدارا
ولا أضـرمن في جنـبي نارا
ولكن حـبُّ مـن سـكن الديارا

(1) سورة الإسراء أو بني إسرائيل: الآية 23 و 24.

قال المرحوم الشيخ الطبرسي (ره) في (مجمع البيان): ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أي أمرَ أمراً باتاً ﴿إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي وقضى الله بالوالدين احساناً أو أوصى بالوالدين إحساناً (1)، أقول: من هنا يتضح لنا جليل حق الأبوين بحيث أنّ الله تعالى أوجب حقهما بعد وجوب توحيده وعبادته ونفي عبادة من سواه، وقد حفلت أحاديث العترة الطاهرة بالكثير من الوصايا الخالدة في هذا المقام منها:

ما روى الشيخ الكليني (ره) في أصول الكافي بسنده إلى منصور بن حازم عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: قلت له: أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها وبرّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله عزّوجلّ (2).

ومنها: عن الإمام الصادق (ع) قال: ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين وميتين، يصلّي عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحجّ عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنّع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله عزّوجلّ ببرّه وصلّته خيراً كثيراً (3).

ومنها: عن معمر بن خلّاد قال: قلت لأبي الحسن الرضا (ع): أدعو لوالديّ إذا كانا لا يعرفان الحق (4)؟ قال: ادعُ لهما، وتصدّق عنهما، وإن كانا

(1) مجمع البيان: ج 2 ص 409.

(2) أصول الكافي: ج 2 ص 158.

(3) أصول الكافي: ج 2 ص 159.

(4) لا يعرفان الحق: أي لا يعرفان شيئاً من أمر أهل البيت: في الإمامة وولاية الأمر بعد رسول الله (ص).

حيين لا يعرفان الحق فدارهما فإن رسول الله (ص) قال: (إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق) (1).

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ قال في (مجمع البيان): يعني به الكبر في السن والمعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا، أو عاش أحدهما حتى يكبر وخصَّ حال الكبر وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كلِّ حال لأنَّ الحاجة أكثر في تلك الحال إلى التعهّد والخدمة ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ روي عن الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا (ع) عن أبيه عن جدّه أبي الله (ع) قال: لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من أفٍّ لأتى بها، وفي رواية أخرى عنه (ع) قال: أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئا أيسر منه وأهون منه لنهى عنه، وفي خبر آخر: فليعمل العاق ما يشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، فالمعنى لا تؤذيها بقليل ولا كثير.

روى الشيخ الصدوق (ره) في (الخصال) عن الإمام الباقر (ع) قال: في كتاب عليّ (ع) ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ حتى يرى وبالهنّ: البغي، وقطيعة الرّحم، واليمين الكاذبة (2).

يحكى أنّ رجلاً غضب على أبيه - وهو عنده في الدار - فأخذ يضربه ويضربه والأب ساكت لا يتكلّم ولا يعترض حتى وضع الابنُ الحبلَ في عنق والده وسحبه على الأرض حتى أوصله إلى باب الدار ثمّ فتح الباب

(1) أصول الكافي: ج 2 ص 159.

(2) الخصال: ج 1 ص 124 ح 119.

يلقي أباه خارج الدار، فوضع الأب العاجز يده على الحبل وقال لابنه: إلى هنا يكفي فإني عندما كنت نشيطاً مثلك ضربت والدي ووضعت الحبل في عنقه وسحبته على الأرض ولكن لم ألقه خارج الدار، فكف عنه ابنه، أقول: فسبحان الله العادل الذي لا يفوته ظلم ظالم أبداً:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم مرتعنه يُفضي إلى التدم

تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم (1)

﴿وَلَا تَنْهَزْهُمَا﴾ أي لا تزجرهما بإغلاظٍ وصياحٍ ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي وخاطبهما بقولٍ رقيقٍ لطيفٍ حسنٍ جميلٍ بعيدٍ عن اللغو والقبح يكون فيه كرامةٌ لهما، ويدلّ على كرامةِ المقول له على القائل ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي وبالغ في التواضع والخضوع لهما فعلاً وقولاً برّاً بهما وشفقةً عليهما، والمراد بالذلّ هنا اللين والتواضع دون الهوان من حَفَضَ الطَّائِرَ جَنَاحَهُ إِذَا ضَمَّ فَرَحَهُ إِلَيْهِ، فكأنه سبحانه قال: ضمّ أبويك إلى نفسك كما كانا يفعلان بك وأنت صغير، وإذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة قالوا هو خافضُ الجناح، وقال أبو عبد الله الصادق (ع): معناه لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برأفةٍ ورحمةٍ ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما ولا تتقدم قدامهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد مماتهما جزاءً لتربيتهما إياك في صباك، وفي هذا دلالة على أنّ دعاء الولد لوالده الميت مسموع وإلا لم يكن للأمر به معنى، وقيل: إنّ الله تعالى أوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوصِ الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم

(1) من الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (ع): ص 120.

وفي الحديث عن النبي (ص) قال: رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ رَغِمَ أَنْفُهُ (ثلاث) قالوا: مَنْ يارسول الله؟ قال: مَنْ أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولم يدخل الجنة، وروى أبو أسيد الأنصاري قال: بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ جاءه رجلٌ من بني سلمة فقال: يارسول الله هل بقي من برِّ والدي شيءٌ أبهما به بعد موتهما قال: نعم الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما (1).

واعلم أنه لا شيء عند الأبوين أعلى وأثمن من برِّ الابن بهما، على الرغم من أنه وفاءً لبعض ما لهما من ديون، أهما يسعدان بهذا البرِّ سعادة الغارس بثمرات غرسه، وبهذه السعادة يشعر الابن البار إذا تأكد من سعادة أبويه به، ورضاهما عنه (2).

وجاء في رسالة الحقوق للإمام أبي الحسن علي بن الحسين (ع): (وحقُّ أبيك أن تعلمَ أنه أصلُك، وأنه لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أنّ أباك أصلُ النعمة عليك فيه. فاحمد الله واشكره على قدر ذلك. ولا قوة إلا بالله).

روي أنّ رجلاً شيخاً أتى النبي (ص) فقال: إنّ ابني هذا له مالٌ كثير، وأنه لا ينفق عليّ من ماله، فنزل جبرئيل فقال: يارسول الله إنّ هذا الشيخ قد أنشأ أبياتاً فاستنشدتها منه، فاستنشده النبي (ص): فقال الشيخ يعتب على ابنه:

(1) مجمع البيان: ج 3 ص 410.

(2) شرح رسالة الحقوق للسيد حسن القبانجي: ج 1 ص 568.

غذوئكَ مولوداً وقد كنت يافعاً
 إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت
 كأبي أنا المطروق دونك بالذي
 تخاف الردى نفسي عليك وإثما
 فلما بلغت السن والغاية التي
 جعلت جزائي غلظة وفضاضة
 فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
 فلما سمع النبي (ص) قال للولد: أنت ومالك لأبيك (2).

وجاء في رسالة الحقوق المروية عن الإمام أبي الحسن علي بن الحسين (ع):
 (وحق أمك أن تعلم أمها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً،
 ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتهجر النوم لأجلك،
 ووقتك الحر والبرد لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله عزوجل) (3).
 شكى رجل إلى رسول الله (ص) سوء خلق أمه فقال: إنها لم تكن سيئة

(1) شرح رسالة الحقوق: ج 1 ص 569.

(2) الإمام زين العابدين للمحقق المقرّم: ص 127.

(3) الإمام زين العابدين (ع): ص 126.

المخلوق حين حملتك تسعة أشهر، وحين أرضعتك حولين، وحين سهرت ليلها وأظمأت نهارها فقال الرجل: إني جازيتها وحججتُ بها على متني فقال النبي(ص): ما جازيتها ولا طلقة واحدة (1).

لَأُمِّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَبِيرُ
كثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ بَاتْتَ بِثِقَلِكَ تَشْتَكِي
لَهَا أَنْتَ مَّامًا بِهَا وَزَفِيرُ
وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَدْرِي عَلَيْهَا مَشَقَّةُ
فَمَنْ عَصَصِ كَادَ الْفَوَادُ يَطِيرُ
وَكَمْ عَسَلْتُ عَنْكَ الْأَذَى بِيَمِينِهَا
وَمَا حَجَرُهَا إِلَّا لَدَيْكَ سَرِيرُ
وَتَفْدِيكَ مَّمًا تَشْتَكِيهِ بِنَفْسِهَا
وَمَنْ ثَدِيهَا شَرِبْ لَدَيْكَ نَمِيرُ
وَكَمْ مَرَّةً جَاعَتْ وَأَعْطَتْكَ قُوَّتَهَا
خُنُوءًا وَإِشْفَاقًا وَأَنْتَ صَغِيرُ
فَأَهْلًا لَدِي عَقْلٍ فَيَتَّبِعُ الْهَوَى
وَأَهْلًا لِأَعْمَى الْقَلْبِ وَهُوَ بَصِيرُ
فَدُونِكَ فَارْغَبْ فِي عَمِيمِ دَعَائِهَا
فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو بِهِ لَفْقِيرُ

وفي الرواية عن النبي(ص) أنه قال: دعاء الوالدة أسرع إجابةً من الوالد قيل: لم يارسول الله قال: لأئها أرحم (2).
من هنا قال الإمام أبو عبدالله الحسين(ع) لزوجته ليلي - كما هو المشهور عند أهل المنبر - ادخلي الخيمة
وادعي لولدك، وذلك عندما برز بكرُ ابنُ غانم مبارزاً لعليِّ الأكبر(ع)، فدخلت خيمتها - كأني بها - جرّدت

(1) شرح رسالة الحقوق: ج 1 ص 548.

(2) المصدر السابق نفسه: ص 550.

خمارها نثرت شعرها، رفعت يديها إلى الله تعالى وأقسمت عليه بقسمٍ عظيم، يقولون قالت: إلهي بغربة أبي عبد الله،
إلهي بعطش أبي عبد الله يارادّ يوسف إلى يعقوب ردّ إليّ ولدي علي ولسان الحال:

دخلت الخيمتها الغريهه تبكي وعلى ابنيها بريهه
وتوسلت لله بحبيبهه بالحسين وثمنا ييه مصييه
ياراد يوسف من مغييهه اليعگوب ومسگن نحبييهه
أريدك علي سالم تحبييه

فاستجاب تعالى دعاءها، وعاد الأكبر ويده رأس بكر بن غانم وهو يقول:

صيدُ الملوک أرنبُ وثمانبُ وإذا برزتُ فصيدي الأبطالُ
يقولون: فقال له الإمام الحسين (ع) أسرع إلى خيمة أمك، فجاء الأكبر مسرعاً فرأى أمّه مغمى عليها ناداها فلم
تجبه ثم ناداها فلم تجبه فوضع رأسها في حجره وأخذ يبكي على حال أمّه، فقطر دمعهُ الشريف على وجهها ففتحت
عينها وإذا بابنها الأكبر معها سالماً معافى، فضمته إلى صدرها ولسان الحال:

يابني علي ياماي عيناي رديت روحي بجيتك هاي
ياسلوتي وباطيب دنياي يابني امن اسمعك تطلب الماي
واماي تدري حاطته عداي ينصدع گلبي وتعم بلواي

أقول: هذا حالها وعلّي الأكبر إلى جنبها، ليت شعري ما حالها وقد حمله الهاشميون وهو مقطّع بالسيوفِ إرباً إرباً

ولسان الحال:

ياعلّي ييني النوب ذليّت والموت ياخذي تمنيّت
عمود الوسط يا شايل البيت ييني بعد عندي شخّليّت
انه بيش اجيت وبيش ردّيّت بعديك عساني لا بقيّت

بكل وادي لهيم عليك واسلاك ييني ولا تظن أنساك واسلاك
كطّع من فؤادي هروش واسلاك ييمّه من هويت اعله الوطيّة

ياكوباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين

شهادة علي الأكبر(ع)

حَجْرٌ عَلَى عَيْنِي يَمْزُ بِهَا الْكُرَى مِنْ بَعْدِ نَازِلَةٍ بَعْتَرَةَ أَحْمَدِ
أَقْمَارٌ تَمَّ غَالِهَا خَسْفُ الرِّدَى وَاغْتَالَهَا بَصُرُوفِهِ الرِّزْمُ الرِّدَى
شَتَّى مَصَائِبُهُمْ فَبَيْنَ مَكَابِدِ سُمًّا وَمَنْحُورٍ وَبَيْنَ مَصْقَدِ
سَلْ كَرِبَلَاكُمْ مِنْ حَشَى لِحَمْدِ تُهْبِتُ بِهَا وَكَمْ اسْتَجَدَّتْ مِنْ يَدِ
وَلَكَّكُمْ دَمٌ زَاكٍ أَرِيْقُ بِهَا وَكَمْ جَثْمَانِ قَدَسٍ بِالسِّيُوفِ مَبْدِ
وَبِهَا عَلَى صَدْرِ الْحُسَيْنِ تَرْفَقَتْ عِبْرَاتُهُ حَزَنًا لِأَكْرَمِ سَيِّدِ
أَفْدِيهِ مِنْ رِيحَانِيَّةِ رِيَانِيَّةِ جَقَّتْ بِحَرِّ ظَمَأٍ وَحَرِّ مَهْتَدِ
بَكَرَ الدَّبُولُ عَلَى نَضَارَةِ غَصْنِهِ إِنَّ الدَّبُولَ لِأَفْئَةُ الْغَصْنِ النَّدِي
مَاءُ الصَّيْبَا وَدَمُ الْوَرِيدِ تَجَارِيَا فِيهِ وَلَا هَبُّ قَلْبِهِ لَمْ يَحْمُدِ
وَمَحَى الرِّدَى يَا قَاتِلَ اللَّهِ الرِّدَى مِنْهُ هَلَالٌ دَجِيٌّ وَغَرَّةٌ فَرْقَدِ
يَانْجِعَةَ الْحَيِّينَ هَاشِمَ وَالتَّئِدَى وَحَمَى الدَّمَارِينَ الْعَلَى وَالسُّؤْدَدِ
فَلْتَذْهَبِ الدُّنْيَا عَلَى الدُّنْيَا الْعَفَى مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ زَمَانٍ أَرْغَدِ (1)

(1) القصيدة من نظم المرحوم المقدس آية الله الشيخ عبدالحسين آل صادق العاملي(ره).

قال السيد جواد شبر في (أدب الطف) الجزء 9، ص229:

الشيخ عبدالحسين ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ صادق العاملي، ولد في النجف الأشرف في حدود سنة 1282 وفيها نشأ، ثم خرج إلى جبل عامل وعاد إلى النجف الأشرف بعد وفاة أبيه فأخذ عن علمائها مثل الشيخ ميرزا حسين ابن ميرزا خليل، وهو في الطبقة الأولى

ولسان حال الإمام الحسين(ع):

يبويه گول واسرع ردّ الجواب يبويه العيش بعدك لا حله وطاب
ردتك تترد وحشة الغياب وذخرتك تهيل عليّـه التراب
دمعي على فرّكاك سكاّب شيفيد الدّمع لو صار خنياب
ماي وتبده طولك وغاب

* * *

قال الشاعرُ يمدح سيّدنا عليّ الأكبر(ع):

لم ترَ عينٌ نظرت مثلهُ من محتفٍ يمشي ومن ناعلٍ
أعني ابنَ ليلي ذا السرى والتدى أعني ابنَ بنتِ الحسبِ الفاضلِ
لا يؤثّر الدنيا على دينه ولا يبيغ الحوقّ بالباطل

ولد سيّدنا عليّ الأكبر(ع) في الحادي عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة وذلك قبل مقتل عثمان بسنتين (قتله المسلمون سنة خمس وثلاثين)، فيكون عمرُ عليّ الأكبر(ع) يوم الطف ما يقارب

من الشعراء، وشهد له العالمان الكبيران الملاكاظم الآخوند صاحب الكفاية والحاج الشيخ ميرزا حسين ابن ميرزا خليل بالاجتهاد.
قال المرحوم الشيخ محمد السماوي في (الطليعة): رأيتُه يتفجّر فضلاً، ويتوقّد ذكاءً إلى أخلاقٍ كريمة.
توفي في أوائل ذي الحجة سنة 1361هـ في النبطية جنوب لبنان ودفن هناك.

سبعاً وعشرين سنة، ويؤيده اتفاق المؤرخين وأرباب النسب على أنه أكبر من الإمام السجاد(ع) الذي له يوم الطفّ ثلاث وعشرون سنة (1).

ومن العلماء الذين اختاروا هذا القول المرجع الديني المرحوم السيّد النجفي المرعشي(ره) حيث قال: ومن فوائد هذا السفر الجليل - كتاب علي الأكبر للمحقّق المقرّم - أنه أثبت كون عليّ الأكبر(ع) شهيد الطفّ أكبر سنّاً من الإمام زين العابدين(ع) وهو الحقّ الحقيق بالقبول كيف لا فقد صرّح به فحلّ الفقهاء والنسّابين شيخنا الشيخ محمّد بن إدريس الحلبي في تعاليقه على مزار كتاب السرائر قال ما محصّله:

إنّ الأصحّ والأشهر بين علماء التأريخ والنسب كون علي الأكبر أكبر سنّاً من الإمام سيّد السّاجدين(ع) (2).
واللقب الذي عرف به عليّ بن الحسين(ع) الشهيد بكريلاً هو (الأكبر)، وذلك لكونه أكبر أبناء الإمام الحسين(ع) قال المحقّق المقرّم في كتابه (علي الأكبر): وقد صرّح بذلك الإمام السّجاد(ع) حين قال له عبيدالله ابن زياد: أليس قد قتل الله عليّاً؟ فقال الإمام(ع): كان لي أخٌ أكبرٌ ممّي يسمّى عليّاً فقتلتموه (3).
ولقد وصف الإمام السّجاد(ع) بالأصغر والشّهيد بالأكبر جماعةً من

(1) المصدر السابق نفسه: ص12.

(2) من مقدّمة كتبها المرجع المرحوم السيّد النجفي المرعشي(ره) على كتاب (علي الأكبر) للمرحوم المقرّم.

(3) علي الأكبر: ص16.

المؤرخين منهم: ابن جرير الطبري وابن قتيبة الدينوري واليعقوبي وغيرهم (1).
وأما كنيته فهي (أبو الحسن) كما جاء في زيارته المروية عن أبي حمزة الثمالي أنّ الإمام أبا عبد الله الصادق (ع) قال له: ضع خدك على القبر وقل:
صلى الله عليك يا أبا الحسن ثلاثاً، بأبي أنت وأمي أتيتك زائراً... الخ (2).
وأما أمه النجبية فهي السيدة ليلى بنت أبي مرّة بن مسعود الثقفي.
وكان عليّ الأكبر (ع) أشبه الناس برسول الله (ص)، ولم ينص المؤرخون على مشابهة آل النبي (ص) له في جميع الصفات إلا ولده عليّ الأكبر (ع)، فعلى سبيل المثال يحدث السروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ السيدة فاطمة الزهراء (ع) تشبه أبها في المشية فإنها تميل على الجانب الأيمن مرّة وعلى الأيسر أخرى.
وفي رواية الشيخ الصدوق (ره) في الخصال تشهد بأن الحسن (ع) شابه جدّه رسول الله (ص) في الهيبة والسؤدد والحسين (ع) شابهه في الجود والشجاعة.
وأخرج الحاكم النيسابوري عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: إنّ رسول الله (ص) قال لجعفر الطيّار أشبهت خلقي وخلقي.

(1) وللمزيد راجع كتاب (علي الأكبر) للمحقّق المرقّم: ص 16 - 19.

(2) كامل الزيارات لابن قولويه القمي (ره) باب 97: ص 240.

ويحدّث الشيخ الجليل الشيخ فخر الدين الطّريحي في (المنتخب) إنّ الإمام الحسين(ع) قال في حقّ الرّضيع: (اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد(ص)).

وهذه الشواهد كلّها لا تدلّ على مشابهة العترة الطاهرة للرسول(ص) في جميع الصفات الكريمة، لكنّ كلمة الإمام الحسين(ع) الدّهبيّة في حقّ ولده علي الأكبر(ع): اللهم اشهد أنه برز إليهم أشبه النّاس خلقاً وحلقاً ومنطقاً برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه.

ترشدنا هذه الكلمة الشريفة إلى أن فقيد البيت الهاشمي كان في وقته مرآة الجمال النبوي(ص)، ومثال كماله الأسمى، وأنموذجاً من منطق البليغ الرائع حتى أنّ أباه الإمام الحسين(ع) إذا اشتاق إلى رؤية جدّه المفدّى(ص) نظر إليه، والحق أنّ عليّ الأكبر(ع) شابه جدّه في أخلاقه أجمع كالاخلاص والشجاعة والحلم والبشاشة في العشرة ودماثة في الخلق، ولين الجانب، والخشونة في ذات الله تعالى، والابتعاد عن الدنيا والرذائل⁽¹⁾.

ومّا يشهد بذلك أن معاوية مع ما كان عليه من المباينة مع الهاشميين لم يسعه إلاّ الاعتراف أمام قومه باجتماع الفضائل في (علي الأكبر(ع)) وأنه جديرٌ بالخلافة، وقابل للرّعاية الدينيّة يوم قال لمن حضر عنده من أهل الشام وغيرهم: من أحقّ بهذا الأمر؟ قالوا: أنت.

فقال معاوية: لا، أولى الناس بهذا الأمر عليّ بن الحسين بن علي،

(1) علي الأكبر للمقرّم: ص42.

جدّه رسول الله(ص)، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية (1)، وزهو ثقيف.

وهذه الكلمة الصّادرة من معاوية ترشدنا إلى أنّ عليّ الأكبر(ع) يومئذ معروف عند أهل الشام وغيرهم بأنه الجامع للقداسة الإلهية ومكارم الأخلاق بأجلى مظاهرها وإلا فلا يعقل أن يشير معاوية بأهلية الخلافة إلى رجلٍ غير مرموق عند الناس من جميع الفضائل (2).

وفي الطريق إلى كربلاء بدت من الأكبر معرفةً وشجاعة عالية يشهد لهذا حديثُ عقبة بن سمعان حيث قال: لما كان السّحر من الليلة التي بات الإمام الحسين(ع) فيها بقصر بني مقاتل أمرنا بالإستقاء ثمّ ارتحلنا فبينما هو يسير إذ خفق برأسه خفقةً وانتبه يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين، وكرّر ذلك ثلاثاً.

فأقبل إليه ابنه عليّ الأكبر وكان على فرسٍ وقال له: جعلت فداك ممّ استرجعت وحمدت الله؟ قال(ع): خفقت برأسي خفقةً فعنّ لي فارسٌ يقول: القوم يسرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا. فقال عليّ الأكبر(ع): يا أبت ألسنا على الحق؟

فقال الحسين(ع): بلى والذي إليه مرجع العباد.

(1) قوله: سخاء بني أمية هو مدحٌ لقومه بما ليس فيهم حيث لم يُعرف بنو أمية لا بشجاعة ولا كرم، وأما لماذا ذكر معاوية بني أمية هنا. فالجواب: هو لأنّ السيّدَةَ ليلى أم علي الأكبر بنت ميمونة بنت أبي سفيان، فمعاوية بهذا خالٌ لليلى أم علي الأكبر(ع).

(2) علي الأكبر للمقرّم: ص46.

قال الأكبر(ع): إذاً لا نبالي أن نموت محققين فقال له الإمام: جزاك الله من ولدٍ خير ما جرى ولداً عن والده (1)،
ولله دُرُّ الشاعر حيث يقول:

في بأسٍ حمزة في شجاعة حيدر بابا الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلقٍ وطيبٍ خلائقٍ وجميلٍ نطقٍ كالنبيِّ محمد (2)
قال أبو الفرج الأصفهاني وغيره: وكان أول من قُتلَ بالطف من بني هاشم بعد أنصار الحسين(ع) عليّ الأكبر بن الحسين(ع)، فإنه لما نظر إلى وحدة أبيه تقدّم إليه وهو على فرسٍ له يدعى ذا الجناح فاستأذنه في البراز، وكان من أصبح الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، فأرخى الإمام عينيه بالدموع وأطرق ثم قال:
اللهم اشهد أنه قد برز إليهم غلامٌ أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه ثم صاح يا ابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظني في رسول الله(ص) فلما فهم الإذن من أبيه شدّ على القوم وهو يقول:

أنا عليُّ بنُ الحسين بن علي نحنُ وبيتِ الله أولى بالنبي
والله لا يحكمُ فينا ابنُ الدعي
فقاتل قتالاً شديداً ثم عاد إلى أبيه وهو يقول: ياأبت العطش قد

(1) علي الأكبر: ص68.

(2) من قصيدة المرحوم الفقيه الشيخ عبدالحسين آل صادق(ره).

قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فبكى الإمام(ع) وهو يقول: واغوثاه وأنى لي بالماء قاتل يابني قليلاً واصبر فما أسرع الملتقى بجدك محمد(ص) فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظماً بعدها أبداً، فكّر على الأعداء يفعل بهم فعل أبيه وجدّه.

قال حميد بن مسلم الأزدي كنت واقفاً وبنجي مرة بن منقذ وعليّ بن الحسين يشدّ على القوم يمنة ويسرة فيهمزهم فقال مرة: عليّ آثم العرب إن مرّ بي هذا الغلام لأثكلنّ أباه فقلت له: يكفيك هؤلاء الذين احتوشوه فقال: لأفعلن ومرّ بنا عليّ وهو يطرد كتيبة فطعنه برمحٍ فانقلب على قربوس فرسه فاعتنقه فذهب به إلى جهة الأعداء فقطعوه بالسيوف فصاح قبل أن يفارق الدنيا: السلام عليك ياأبتي هذا جدّي المصطفى قد سقاني بكأسه الأوفى، فشدّ الحسين(ع) حتى وقف عليه وهو مقطّع بالسيوف إرباً إرباً فقال: قتل الله قوماً قتلوك يابنيّ فما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول ثمّ بكى وقال: على الدنيا بعدك العفاء:

كعد عنده وشافه مغمض العين بدمه ساح مترّب الخدين
متواصل طبر والرّاس نصّين حنه ظهره على بنيّه وتحسّر

يبويه من سمع يمّك ونينك او من شبحت لعند الموت عينك
لثلاثين ما وصلن سنينك وحاتفني عليك الدّهر الأكشر

(1) ابصار العين في أنصار الحسين: ص22.

وروى أبو مخنف: عن حميد بن مسلم أنه قال: وكأني أنظر إلى امرأة خرجت من المخيم - الفسطاط - وهي تنادي يا حبيباه يا ابن أخيها فسألت عنها فقالوا: هذه زينب بنت علي فجاءت حتى انكبت عليه فجاء الحسين إليها وأخذ بيدها إلى الفسطاط ولسان الحال:

شافه والنبل شابك علي راح هوه فوگه وصفگ راح علي راح
صاح بصوت يازينب علي راح يخويه ظلمت الدنيا عليّه
ولسان حال الإمام الحسين(ع):

صدعت قلبي يابني تأسفا وتركتني أدعو أسى وتلهفا
أنا لاحق بك يا شبيهة المصطفى

فلتذهب الدنيا على الدنيا العفى ما بعد يومك من زمان أرغد

أنا لم أحل قلبي سيرديك الردى فلك الفدى نفسي لو أنك تفتدى
أتركتني شجواً أنوح مردداً
يا نجعة الحيين هاشم والتدى وحمى الذمارين العلى والسودد⁽¹⁾

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

(1) التخميم للمرحوم السيد عبدالرسول الكفائي.

شهادة عبدالله الرضيع

ومرضعة هببت بما لرضيعها
 رأت مهده بالحزن يطفح بعده
 وأثقل ثديها من الدرّ خالص
 فحقت إلى مثوى الرضيع لعلها
 فلم تر إلا جثة فوق مذبح
 فحنت وأحنت فوقه من تعطف
 وضمتته مذبوخ الوريد لصدورها
 وودت ومن أوداجه تنفخ الدما
 وأضحت على مشواه تُفرغ قلبها
 فطورا تناغيه وطورا بلهفة
 وتعطف طورا فوقه فتشتمه
 ولسان حال أمه الرّباب:

يبي يعبد الله اعلمه فرگاك
 يادين ييني الحرملّة وياك
 گدر بسهمه عليك وارماك
 صبري انفنه ودرن ثدياك
 للماي حين شبحت عيناك
 وخيب رجاي الكان برباك

(1) القصيدة من نظم المرحوم الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي(ره).

ميامن للحزن ن نصب ونبني رماني حرملة بسهمه ونبني
الطفل عاده يطمونه ونبني انطتم يانس بسهم المنيه

* * *

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (1).
قال الشيخ الطبرسي (ره) في (مجمع البيان): ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم، وشغل عن أمر الآخرة، فإنّ الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم - المعاصي - (2).
وقال السيد الطباطبائي (ره) في (الميزان): وكون الأموال والأولاد فتنة إنما هو لكونهما زينة تنجذب إليهما النفس انجذاباً فتفتن وتلهو بهما عما يهتّمها من أمر آخرتها وطاعة ربّها قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (3)، والجملّة - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - كناية عن النهي عن التلهي بهما والتفريط في جنب الله ويؤكدّه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (4).
قال الشيخ الطبرسي (ره): ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي ثوابٌ جليل وهو الجنّة يعني فلا تعصوه بسبب الأموال والأولاد، ولا تؤثرهم على ما عند الله من الأجر والدّخر.

(1) سورة التغابن: الآية 15.

(2) مجمع البيان للطبرسي: المجلد الخامس ص 301.

(3) سورة الكهف: الآية 46.

(4) الميزان للعلامة الطباطبائي: ج 19 ص 308.

وفي مجمع البيان عن عبدالله بن مسعود قال: ولا يقولنَّ أحدُكمُ اللهمَّ إني أعوذُ بك من الفتنة فإنه ليس أحدٌ منكم يرجع إلى مالٍ وأهلٍ ووليدٍ إلا وهو مشتملٌ على فتنة ولكن ليقُل اللهمَّ إني أعوذُ بك من مضلّاتِ الفتن، قال الشاعر:

وما المالُ والأولادُ إلا ودائِعٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائِعُ

بعد أن فهمنا - ولو على الإجمال - تفسير هذه الآية الكريمة - تعالَ معي إلى تفصيل هاتين الفتنتين - كما عبّر القرآن الكريم - :

أمّا الأموال: ففتنةٌ واضحة يعلمها الجميع، وهي كلما ازدادت ازداد الإنسان لها حبّاً وبها تعلّقاً، وهذا الأمر وجداني لا سبيل إلى إنكاره، ففي الحديث الشريف: أتى النبيّ (ص) رجلاً فقال: ما لي لا أُحبُّ الموت؟ فقال له: ألك مالٌ؟ قال: نعم. قال: فقدّمته؟ قال: لا. قال: فمن ثمّ لا تُحبُّ الموت (1).

وفي رواية أخرى قال له: قدّم مالك فإنّ قلب الرجل مع ماله إن قدّمه أحبّ أن يلحقه وإن خلفه أحبّ أن يتخلف.

قال المرحوم السيّد عبدالله شبر (ره) في كتابه (الأخلاق): وفي المال آفاتٌ دينيّة وهي ثلاثة أنواع:

الأول: إنّ المال يجرّ إلى المعاصي فإنّ الشهوات متقاضية - أي أنّ الطريق إليها يكون ببذل المال - والعجز - يحول بين المرء والمعصية.

(1) بحار الأنوار: ج 6 ص 127.

الثاني: إنّ المال يجرّ إلى التنعم في المباحات، أقول: التنعم بالمباحات كالأسفار لأجل السياحة والترهة، والبناء للدور الكبيرة، وشراء المراكب الفارهة، وخطاطة الملابس المتنوعة من الأقمشة الفاخرة وما شابه ذلك فإنّ أقلّ ما يمكن أن يقال في هذه المباحات أنّها تلفّ للوقت الثمين، والعمر الغالي وقد جاء في الحديث الشريف: أنفاسُ المرءِ مهترُ سعادته.

وفي الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (ع):

حياتُك أنفاسٌ تُعدّ فكلمًا مضى نفسٌ منها انتقصت به جزءا
ويحييك ما يُفنيك في كلِّ حالةٍ ويجدوك حادٍ ما يريدُ بك الهزءا (1)

الثالث: وهو الذي لا ينفك عنه أحد، وهو أنّه يلهيه إصلاحُ ماله عن ذكرِ الله تعالى، وكلُّ ما يشغل العبد عن الله فهو خسران، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (2).

ولذلك قال عيسى (ع): في المالِ ثلاثُ آفاتٍ: أن يأخذَهُ من غير حلِّه فقيل له: فإن أخذه من حلِّه؟ قال: يضعُهُ في غير حقِّه فقيل له: إن وضعَهُ في حقِّه؟ قال: يشعلُهُ إصلاحُهُ عن الله تعالى (3).
وأما الأولاد: فمحنةٌ وابتلاءٌ وشدةٌ في التكليف، فإنّ الإنسان مسؤولٌ

(1) من الديوان المنسوب: ص 11.

(2) سورة المنافقون: الآية 9.

(3) الأخلاق للسيد عبد الله شير (ره): ص 187.

عن صالح أولاده وطالحهم، فإنه في صالح الأولاد مثابٌ ومأجور، وفي طالحهم فإن قصر في تربيتهم وتغذيتهم بالمعارف الدينية الحقّة كان مسؤولاً عن ذلك التقصير.

قال الشيخ القرشي حفظه الله تعالى في كتابه (النظام التربوي في الإسلام): إنّ الأب مسؤولٌ عن تربية أبنائه تربيةً سالحة ليكونوا قرّة عينٍ له في مستقبله، وكان أئمة أهل البيت: يعنون بهذه الجهة ويولونها المزيد من الاهتمام يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) المربيّ الأوّل في الإسلام لولده الإمام الحسن (ع): (وجدتُك بعضي بل وجدتك كليلي حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني وكأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي) (1).

وفي رسالة الحقوق المروية عن الإمام زين العابدين (ع) قال: (وأما حقّ ولدك فإن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤولٌ عمّا وليته من حُسن الأدب والدلالة على ربّه عزّوجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عملَ مَنْ يعلم أنّه مثابٌ على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه) (2).

إنّ الأساس الأوّل الذي يجب تعليمه للطفل في سبيل التربية الصحيحة إشعاره بوجود الله والإيمان به بلسان متيسّر الفهم، فإنّ الحاجة للإيمان بالله تعالى موجودةٌ في باطن كلّ إنسان بفطرته الطّبيعيّة وعلى القائم بالتربية أن

(1) النّظام التربوي في الإسلام للشيخ باقر شريف القرشي: ص 89.

(2) الخصال للشيخ الصدوق (ره): ج 2 ص 568.

يستفيد من هذه الثروة الفطريّة، ويفهمه أنّ الذي خلقنا والذي يرزقنا، والذي خلق جميع النباتات والحيوانات والجمادات، والذي خلق العالم، وأوجد الليل والنهار هو الله تعالى، أنّه يراقب أعمالنا في جميع اللحظات فيثينا على الحسنات، ويعاقبنا على السيئات.

هذا الحديث سهلٌ جداً وقابلٌ للإذعان بالنسبة إلى الطفل ونفسه فنراه يؤمن بوجود الله في مدّة قصيرة ويعتقد به، بهذا الأسلوب نستطيع أن نخلق في نفس الطفل حبّ النظام والالتزام ونحّته على الإستقامة في السلوك وتعلّم الفضائل الخلقية والملكات العليا بالتدرّج (1).

واعلم أنّ مراقبته في سنّه المبكّر، وتعوّده العادات الطيبة، وابعاده عن النزعات الشريرة تؤدي إلى سعادته ونجاحه في الدنيا والآخرة، كما أنّ إهماله وعدم مراقبته يؤدي إلى شقائه وهلاكه (2).

يحكى أنّ ملكاً ووزيره خرجا ذات يوم في مهمّة عسكرية، فاجتازا بصبيّة في طريقهم إلى الدّرس فأحبّ الملك أن يسمع منهم شيئاً يسره وهو في طريقه إلى تلك المهمّة، فاستوقف أحد الصّبيان وقال له: ما اسمك؟ قال: فتّاح قال الملك: إلى أين تذهب؟ قال: إلى المعلّم قال: وأين تقرأ؟ قال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ في سورة الفتح، فاستبشر الملك بذلك وتوقّع النجاح في مهمّته ووجهته وفعلاً حصل ذلك حيث تمكن الملك من عدوّه وعاد منتصراً سالماً فقال لوزيره: مرّ بنا على المعلّم لنكرّم ذلك الطّفل

(1) الطفل بين الوراثة والتربية للمرحوم الشيخ محمد تقي فلسفي: ج 1 ص 353 - 354.

(2) النظام التربوي في الإسلام: ص 96.

الذي تفألنا خيراً باسمه ودرسه، فمرّاً على المعلّم ودخل الملك حتى إذا استقرّ به الجلوس قال للمعلّم: ادعو لنا ذاك الصّبي فناده المعلّم قم يا عباس وقف بين يدي الملك، فجاء حتى وقف بين يديه فقال له: ما اسمك؟ قال: عباس قال: أين تقرأ؟ قال: في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ سورة عبس قال الملك: سألتك آنفاً فقلت: فتّاح أقرأ في سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: أيّها الملك عندما استوقفتني وسألتني تنبّهتُ إلى ما تريد لأنّ مثلك لا يكلم مثلي إلاّ لأمرٍ معقول فأجبتك بما يسرّك قال له الملك: أحسنت ثمّ أمر أن يعطوه ديناراً فامتنع الصّبيّ عن أخذه فقال له الملك: تمتنع عن أخذ هدية الملك؟ فقال: إن أخذت الدينار سألني أبي عن مصدره فإن قلت له: أنّه منك لم يصدّقني لأنّ الملوك لا يعطون القليل، فأمر الملك بإعطائه مائة دينار ثمّ ذهب الملك وهو مأنوس من ذكاء الصّبيّ ونباهته فمرّ بطريق ضيق وإذا برجلٍ نائم في الطريق فقال له الحراس ابتعد عن الطريق فلم يقبل فنزلوا إليه وطلبوا منه التنحّي عن طريق الملك فأسمعهم كلاماً خشناً وبلغ ذلك الكلام إلى أذن الملك نفسه فأمر بتأديبه أمام المملأ ليكون عبرةً لغيره، فنودي: إنّ الملك يأمركم أن تحضروا تأديب فلان بن فلان، فحضر الناس وإذا بالصّبيّ عباس حضر أيضاً وطلب مقابلة الملك فأذن له فعندما دخل عليه وضع كيس الدنانير بين يدي الملك فقال له: ما هذا؟ قال: إنّ الشخص الذي أمرتم بتأديبه هو أبي وهذه الدنانير فداءً لأبي فقال الملك: الدنانير لك وبارك الله فيك وأبعد أباك قال إن أذن لي الملك تكلمت قال له قل ما تريد قال: بارك الله بأبي وأبعد أباه قال الملك متعجباً: وما معنى هذا؟ قال: لأنّ أبي أدبني

فقرّيتني تربيته من الملوك وتركه أبوه ولم يؤدبه فتعرض لسخط الملوك فأكرمه الملك ثانيةً وعفا عن أبيه.

وما أحسن ما في الديوان المنسوب:

حرّضَ بِنِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصَّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّرَ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مِثْلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عَنفَوَانِ الصِّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكَنْوُزُ الَّتِي تَنَمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْغَيْرِ (1)

وبعد هذا فلا يخفى أنّ الولد ربحانة بها يأنس الأبوان، وبشمها يتمتّعان، وهو موضع شفقتهما ورحمتهما. روي أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله (ص) فقال: ما لنا نجدُ بأولادنا ما لا يجدون بنا؟ قال: لأنهم منكم ولستم منهم،

وروي هذا المعنى عن الإمام الحسن المجتبي (ع):

وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَامْتَنَعْتَ عَيْنِي عَنِ الْغَمِضِ

أقول: إذن ما حال الإمام أبي عبد الله الحسين (ع) عندما رأى طفله عبد الله غائر العينين خاوي البطن ذابل الشفتين وذلك بعد أن جفّ حليب أمّه من شدة عطشها فأخذه الإمام (ع) وأخرجه ليطلب له قليلاً من الماء ولسان الحال:

(1) من الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (ع): ص 62.

أخْتُ هَاتِلِي رَضِيعِي أَرُهُ قَبْلَ الْفِرَاقِ فَأَتَتْ بِالطِّفْلِ لَا يَهْدَأُ وَالِدَمْعُ مِرَاقِ
يَتَلَطَّى ظَمًا وَالْقَلْبُ مِنْهُ فِي احْتِرَاقِ غَائِرَ الْعَيْنِينَ طَاوِي الْبَطْنَ ذَاوِي الشَّفَتَيْنِ

فَبَكَى لِمَا رَأَهُ يَتَلَطَّى بِأَوَامٍ (1) بَدْمَوْعٍ مِنْ أَمَاقٍ تَخْجَلُ السُّحْبُ السَّجَامِ
فَأَتَى الْقَوْمَ وَفِي كَفِّهِ ذِيَاكَ الْغَلَامِ وَهَمَا مِنْ ظَمًا قَلْبَاهُمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ

فَدَعَا فِي الْقَوْمِ يَا لِلَّهِ مِنْ خَطْبٍ فَظِيْعٍ نَبَّئُونِي أَنَا الْمَذْنُبُ أَمْ هَذَا الرِّضِيعِ
لَا حَظْوُهُ فَعَلِيهِ شَبَهُ الْهَادِي الشَّفِيعِ لَا يَكُنْ شَافِعُكُمْ خَصْمًا لَكُمْ فِي النِّشَاتَيْنِ

عَجَّلُوا نَحْوِي بِمَاءٍ أَسْقِهِ هَذَا الْغَلَامِ فَحِشَاءُ مِنْ أَوَامٍ فِي اضْطِرَابٍ وَكَلَامٍ (2)
فَاكْتَفَى الْقَوْمُ عَنِ الْقَوْلِ بِتَكْلِيمِ السَّهَامِ وَإِذَا بِالطِّفْلِ قَدْ خَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ (3)

ويقال: إنَّ المختار عليه السلام تعالى عندما جيء له مجرمة بن كاهل قال له: أنت الذي ذبحت عبد الله الرضيع؟ كيف تمكنت من ذلك!! أو ما رقت قلبك له؟ قال: كانت العادة الجارية أن الإمام الحسين (ع) إذا أراد الحملة على الجيش ركب فرساً، وإذا أراد الوعظ والتحذير والتذكير ركب ناقه له، وفي هذه المرة جاءنا ماشياً ومعه شيء يظلل له من حرارة الشمس فتكلم

(1) الأوام: هو العطش.

(2) الكلام: بالكسر هو الجرح.

(3) أبيات من نظم شريف لمقتل الإمام الحسين (ع) للمرحوم الشيخ حسن الدمستاني البحراني (ره) رياض المدح والثناء: ص 459.

مع ميمنة الجيش فلم يستمعوا له، فمال إلى ميسرة الجيش فلم يستمعوا له، فعاد إلى قلب المعسكر فقال: يا قوم لقد قتلتم أصحابي وإخوتي وأهل بيتي إن كان ذنبٌ للكبار فما ذنبُ الصغار ثم أخرج ولدًا ورفعته وقال: هذا عبد الله اسقوه شربة من الماء فإنه إن عاش لا يضرّكم وإن مات طولبتم بدمه، فاختلف العسكر وانقسم ثلاثاً قسماً قال: اسقوه فإنه طفلٌ رضيع، وقسماً اكتفى بالبكاء لحال الرضيع، وقسماً قال: لا تبقوا لهذا البيت صغيراً ولا كبيراً فقال لي عمر بن سعد: يا حرمة اقطع نزاع القوم قلت: أرمي الوالد أم الولد قال: بل الولد، فتنحيت جانباً ووضعت سهماً في كبد القوس ولم يرقّ قلبي له، فنظرت أين أرميه لصغره وإذا بالهواء تكشف رقبته فحكمت السهم ورميته فذبحته من الوريد إلى الوريد وما رقّ قلبي له، فعندما أحسّ بحرارة السهم أخرج يديه واعتنق والده الحسين هنا رقّ قلبي له ولسان حال الحسين (ع) بعد ذبح ولده:

تلگه حسين دم الطفل بيده ش حال الیذبح بججره وليده
سال وترس كفه من وريده وذبه للسّمه ولالأرض ما خرّ

عليك انفتح جفن العين وافتاك وسهم نحرک بگلبي وگع وافتاك
بقتل الطفل من أمرك وافتاك يابن كاهل شله ويّاك أذيه

رجع به إلى المخيم يقولون: استقبلته ابنته سكيمة وما كانت تتصوّر أن تبلغ بهم القسوة إلى هذا الحدّ بحيث يقتلون

الطفل الرضيع ولسان الحال:

بويه الطفل للماي أخذته بسهم العده مذبوح جيته
شنهو الذنب خويه العملته مذبوح ولسانك دلعته

والماي حاضر ما شربته

ولسان حال أمه الرباب عندما رأته مذبوحاً من الوريد إلى الوريد:

ماني أمك يعبد الله ويعد أمك ما أنسأك وأهيج يالولد باسمك
شعب كلب السهم من فجره الدمك ياسلواي بعدك من يسليني

* * *

ست إشهر بعد يلما وصل عمرك شذب اللي جنيته او ينگطع نحرک
يابني سهم المثلث خسف بدرك ياريت الرماك بسهم راميني
لا ضير في قتل الرجال وإنما قتل الرضيع به الضمير يُضام
طلب الحسين الماء يسقي طفله فاستقبلته من العداة سهام

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

الإمام (ع) وأصحابه ليلة العاشر

لا خبئت مرهفات آل عليٍّ فهي التّارُّ والأعادي وَقوُدُ
 عقودوا بينها وبين المنايا ودعوا ههنا توقُّ العقوُدُ
 مالأوا بالعدي جهنّم حتّى فَنَعَتُ ما تقول هل لي مزيدُ
 ومذ الله جلّ نادى هلّمّوا وهُمُ المسرعون مهمّا نودوا
 نزلوا عن خيولهم للمنايا وقصارى هذا النزول صعوُدُ
 فقضوا والصّدور منهم تلظّي بضرامٍ وما أبيع الورودُ
 سلبوهم برودهم وعلّيمهم يومَ ماتوا من الحفاظ برودُ
 تركوهم على الصّعيد ثلاثاً يابنفسى ماذا يُقلُّ الصّعيدُ
 فوقه لو درى هياكلُ قدسٍ هو للحشرِ فيهمُ محسوُدُ
 تربةً تعكفُ الملائكُ فيها فركوعُ لهم بها وسجودُ
 وعلى العيس من بناتِ عليٍّ نُوحُ كلُّ لفظها تعديدُ
 سلبتها أيدي الجفّاة حلاها فخلّى معصمٌ وعطّل جيّدُ
 وعليها السياتُ لما تلوّت خلفتها أساورٌ وعقودُ (1)

يجيدر گوم لسيوفك وسلها يوم الطف شعب روعي وسلها

(1) القصيدة من نظم المرحوم السيّد جعفر الحلّي (ره) الدرّ التّضيد: ص 121. وقد مرّت ترجمته ص 43.

گوم آنظر متن زینب و سلها تگول سیاظ زجر اثرت بیه

والسببُ والصَّحْبُ اولو الوفاءِ باتوا بتلك الليلة الليلية
لهم دوى كدوي النحل ممن ذاكر لله أو مصلي
صلاة عبد خاشع مودع يدعو بالخضوع والتضرع
أحيوا جميع الليل بالعبادة فأدركوا سعادة الشهادة (1)

قال السيد ابن طاووس (ره) في (الملهوف): ثم جاء الليل - ليلة العاشر فجمع الحسين (ع) أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعدُ فيني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيتٍ أفضل وأبرّ من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، وهذا الليل قد غشيتكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري.

فقال له أخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً، ويدأهم بهذا القول العباس بن علي (ع) ثم تابعوه، ثم قام مسلم بن عوسجة وقال: نحن نخليك هكذا وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدو، لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رحمي وأضرهم بسيفي ما ثبت قائمته بيدي، ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة ولم أفارقك أو أموت دونك.

قال الراوي: وقام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال: لا والله يا ابن رسول الله

(1) من المقبولة الحسينية لآية الله الشيخ هادي كاشف الغطاء (ره): ص 74.

لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أننا قد حفظنا فيك وصية رسول محمد (ص)، لو علمتُ أيّ أقتلُ فيك ثمّ أحيي ثمّ أحرق حياً ثمّ أذرى يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي من دونك، فكيف وإنما هي قتلة واحدة ثمّ أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

ثمّ قام زهير بن القين وقال: والله يا ابن رسول الله (ص) لو ددّْتُ أيّ قتلتُ ثمّ نشرت ألف مرّة وأنّ الله يدفعُ بذلك القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من أخوتك وولدك وأهل بيتك.

قال الراوي: وتكلّم جماعة من أصحابه بمثل ذلك وقالوا: أنفُسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا، فإذا نحُ قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لرَبنا وقضينا ما علينا.

وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال: قد أُسِرَ إبنك بتغر الرّي (1) فقال: عند الله أحسبُهُ ونفسي، وما كنتُ أحبُّ أن يؤسر وأن أبقى بعده فسمع الحسين (ع) قوله فقال: رحمك الله أنت في حلٍّ من بيعتي، فاعمل في فكاك إبنك، فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك فقال (ع): فأعطِ إبنك هذه البرود (2) يستعينُ بها في فكاك أخيه، فأعطاه خمسة أثوابٍ قيمتها ألف دينار (3).

(1) الثَّغْر: جمعُ ثُغور وهو المكان الذي يخاف منه هجوم العدو، وهو مأخوذ من ثغر الجدار. والرّي: مدينة معروفة آنذاك تقع الآن جنوب طهران العاصمة.

(2) البرود: ثوبٌ مخطط، وقد يقال لغير المخطّط أيضاً، وجمعُهُ بُرود. مجمع البحرين: ج3 ص13.

(3) الملهوف: ص153 - 154.

أقول: انظر بعين البصيرة إلى تفاني أنصار أبي عبد الله الحسين: في نصرته والدّب عنه بحيث قدّموا نصرته على حياتهم، وعبادتهم، وأولادهم وهم يعلمون يقيناً أنهم لن يقابلوا جيشاً تعداده ثلاثون ألفاً من فرسان مصر وأبطال العرب ممن مارسوا الحرب وعرفوها، ولكنّها المعرفة، والمحبة، ونداء الواجب، وأداء الوظيفة والتكليف، ومن هنا صار شهداء الطّف سادات الشهداء، لا يفوقهم سابق، ولا يلحقهم لاحق قال الشاعر:

نصروا ابنَ بنتِ نبيّهم طوي لهم نالوا بنصرته مراتب سامية

قد جاؤوه ههنا بقبورهم وقصروهم يوم الجزا متحاذية (1)

قال السيد ابن طاووس (ره): قال الراوي: وبات الحسين (ع) وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل، ما بين راعٍ وساجد وقائم وقاعد.

يصفهم المرحوم السيد حيدر الحلبي في إحدى روائعه الخالدة:

سمّة العبيد من الخشوع عليهم لله إن ضمتهم الأسـ حاز (2)

وروى أبو حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين (ع) قال: قال عليّ ابن الحسين (ع) كنت مع أبي في الليلة التي قُتل في صبيحتها فقال لأصحابه: هذا الليل قد غشيتكم فاتخذوه جنة، فإنّ القوم أتما يريدونني ولو

(1) من قصيدة للمرحوم الشيخ محمّد علي الأعسم (ره).

(2) الدرّ النّضيد: ص 158.

قتلوني لم يلتفتوا إليكم وأنتم في حلٍّ وسعة فقالوا: والله لا يكون هذا أبداً فقال: انكم تقتلون غداً كلَّكم ولا يفلت منكم رجل قالوا: الحمد لله الذي شرَّفنا بالقتل معك، ثم دع(ع) فقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، فكان الرجل منهم بعد ذلك يستقبل الرماح والسيوف بصدرة ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة (1).

وقال الشيخ المفيد(ره): قال الإمام عليّ بن الحسين(ع): إني لجالسٌ في تلك العشيّة التي قتل أبي في صبيحتها وعندني عمّتي زينب تمرّضني إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يادهرُ أفٍّ لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحبٍ وطالبٍ قتيلى والدّهْرُ لا يقنّع بالقليلِ
وأتمّ الأُمُرُ إلى الجليلِ وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلِ
فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فحنفتني العبرة فرددتها ولزمتُ السكوت وعلمتُ أنّ البلاء قد نزل.

وأما عمّتي زينب فإنّها سمعت ما سمعت وهي امرأةٌ ومن شأنِ النساءِ الرّقة فلم تملك نفسها أن وثبت تجرُّ ثوبها حتى انتهت إليه فقالت: وأتكلّاه ليت الموتُ أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن،

(1) نفس المهموم للمرحوم الشيخ عبّاس القمّي(ره): ص231.

يا خليفة الماضي . وثمَّال (1) الباقي، فنظر إليها الحسين(ع) وقال لها: يا أختي لا يذهبنَّ بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو تُرك القُطا ليلاً لنام ثمَّ لطمت وجهها وأهوت إلى جيبها فشقته وخرت مغشيةً عليها فقام إليها الإمام الحسين(ع) فصبَّ على وجهها الماء وقال لها: يا أختاه تعزِّي بعزاء الله واعلمي أنَّ أهل الأرض يموتون وأنَّ أهل السَّماء لا يبقون وأنَّ كلَّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجهُ الله الذي خلق الخلق بقدرته ثمَّ قال لها: يا أختي إني أقسمتُ عليك فأبري قسماً لا تشقي عليَّ جيباً ولا تخمسي عليَّ وجهاً، ولا تدعي بالويل والثبور إذا أنا هلكت - قضيت نحبي -، ثمَّ رجع(ع) إلى مكانه، فقام الليل كله يصلي ويستغفر ويدعو ويتضرع، وقام أصحابه كذلك يصلون ويدعون ويستغفرون، فباتوا وهم دويُّ كدويِّ النحل ما بين راعع وساجد وقائم وقاعد، وكذا كانت سجيئة الإمام الحسين(ع) في كثرة صلواته وكمال صفاته وكان صلوات الله عليه كما وصفه ابنه إمامنا المهدي صلوات الله عليه: للقرآن سنداً، وللأئمة عضداً، وفي الطاعة مجتهداً حافظاً للعهد والميثاق ناكباً عن سبيل الفساق باذلاً للمجهود طويل الركوع والسجود زاهداً في الدنيا زهداً الرّاحل عنها ناظراً إليها بعين المستوحشين منها.

(1) الثِّمَال ككتاب: الغياث والذي يقوم بأمر قومه، يُقال فلانٌ ثمَّالٌ قومه أي غياث لهم، وفي حديث أبي طالب(ع) يمدح ابن أخيه رسول الله(ص):

وأبيضٌ يُستسقى الغمامُ بوجهِهِ ثمَّالُ التيمامى عصمةٌ للأراِمِـلِ

مجمع البحرين: ج 5 ص 332.

وروي أنه لما كان وقت السحر خَفِقَ الحسين (ع) برأسه خفقةً ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ فقالوا: وما الذي رأيت يا ابن رسول الله (ص)؟ فقال: رأيت كأنّ كلاباً قد شدّت عليّ لتنهشني وفيها كلبٌ أبقع رأيته أشدها عليّ أظنُّ أنّ الذي يتولّى قتلي رجلٌ أبرص من بين هؤلاء القوم (1).

أقول: وكان ذلك اللعين هو شمر بن ذي الجوشن بعد أن سقط الإمام (ع) على الأرض جريحاً، يقول إمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الزيارة المروية عنه المعروفة ب (زيارة الناحية المقدسة): فهويت إلى الأرض جريحاً تطوُّك الخيولُ بحوافرها وتعلوك الطغاةُ ببواترها قد رشخَ للموتِ جبينك واختلفت بالإنقباضِ والإنبساطِ شمائلك وبمينك تُديرُ طرفاً خفياً إلى رحلكِ وبيتك وقد شُغلتَ بنفسك عن ولدك وأهالك وأسرع فرسك شارداً إلى خيامك قاصداً محمماً باكياً فلما رأينَ النساءُ جوادك مخزياً وسرجك عليه ملوياً برزناً من الخدور ناشراتِ الشعور على الخدودِ لاطمات وبالعويلِ داعيات وبعد العزِّ مذلللات (2).

يقول المرحوم الكعبي في ذلك:

وأقبلن ربّاتُ الحجالِ وللأسى	تفاصيل لا يُحصي لهنّ مفصّل
فواحدةٌ تحنو عليه تضمُّه	وأخرى عليه بالرداء تظللن
وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها	وأخرى لما قد ناهال ليس تعقلن

(1) نفس المهموم: ص 233 - 234.

(2) الصحيفة المهدية للمرحوم الشيخ إبراهيم بن الحسن الكاشاني 1: ص 213 - 214.

وأخرى على خوفٍ تلوذُ بجنبه
تكفّ الدّما عنه وتهملُ مثلها
وجاءت لشمزٍ زينبُ ابنةُ فاطمِ
تقولُ له مهلاً فهذا ابنُ أحمدِ
إلى أن يقول عزّ على المؤمنين والمؤمنات:

ومرّ يحزّ النحرَ غيرَ مراقبٍ
وؤلزلتِ الأرضونَ واريجحت السما
واحسيناه واسيداه واشهيداه..
ولسان حال أخته العقيلة:

يخويه بيش أضمّك وبين أودّيك
تراني تحيّرني يامهجتي بيك
هوت يمّته تشم كسر البضالعه
غابت روحه وفزّت تودعه

لمن شافته صفكت بديها
ما تنلام من شافت وليها

وأخرى تفدييه وأخرى تقبّل
دموعاً فلم تبرح تكفّ وتهملُ
تعنّفه عن أمره وتعذّل
وشبلُ عليّ المرتضى المتفضّل

من الله لا يخشى ولا يتوجّل
وكادت له أفلأكها تتعطلّ

يخوية اشلون أصد عنك وخليّك
يخوية بيش أظلك امن الحر
أخويه الماطبع يشبه الطبعه
اولن راسه ابراس الرّمح مزهر

اوشگت ثوها ويلبي عليها
فوگ الرّمح راسه يلوح بالبر (1)

(1) من التصاريات الخالدة للمرحوم الشيخ محمد نزار(ره).

طأطؤوا الروسَ إنَّ رأسَ حسـينٍ رفعتـه فـوق القنـا الحـطّـار
لا تذوقوا المعينَ واقضوا ضمايا بعد ظامٍ قضى بحـدِّ الغرار (1)

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

(1) من قصيدة للمرحوم الشيخ عبدالحسين شكر العراقي (ره) والغرار: هو حدُّ السيف.

مقتل الإمام الحسين عليه السلام

من ذا يقدم لي الجوادَ ولامتي
 فأتته زينبُ بالجوادِ تقوده
 وتقولُ قد قطعت قلبي يا أخي
 فلمن تنادي والحمأة على الثرى
 ما في الخيامِ وقد تفاني أهلها
 رأيت أختاً قدمت لشقيقها
 فتبادرت منه الدموعُ وقال يا
 فبكت وقالت يا بن أمي ليس لي
 يا نور عيني يا حشاشة مهجتي
 ورنيت إلى نحو الخيام بعولة
 قوموا إلى التوديع إن أخي دعا
 فخرجن ربّات الخدور عواثراً
 الله ما حال العليل وقد رأى
 فيقوم طوراً ثم ييكنو تارة
 فعدا ينادي والدموعُ بوادئ
 هذا أبي الضميم ينعي نفسه

والصَّحْبُ صرعى والنصيْرُ قليلُ
 والدمعُ من ذكرِ الفراقِ يسيلُ
 حزنًا فياليست الجبالُ تزولُ
 صرعى ومنهم لا يُبلُّ غليلُ
 إلا نساءً وللهُ وعليُّ
 فرسَ المنونِ ولا حمى وكفيلُ
 أختاه صبراً فالمصابُ جليلُ
 وعليك ما الصبرُ الجميلُ جميلُ
 من للنساءِ الضائعاتِ دليلُ
 عظمى تصبُّ الدمعَ وهي تقولُ
 بجوادِهِ إنَّ الفراقَ طويلُ
 وغدا لها حولُ الحسينِ عويلُ
 تلك المدامعُ للوداعِ تسيلُ
 وعراه من ذكرِ الوداعِ نحولُ
 هل للوصولِ إلى الحسينِ سبيلُ
 يا ليتني دونَ الأبِّي قتيْلُ (1)

(1) قصيدة عصماء من نظم المرحوم الشيخ محمد نصّار (ره) أدب الطف ج 7 ص 232، وقد تقدّمت ترجمته ص 34.

قال الامام الحسين (ع) يوم العاشر من المحرم في ضمن خطبة له:
(ألا وإنّ الدّعِيَّ بنَ الدّعِيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيّهات منّا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسولُهُ
والمؤمنون، وحجورٌ طابت وطهرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإيّي
زاحفٌ بهذه الأسرة على قلّة العدد وخذلانٍ الناصر) (1).

قال الشيخ المفيد (ره) في (مسار الشيعة):

في اليوم العاشر من المحرم قُتِلَ سيّدنا أبو عبدالله الحسين بن علي (ع) سنة 61 إحدى وستين من الهجرة، وهو يومٌ
تجدّد فيه أحزانٌ محمّدٍ وآل محمّد (ص) وشيعتهم، وجاءت الرواية عن (الأئمة) الصادقين: باجتناّب الملاذ فيه، وإقامة
سنن المصائب، والإمساك عن الطّعام والشراب إلى أن تزول الشمس، والتغذّي بعد ذلك بما يتغذّى أصحاب
المصائب من الألبان وأشباهاها دون اللذيذ من الطّعام والشراب، ويستحبّ فيه زيارة المشاهد، والإكثار من الصلاة
على محمّد وآله (ص)، والابتهاج إلى الله تعالى باللّعة على أعدائهم وظالمهم.

وروي من زار قبر الحسين (ع) يوم عاشوراء فكأنما زار الله في عرشه، وروي من زاره وبات عنده ليلة عاشوراء حتى
يُصبح حشره لله تعالى ملطّخاً بدم الحسين (ع) في جملة الشهداء معه، وروي أنّه من أراد أن يقضي حقّ رسول
الله (ص) وحق أمير المؤمنين وفاطمة والحسن

(1) إبصار العين للمرحوم الشيخ محمّد السّماوي ص 11.

والحسين: فليزر قبر الحسين(ع) في يوم عاشوراء (1).

فاللازم على الموالي المتأسّي بالنبيّ الأعظم(ص) الباكي على ولده بمجرد تذكر مصابه أن يقيم المأتم على سيّد الشهداء ويأمر من في داره بالبكاء عليه وليعزّ بعضهم بعضاً بالحسين(ع) فيقول كما في حديث الإمام الباقر(ع): (عظّم الله أجورنا بمصابنا بالحسين وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع ولده المهديّ من آل محمد(ص)) (2).

وفي الحديث أنه دخل عبدالله بن سنان على أبي عبدالله الصادق: في يوم عاشوراء فرآه كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ فقال له: مِمَّ بكاءوك يا بن رسول الله قال(ع): (أوَ في غفلة أنت، أما علمت أنّ الحسين أُصيب في هذا اليوم ثمّ أمرُهُ أن يكون كهيئة أرباب المصائب يجلل أزراره، ويكشف عن ذراعيه ويكون حاسراً، ولا يصوم يوماً كاملاً وليكن الإفطار بعد العصر بساعة على شربةٍ من ماء ففي ذلك الوقت تجلّت الهيحاء عن آل محمد(ص)) ثمّ قال(ع): (لو كان رسول الله حيّاً لكان هو المعزّي به).

وأما الإمام الكاظم(ع) فلم يُر ضاحكاً أيام العشرة وكانت الكآبة غالباً عليه ويوم العاشر يوم حزنه ومصيبته. ويقول الإمام الرض(ع): (فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء).

(1) مسار الشيعة: ص 24 - 25.

(2) كامل الزيارات: ص 326 طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.

وفي زيارة الناحية يقول حجّة آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف مخاطباً جدّه الحسين: (فلأندبنك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدّموع دماً) (1).

وقال الشيخ القمي رحمه الله تعالى في (مفاتيح الجنان): (وينبغي للشيعة أن يمسكوا فيه عن السعي في حوائج دنياهم وأن لا يدخروا فيه شيئاً لمنازلهم وأن يتفرّغوا فيه للبكاء والتّياح وذكر المصائب وأن يقيموا مأتم الحسين (ع) كما يقيمونه لأعزّ أولادهم وأقاربهم) (2).

وها نحن نذكر هنا مصائب الإمام الحسين (ع) وما جرى عليه بعد أن قُتل أصحابه وأهل بيته وبقي وحيداً لا ناصر له ولا معين قال الراوي: ثمّ أنّ الحسين (ع) لما نظَرَ إلى مصارع أنصاره وأهل بيته والتفت يميناً فلم يرَ أحداً، والتفت شمالاً فلم يرَ أحداً، استعبر واستغاث استغاثته الثانية ونادى: (هل من ذابٍ يذبّ عن حُرّم (3) رسول الله؟ هل من موحدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله في إغائتنا؟) فلم يجبه سوى الإمام زين العابدين (ع) فمنعته أمّ كلثوم لما به من المرض فقال: دعيني ياعمتاه أقاتل بين يدي ابن رسول الله فصاح الإمام الحسين (ع): (خذيه يأختاه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد (ص))

ثمّ عزم على لقاء القوم بنفسه فجاء إلى الخيام للتوديع ثاني مرّة فنادى:

(1) مقتل المقرّم: ص 273 - 274.

(2) مفاتيح الجنان للمرحوم الشيخ عباس القمي: ص 288.

(3) حُرّم رسول الله: ما لا يجوز انتهاكُه.

(يا زينب، يأم كلثوم، ياسكينة، يا فاطمة عليك مني السلام) ثم جعل يوصيهن بالصبر والسكينة والتسليم لقضاء الله.

وقال لهنّ: (استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويعذب أعداءكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكّوا، ولا تقولوا بالسنتكم ما يُنقص من قدركم ويحبط أجركم).

قال أرباب المقاتل: انه حين بقي وحيداً وتقدّم للحرب صار يتقدّم إليه من جنود ابن سعد من صناديد الأبطال وفرسان الرّجال واحدٌ بعد واحد فيقتله (ع)، فصاح عمر بن سعد بأصحابه: الويل لكم أندرن لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه بأجمعكم حملة رجل واحد.

فحملوا عليه من كلّ جانب حتى جعلوه في مثل الدائرة وهو (ع) يغوص في الأوساط ويقلب الميمنة على اليسرة حتى قتل عاقمتهم، وأقام قيامتهم، ولم يزل يقتل في كلّ حملة جملة، وفي كلّ كربة كثيرة، وفي كلّ زحوف أوف.

قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيتُ مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً ولا أشدّ إقداماً منه قط، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتتكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الدّئب ولقد كان يحمل فيهم وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون من بين يديه كأهمّ الجراد المنتشر.

وكان (ع) يقاتل في كلّ برهة فارساً على فرسه (المرتجز) وأخرى

على غيره، ولكن الظاهر أن الحجر المشؤوم والسهم المسموم ذي الثلاث شعب وطعنة صالح بن وهب أوجبت في وجوده المقدس ما لا يستطيع القلم أن يسطره ولا اللسان أن يذكره، ولكن لما خلا سرج ذي الجناح من هيكل الوحي والتنزيل، أو فقل هوى على الأرض عرش الملك الجليل جعل (ع) يقاتل وهو راجل قتالاً أقعد الفوارس وأرعد الفرائص وأذهل عقول فرسان العرب، قال ابن الأثير (1):

قاتل (ع) راجلاً قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية، ويتفرس العودة ويشد على الخيل وهو يقول: (ويحكم أعلى قتلي تجتمعون؟!) ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).
قال العلامة المجلسي رحمته الله في البحار:

ثم حمل عليهم كالليث المغضب فجعل لا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله، والسهام تأخذ من كل ناحية وهو يتقيها بنحره وصدرة ويقول: (يا أمة السوء بعسما خلفتهم نبيكم محمداً في عترته).

ولم يزل (ع) على هذا وأمثاله حتى اقتطعوه وحالوا بينه وبين رجليه فصاح: (ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون) فناداه شمر: ما تقول يا بن فاطمة؟

قال: (أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرض الحُرْمِي ما دمتم حي).

(1) الكامل في التاريخ ج 4 ص 78، طبعة دار صادر بيروت.

فقال الشمير: لك ذلك يا بن فاطمة ثم قال: اقصدوه بنفسه فلعمري لهو كفو كريم، ثم جعل يحمل ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب شربة من الماء ويتلظى كبده من الظمأ، ويلوك لسانه من شدة العطش وقد صار كالخشبة اليابسة.

ثم لما اشتد به الاعياء والعناء، وضعف عن القتال وقف ليستريح هنيئة ولكن طعنة سنان ابن أنس وضربة سيف بن زرعة لم يتمكن الإمام معهما حتى من الوقوف على الأرض وكان قد أعيا فقعد.

وبينا هو (ع) جالس على الرمضاء خرج من الخيام غلاماً كأن وجهه فلقه قمر، وفي أذنيه قرطان يتذبذبان، فجعل يعدو ويركض حتى جاء إلى عمه الحسين (ع)، وكأنه لما رأى عمه (على) تلك الحال والدماء تسيل من جميع جوانبه وجوارحه أدهش وذهل، وبينا هو واقف ينظر إلى عمه مبهوراً أهوى بحر بن كعب إلى الحسين (ع) بسيفه ليضربه، فقال له الغلام، أتضرب عمي؟ يا بن الخبيثة، فعدل بضربته إلى الغلام فأصابته يده فأطنتها من المرفق وإذا هي معلقة، فصاح الغلام، واعماه فأخذه عمه وضمه إليه وأجلسه في حجره، فرماه حرملته بن كاهل فذبحه وهو في حجر عمه فاحتسبه عند الله وقال: (هون علي ما نزل بي أنه بعين الله)، ثم انتهى به الحال (ع) أنه من كثرة نزف الدماء، ومن شدة العطش، ومن حرارة الشمس ولفح الهجير، وترادف المصائب والرزايا لم يتمكن حتى البقاء جالساً على الأرض فصنع له وسادة من الرمل ونام عليها قال بن شهرآشوب:

لما صرع الحسين (ع) جعل فرسه يحامي عنه، فيثب على الفارس

فيخبطه على سرجه ويدوسه برجله، حتى قتل جماعة، ثم تمرغ في دم الحسين (ع) ثم قصد الخيمة وله صهيل عال، وهو يضرب يديه الأرض ويقول في صهيله:

الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها!!

قال: فخرجت زينب بنت علي (ع) من الفسطاط تنادي:

وأخاه، وأسيدها، ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل، يا ابن سعد أقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟!!

فصرف وجهه الخبيث عنها ودموعه تسيل على لحيته المشؤومة، والحسين في كل ذلك مغمى عليه، تحاماه الناس (1).

ثم نادى عمر بن سعد: أما فيكم من يذبح الحسين ويأتيني برأسه؟ فبدر إليه الشمر فرفسه برجله وجلس على صدره، وقبض على شيبته المقدسة، وضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة واحتر رأسه المقدس:

وإماماه، وأسيدها، وأحسيناه، وأمظلوماه

ومرَّ يحرُّ النحرَ غيرَ مراقبٍ من الله لا يخشى ولا يتوجَّسُّ

وؤزلت الأرضونَ وارتجت السما وكادت له أفلاكها تتعطل (2)

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

(1) إلى هنا نقلته عن (مقتل الحسين (ع)) للمرحوم آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء [1]، تحقيق الخطيب فضيلة الشيخ هادي الهلالي.

(2) من قصيدة عصماء للمرحوم الشيخ هاشم الكعبي.

دفنُ الأجساد الطاهرة

لم أنسهُ اذ قام فيهم خاطباً
يدعو ألسْتُ أنا ابنَ بنتِ نبيِّكم
هل جئتُ في دينِ النبيِّ ببدعةٍ
أم لم يوصِّ بنا النبيُّ وأودعُ
إن لم تَدِينُوا بالمعادِ فراجعوا
فغدوا حيارى لا يرونَ لوعظه
حتى إذا أسفَّتْ علوجُ أميَّةٍ
صلَّتْ على جسمِ الحسينِ سيوفُهم
ومضى لهيفاً لم يجد غيرَ القنا
ظمانَ ذابَ فؤادُه من غلَّةٍ
لهفي لجسمك في الصعيدِ مجرّداً
تربّ الجبينِ وعينُ كلِّ موحدٍ
لهفي لرأسك فوق مسلوبِ القنا
يتلو الكتابَ على السنانِ وإنما
فاذا همُّ لا يملكون خطاباً
وملاذكم إذ صرفُ دهرٍ ناباً
أم كنتُ في أحكامِه مرتاباً
التقلين فيكم عترةً وكتاباً
أحسابكم ان كنتُم أعراباً
إلا الأستة والسَّهَامِ جواباً
أن لا ترى قلبَ النبيِّ مصاباً
فغدى لساجدةِ الظُّبيِّ محراباً
ظلاً ولا غيرَ النجيعِ شراباً
لو مسَّت الصخرَ الأصمَّ لذاباً
غريانَ تكسوهُ الدماءُ ثياباً
ودَّت لجسمك لو تكون تُراباً
يكسوهُ من أنوارهِ جلاباً
رفعوا بهِ فوقَ السنانِ كتاباً⁽¹⁾

(1) القصيدة العصماء هذه للمرحوم السيد رضا الموسوي الهندي رحمته الله تعالى.

قال المرحوم السيد جواد شير في (أدب الطف) الجزء التاسع ص242:

السيد رضا الهندي شيخ الأدب في العراق، العالم الجليل والمؤرخ والباحث الشهير هو ابن

نعي

ثلث تيام ظل مطروح الحسين
وحوله مطرّحه كل هله الطيبين
جثث مله عشيره ولاله معين
وتهيل دموعه دم على الخدّين
صوت يا علي يالبالغرين
على الرّمضا وهو عزّ المسلمين
واصحابه الصناديد الميامين
بس زينب بگت تصفگ بالايدين
وتصيح بألم وبلوعات صوتين
وصوت ياليوت الهاشميين

السيد محمد بن السيد هاشم الموسوي الهندي - ينتهي نسبه إلى الإمام العاشر من أئمة أهل البيت: وهو الإمام الهادي (ع) - ولد (ره) في الثامن من شهر ذي القعدة سنة 1290هـ في (النجف الأشرف)، وهاجر إلى سامراء بهجرة أبيه سنة 1298هـ وذلك حين اجتاحت النجف وباء الطاعون، ومكث يواصل دروسه في سامراء، وكان موضع عناية آية الله المجدد الشيرازي لذكائه وسرعة بديهته وسعة اطلاعه، وفي النجف الأشرف واصل جهوده العلمية على أساطين العلم حتى نال درجة الاجتهاد، وشهد له مراجع الطائفة كالشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشيخ الشرياني والملا محمد كاظم الخراساني (صاحب الكفاية)، وقد انتدبه المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني (وكيلاً) عنه للإرشاد. ومن روائعه التي اشتهرت وحفظها القاصي والداني قصيدته (الكوثرية) في مدح أمير المؤمنين (ع).
وأما الرائعة التي ختم بها حياته وطلب أن تكون معه في قبره فهي هذه القطعة الوعظية (ومطلعها):

أرى عمري مؤذناً بالذّهابِ تمُرُّ لياليه ممرّ السّحابِ

كانت وفاته بالمشخاب فجأة وذلك بعد ظهر يوم الأربعاء 22 جمادى الأولى سنة 1362هـ المصادف 26 مارس سنة 1943م وحمل جثمانه على الأعناق إلى قضاء أبي صخير فالنجف في صبيحة اليوم الثاني وكان يوماً مشهوداً حتى دفن بمقبرة الأسرة الخاصّة، وأقام زعيم الحوزة العلمية السيد أبو الحسن الفاتحة على روحه في مسجد الشيخ الأنصاري (ره).

تعالوا يا أهلنّه ودفنوا الحسين وشوفوا شعمل بينه خلافه البين

روي ان الامام الحسين(ع) كان كثيراً ما ينشد هذه الأبيات:

لئن كانت الأفعال يوماً لأهلها
كمالاً فحسن الخلق أبهى وأكمل
وإن كانت الأرزاق رزقاً مقدرًا
فقلّته جهد المرء في الكسب أجمل
وإن كانت الدنيا تُعدُّ نفيسةً
فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرء يخل
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت
فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل⁽¹⁾

تعرض الامام(ع) في هذه الأبيات لذكر مجموعة من المفاهيم التي يحتاجها الانسان المسلم في حياته اشدّ الإحتياج، وسأبدأ - بعد الإستعانة بالله - بشرحها ولو على نحو الإختصار.

البيت الأول: ذكر فيه الامام الحسين(ع) أفعال الإنسان وأنّ أكملها وأبهاها هو حسن الأخلاق، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في معرض مدح رسول الله(ص) حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾ مع أنّ النبي(ص) كان عظيمًا في كلّ خصاله لا يدانيه فيها أحد من الخلق، إلاّ أنّه تعالى خصّ فيه هذه الخصلة الشريفة بالذكر، ووصفها ب (خُلُقٍ عَظِيمٍ) لأنّها أكمل الأفعال وأحسن الخصال، وقد حفلت السنّة الشريفة بأحاديث جمّة

(1) الأنوار البهية للمرحوم الشيخ عباس القمي: ص98.

(2) سورة القلم: الآية 4.

تثني وتبشّر صاحب الخلق الحسن بسعادة الدارين منها على سبيل المثال:
عن النبيّ (ص): (ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق) (1). وأفضل في هذا الحديث الشريف بمعنى أثوب.

وعن الإمام الصادق (ع) عن جدّه رسول الله (ص) قال: (إنّ صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم) (2).
يعني أنّ ثواب صاحب الأخلاق الحسنة، كثواب المؤمن الذي يصوم نهاره، ويقوم ليله ما دام حياً.
وسئل النبيّ (ص): أيّ الأعمال أفضل؟ قال: (حسن الخلق) (3).

وقال (ص): (أكثر ما تلجّج - أي تدخل - به أمّتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق، يعمران الديار ويزيدان في الأعمار) (4).

وفي الكافي عن الامام أبي جعفر محمّد بن علي الباقر (ع) قال: (إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (5).
وعن الامام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق (ع) قال: (ما يتقدّم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعملٍ بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه) (6).

(1) الأخلاق للمرحوم السيد عبدالله شبر: ص5.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق: ص5 و6.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

(6) المصدر السابق نفسه.

البيت الثاني: ذكر فيه الامام (ع) رزق الله تعالى لعباده، وأكد أن الرزق مقدّر فلا تصرفوا الوقت كلّه في طلبه، وانما أجملوا فيه. روي عن النبي (ص) قال: (اقتصدوا في الطلب فإنّ ما رزقتموه أشدّ طلباً لكم منكم له، وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم) (1).

وقد ورد الحثّ على التكسّب في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

فأما القرآن الكريم فكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (2).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (3).

وأما السنة الشريفة فكثيرٌ منها:

عن النبي (ص) قال: (من طلب الدنيا حلالاً تعففاً عن المسألة، وتوسيعاً على عياله، وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر) (4).

وعن الامام الصادق (ع) قال: (الكأد على عياله كالمجاهد في سبيل الله) (5).

وروي أنّ النبي عيسى على نبينا وآله وعلينا رأى رجلاً فقال له: ما تصنع؟ فقال: أتعبّد قال: ومن يعولك؟ قال: أخي قال: أخوك أعبد منك (6).

(1) نور الحقيقة للشيخ عز الدين الحسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي: ص 158.

(2) الجمعة: الآية 10.

(3) الملك: الآية 15.

(4) الحجّة البيضاء ج 3 ص 140.

(5) الحجّة البيضاء ج 3 ص 143.

(6) الحجّة البيضاء ج 3 ص 141.

وعن أبي حمزة الثمالي عن الامام أبي جعفر الباقر(ع) قال: قال رسول الله(ص) في حجة الوداع: ألا إنَّ الروح
الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها فاتَّقوا الله عزَّوجلَّ وأجملوا في الطَّلب ولا يحملنَّكم
استبطاءُ شيءٍ من الرزق أن تطلبوه بشيءٍ من معصيةِ الله عزَّوجلَّ فإنَّ الله تبارك وتعالى قسَّم الأرزاق بين خلقه حالاً
ولم يقسِّمها حراماً، فمن اتقى الله عزَّوجلَّ وصبرَ أتاه الله برزقه من حلِّه، ومن هتك حجابَ السِّتر وعجَّل فأخذ من
غير حلِّه فُصِّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة (1).

أقول: أمر النبي(ص) في كلامه الشريف هذا بالإجمال في طلب الرزق، ولم يقل اتركوا الرزق، ولا اصرفوا وقتكم
وجهدكم كلَّه فيه، بل أمرَ بالإجمال فيه.

وفي الكافي عن أبي عبد الله الصادق(ع) قال: (إنَّ محمَّد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أنَّ عليَّ بن
الحسين(ع) يدعُ حَلْفاً أفضلَ منه حتى رأيت ابنةَ محمَّد بن علي(ع) فأردتُ أن أعظه فوعظني فقال له أصحابُهُ: بأيِّ
شيءٍ وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمَّد بن علي - الباقر - (ع)
وهو متكئ على غلامين أسودين فقلت في نفسي: سبحان الله شيخٌ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه
الحال في طلب الدنيا أما لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فردّ

(1) الحجّة البيضاء ج 3 ص 142.

عليّ السلام وهو يتصابُ عرقاً فقلت: أرأيت لو جاء أجلك وانت على هذه الحال ما كنت تصنع؟ فقال(ع): لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعةٍ من طاعات الله عزّوجلّ، أكفّ بها نفسي وعبالي عنك وعن الناس، وأتّما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصيةٍ من معاصي الله فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني (1).

يحكى أنّ رجلاً صالحاً متقياً كان يعيش في إحدى المدن المهمّة اسمه (أبو العلي)، ذهب في يوم من الأيام لزيارة أحد العلماء فسأله قائلاً: أيّها العالم أخبرني عن أفضل أعمال الدنيا التي تنفعني في الآخرة فقال العالم: أفضل الأعمال تقوى الله تعالى، فسأل الرجل ثانياً فقال: أخبرني عن أحسن الطرق التي من خلالها أستطيع الحصول على لقمة حلال فقال العالم: اللقمة الحلال تأتي بها من خلال عمل اليدين وعرق الجبين، فعندما سمع الرجل ذلك من العالم قال: إذا كان كذلك فسأدرس العلم النافع نهاراً، واشتغل بصنعةٍ ما في بيتي ليلاً، وفعلاً دام على هذا مدّة طويلة، وفي ليلةٍ من الليالي رأى في عالم الرؤيا نفسه واقفاً على متن جبل، وفي صفحة الجبل ثقبٌ يخرج منها الماء، وهذه الثقب فيها الواسع والأوسع، وفيها الضيق والأضيق حتى رأيت بعضها يقطر قطرات متوالية والآخر يقطر بين كل فترةٍ واخرى قطرةً واحدة، فتعجّبت ممّا رايت ولم أفهم المقصود من ذلك، فرأيت جماعةً جالسين فسألتهم عن الماء الزلال وعن الثقب التي يخرج منها الماء، ولماذا لم تكن متساوية؟ فقال لي أحدهم: هذه أرزاق العباد،

(1) الكافي ج 5 ص 73.

منهم من قدّر الله تعالى له رزقاً وافراً، ومنهم من قدّر له رزقاً قليلاً، ومنهم الوسط بين هذا وذاك فقلتُ: ومن أيّ الثقوب قدّر الله تعالى رزقي؟ قال لي: أعطني اسمك واسم أبيك ففعلت قال: فأخرج كتاباً نظر فيه ثمّ قام وقال: رزقك من هذا الثقب قال: فنظرت وإذا هي قطرات تخرج من ذلك الثقب بين فترة وأخرى، فاضطربت من ذلك وقمت من نومي وأنا في حالة الإضطراب وقلت: سبحان الله العظيم لقد قدّر الله تعالى لي بحكمته رزقاً قليلاً فشكراً له على ذلك. وبقي أبو العلى مداوماً على عمله حيث كان يشتغل بتحصيل العلم النافع نهاراً، وفي الليل بصنعة يؤمّن منها معاشه، وكان والي البلد يخرج من قصره في بعض الليالي متنكراً بلباس الفقراء ليطلع على أحوال رعيته وأهل بلده. وفي ليلة من الليالي مرّ الوالي وهو متنكر على بيت (أبو العلى) فسمع صوته وهو في المناجاة، فأطال الوالي الوقوف وأعجبه ما سمع، وفي الليلة الثانية جاء الوالي أيضاً ووقف عند البيت وسمع أبا العلى وهو يناجي ربّه، وهكذا جاء في الليلة الثالثة فطرق عليه الباب فأسرع أبو العلى وفتح الباب وإذا بالوالي يقول: أنا رجلٌ غريب عن هذا البلد، وفقير ليس عندي من حطام الدنيا شيء، فإن كنت تحبّ الضيف فأنا ضيفك هذه الليلة فقال له: يا أخي الضيف حبيب الله وهو هديّة الله لعباده فمرحّباً بك تفضّل.

فدخل حتى إذا استقرّ به الجلوس جاء أبو العلى ومعه طبق فيه خبز وabric من الماء وضعه أمامه وقال: الضيف يأتي ومعه رزقه، فأكل الوالي وتحادثا ساعة ثمّ قام أبو العلى ودلّ ضيفه على فراشه لينام، وفعلاً تمدّد الوالي على الفراش ولكنّه لم ينم، وعاد أبو العلى إلى عمله ومناجاته،

لم تمض مدّة طويلة حتى قام الوالي من فراشه وقال: أخبرني ما هذا الذي تعمل وما سرّ هذه المناجاة؟ فأخبره أبو العلى بحاله وطلبه العلم والمنام الذي رآه، فتعجب الوالي وقال في نفسه: الواجب عليّ أن أُخْرِجَ هذا الرجل الصالح من حال الفقر الذي هو فيه، وعندما أصبح الصباح ودّعه وخرج من بيته، وذهب إلى مقرّ الوالي في القصر، فأمر طبّاخه ان يعدّ طعاماً مهمّماً ويأتي به إليه قبل وقت الإفطار، وفعلاً حُمِلَ الطعام إلى الوالي فعندما رفع الطبق واذا هو بطعامٍ من اطعمة الملوك والأمراء، فأخرج الوالي ما جادت به نفسه من نفيس الجواهر والدرر ودسّه في الطعام وأرجع الغطاء، وأمر أن يحمل إلى بيت الرجل الفقير (أبو العلى)، وفعلاً جاء به الخادم وطرق عليه الباب فلمّا فتح أبو العلى الباب ناوَلَه الخادم الطعام وانصرف، فدخل أبو العلى مع الطعام إلى داخل المنزل وكشف الغطاء واذا برائحة الطعام اللذيذ الذي لم يأكل مثله قط، فهشّت نفسه ومالت إلى الطعام، فالتفت إلى نفسه وقال: إذا أكلتُ هذا الطعام فسوف لن أجد للخبز الخالي الذي آكله كلّ يوم لذةً ولا طعاماً، ولذا قف امام مشتبهات نفسك ولا تعطيهما كلّ ما تريد وإلا أخذتكَ يميناً وشمالاً حيث المشتبهات والمكروهات وما لا تحمد عاقبته، فأنزل هذا الطعام منزلة العدم ولا تأكل منه شيئاً ثم قال: سأذهب به إلى فلان التاجر حيث وصل منزله هذه الليلة ولم يأكل شيئاً إلى الآن، وفعلاً قام ومعه ذلك الطعام وذهب إلى بيت التاجر وطرق عليه الباب وسلّم وبارك له سلامة الوصول، وقدّم له الطعام وعاد إلى بيته، فرفع التاجر الطبق واذا بطعام حسن لذيد مدّ يده فأكل حتى وصل إلى الجواهر والدرر فأخرجها متعجباً

وعرف قيمتها العالية فقال: هذا رزق ساقه الله لي وهو يكفيني إلى آخر عمري، وسوف لا احتاج بعد هذا المال إلى السفر والتجارة، بل سأتفرغ لعبادة ربي تبارك وتعالى.

وعاد أبو العلى إلى عمله ومناجاته، ومرّ الوالي على بيته في تلك الليلة فرآه على حاله لم يتغيّر منه شيء، فطرق عليه الباب وقال له: وصل اليك طعام حسن أكلت منه؟ قال: لا ولكني حملته إلى رجل تاجر وصل في هذه الليلة من السفر إلى أهله عملاً بهذه الآية الكريمة ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (1) فعملت بهذه الآية وآثرته على نفسي، فكان من نصيبه لا من نصيبي، فتعجّب الوالي ممّا سمع وتيقن أنّ الأرزاق بيد الله تعالى، قدرها بحكمته، وقسمها بعدله، ثمّ قام وودعه وانصرف (2).

وفي الديوان المنسوب:

رضيْتُ بما قَسَمَ اللهُ لي وفوضتُ أمري إلى خالقي

كما أحسنَ اللهُ فيما مضى كذلك يُحسنُ فيما بقي (3)

البيت الثالث: ذكر فيه الامام (ع) ثواب الآخرة وقال إنّها أعلى من ثواب الدنيا وأنبل وأبقى.

لا شك أن الدنيا مزرعة الآخرة - كما في الحديث الشريف - فيحمل

(1) سورة الحشر: الآية 9.

(2) جامع التمثيل فارسي بتصريف.

(3) الديوان المنسوب للامام أمير المؤمنين (ع): ص 90.

الإنسان منها ما يدّخره للآخرة، كما لا شك أنّها العونُ بل نعم العون - كما في الحديث الشريف - للآخرة حيث منها يتزوّد المؤمن الأعمال الصالحة، والعبادات الراجحة، وهي - أي الدنيا - من جهة أخرى بلاء ومحنة وفتنة، حيث حقّت بالمكارة والشهوات، فلا يعصي الإنسان ربّه إلاّ فيها ففي الحديث الشريف: (من هوان الدنيا على الله أنّه لا يُعصى إلاّ فيها، ولا يُنال ما عنده إلاّ بتركه).

ولكن ما هو المعيار الذي به نتميّز الدنيا الممدوحة من المذمومة، يقول المرحوم السيد عبدالله شير في كتابه (الأخلاق):

إنّ من كان مشغولاً بالعلم والعبادة والحج والصدقات وأداء الزكوات وقضاء الحوائج، وزيارة الأخوان، وعبادة المرضى، وتشجيع الجنائز، وحضور الجمعة والجماعات والمواظبة على النوافل وسائر الطاعات قد يصدق عليه أنّه طالب الدنيا وأنّ أعماله مردودة غير مقبولة وذلك لأنه لم يقصّد بها وجه الله تعالى، وربّ رجل كثير المال والخدم والحشم، حسن الطعام والمشرب، وجيّد الزي والملبس ذي ديار وسيعة وعمارات عالية ونساء متعدّدة ومراكب حسنة، وهو من أهل الآخرة وأعماله مقبولة وسعيه مشكور لأنه قصد بذلك وجه الله تعالى، وأراد رضاه.

اذن صار بيدنا المعيار لمعرفة الدنيا الممدوحة والمذمومة وهو:

الدنيا - المذمومة - عبارة عن كلّ شيءٍ يوجب البعد عن الله وان كان صلاة وصوماً وحجاً وجهاداً وانفاقاً وزهداً وقناعة، والآخرة - الدنيا الممدوحة - كلّ شيءٍ يوجب القرب من الله تعالى وان كان مالاً ونساءً وخدماً وحشماً⁽¹⁾.

(1) الأخلاق للمرحوم السيد عبدالله شير: ص 178 - 179 بتصرّف.

وفي الرواية عن الامام محمد الباقر(ع) قال: (مَن طلب الرزقَ في الدنيا استغفافاً عن الناس وسعيّاً على أهله وتعطّفاً على جاره لقي الله عزوجلّ ووجهه مثل القمر ليلة البدر).

هذا الحديث الشريف يؤكد الحقيقة التالية: وهي أنّ طلب الدنيا - الرزق - لحفظ ماء الوجه أو التوسعة على العيال، وصلة الرحم والجيران، هو من أعمال الآخرة وصاحبها مأجور مثاب له عند الله تعالى الأجر الجزيل، وفي هذا المعنى جاءت الرواية عن الامام الصادق(ع) حيث قال له رجل: والله إنّنا لنطلب الدنيا ونحبّ أن نؤتاها فقال له الامام(ع): (تحبّ ان تصنع بها ماذا؟) قال: أعود بها على نفسي وعيالي، وأصل بها وأتصدّق بها وأحجّ وأعتمر فقال(ع): (ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة) (1).

ولنختم هذا الباب بحديث عن النبي(ص) حيث يذكر فيه ثواب الدنيا والآخرة فيقول: (ما الدنيا في الآخرة إلا كميثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم - البحر - فلينظر بم يرجع إليه من الأصل) (2).
يعني ان الدنيا هي قطرة والآخرة هي البحر العميق الغير متناهي، فليت شعري أي عاقل يترك هذا الثواب العظيم الدائم، ويأخذ بالحقيير الزائل مع ما فيه من المحن والبلوى.

(1) الأخلاق للمرحوم السيد عبدالله شبر: ص180.

(2) المصدر السابق: ص184.

سألتك بالله إلا ما أعلمتيني بحالك، قالت: اذ ناشدني بالله اعلم أني امرأة علوية من بنات الامام علي (ع) ولي ثلاث بنات علويات صغار وقد مات زوجي ولنا ثلاث ليال بأيامهنّ لم نأكل شيئاً وليس عندنا شيء، وقد خرجت عنهنّ وهنّ يتضوّرن جوعاً لألتمس لهنّ شيئاً فلم يقع في يدي غير هذه الدجاجة الميتة فأردت اصلاحها لنأكلها فقد حلّت لنا الميتة، قال: فلما سمعتُ ما قالت وقف شعري واقشعرّ جلدي وقلت في نفسي: يا بن المبارك وأيّ حجّ أعظم من هذا؟ فقلت: أيتها العلوية انّ هذه الدجاجة حُرّمت عليكم إفتحي حجرك حتى أعطيك شيئاً من النفقة ثمّ فتحت الكيس وصببتُ الدنانير في حجرها بأجمعها، فقامت مسرورة عجلة ثمّ دعت لي خيراً وانصرفت، فرجعتُ إلى منزلي وقد نزع الله ارادة الحج من قلبي فلزمت منزلي واشتغلت بالعبادة حتى خرجت قوافل الحج متوجهةً إلى مكة فودّعتهم مع الناس، فلما عاد الحجاج خرجت أيضاً لإستقبالهم فصافحتهم، وكنت لا ألقى أحداً فأقول له: جعل الله حجّك مبروراً، وسعيك مشكوراً حتى يقول: يا بن المبارك ألم تكن معنا ألم أشاهدك في الطواف، وآخر يقول ألم أشاهدك في منى، وآخر يقول: ألم أشاهدك في عرفات وهكذا فتعجّبت من ذلك غاية التعجّب، فلما رجعت إلى منزلي وبتت تلك الليلة رأيت في منامي رسول الله (ص) وهو يقول لي: يا بن المبارك انك لما أعطيت الدنانير لإبتنا وفرّجت كربها واصلحت شأنها وشأن ايتامها بعث الله ملكاً على صورتك فهو يحجّ في كلّ عام، ويجعل ثواب الحج لك إلى يوم القيامة، فما عليك ان حججت بعد أو لم تحج فإنّ ذلك الملك لا يترك الحج عنك إلى يوم القيامة (1).

(1) كشكول البحراني ج 2 ص 281.

البيت الخامس:

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
ذكر فيه (ع) الموت وقال إنَّ النهاية الحتمية لكل إنسان هي الموت، وخروج الإنسان من عالم الدنيا إلى البرزخ، إلا
أنَّ القتال في سبيل الله تعالى هو أفضل أنواع الموت.

وفي حتمية الموت صرح القرآن الكريم وذلك كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَإِكْرَامٍ﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (2) وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي
تَفَرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (3).

وأما الأحاديث الشريفة الواردة عن النبي وآله المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد كان الكثير منها
يتحدث عن الموت وحتميته، فعن النبي (ص) قال: (إنَّ روح القدس نفثَ في رُوعي: أحب ما أحببت فإنَّك مفارقه،
وعش ما شئت فإنك ميّت، واعمل ما شئت فإنَّك مجزي به) (4).

(1) الرحمن: الآية 26 - 27.

(2) العنكبوت: الآية 57.

(3) الجمعة: الآية 8.

(4) أعلام الدين في صفات المؤمنين للدليمي: ص 242.

ومن خطبة الامام الحسين (ع) قبل خروجه من مكة إلى العراق قال: (حُطَّ الموتُ على وُلدِ آدمَ مَحَطَّ القلادةِ على جيد الفتاة).

وفي الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (ع):

الموتُ لا والداً يُقَي ولا ولداً هذا السَّبيلُ إلى أن لا ترى أحداً
كان النبيُّ ولم يَخْلُدْ لأُمَّتِهِ لو خَلَدَ اللهُ خَلْقاً قَبْلَهُ خَلداً
للموتِ فينا سهامٌ غيرُ خاطئةٍ من فاتهُ اليومَ سهمٌ لم يُفتَهُ غداً (1)

وكتب رجلٌ لأحد الزهاد هذا البيت وأراد منه الجواب عليه:

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ يدخلُهُ يا ليتَ شعري بعد الباب ما الدارُ
فأجابه بهذين البيتين:

الدارُ جنَّةٌ عدنٍ إن عملت بما يُرضي الإلهَ وأن خالفت فالنارُ
هما محالانِ ما للناسِ غيرُهُما فانظر لنفسِكَ أيَّ الدارِ تختارُ (2)

أقول: إذا كان الموت حتماً في رقاب العباد المخلوقين، فإنَّ أشرفه وأفضله القتلُ في سبيل الله تعالى كما قال الامام الحسين (ع) وفعل حيث

(1) الديوان المنسوب: ص48.

(2) نور الحقيقة: ص283.

قتل في سبيل الله شهيداً بل وسيداً للشهداء على الإطلاق، إلا أنّ الذي يُقرح القلب، ويصدغ الفؤاد هو بقاؤه مع أهل بيته وأصحابه ثلاثة أيام على أرض المعركة من غير دفن. قال السيد المقرّم في المقتل: وفي اليوم الثالث عشر من المحرمّ أقبل زين العابدين(ع) لدفن أبيه الشهيد(ع) لأنّ الإمام لا يلي أمره إلاّ امامٌ مثله⁽¹⁾، ولما أقبل الامام السجّاد(ع) وجد بني أسد مجتمعين عند القتلى متحيّرين لا يدرون ما يصنعون، ولم يهتدوا إلى معرفتهم وقد فرّق القوم بين رؤوسهم وابدانهم، فأخبرهم(ع) عمّا جاء إليه من مواراة هذه الجسوم الطاهرة ووقفهم على اسمائهم كما عزّفهم بالهاشميين من الأصحاب فارتفع البكاء والعيول، وسالت الدّموع منهم كلّ مسيل ونشرت الأسديّات الشعور ولظمن الحدود، ثمّ مشى الامام زين العابدين(ع) إلى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاءً عالياً وأتى إلى موضع القبر ورفع قليلاً من التراب فبان قبرٌ محفور وضريحٌ مشقوق فبسط يديه تحت ظهره وقال: (بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله صدق الله ورسوله ما شاء لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العظيم) وانزله وحده ولم يشاركه بنو أسد فيه وقال لهم: (إنّ معي من يعينني)، ولما اقرّه في لحده وضع خده على منحره الشريف قائلاً: (طوبى لأرضٍ تضمّت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الليلُ فمسّهّد والحزنُ سرمد حتى يختار الله لأهل بيتك دارك التي انت بها مقيم وعليك مني السلام يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته)⁽²⁾.

(1) مقتل المقرّم: ص414 عن اثبات الوصيّة للمسعودي.

(2) المصدر نفسه: ص416.

سمعتُ بعض الرّاثين يقول: عندما انزل الامام زين العابدين(ع) جسداً أبيه في القبر خرج قبل ان يهيل عليه التراب منحني الظهر باكياً حزيناً حتى جلس على الأرض ورفع منها شيئاً قال بعض بني اسد: حققنا النظر واذا به رفع اصبع الحسين المقطوع ليرجعه إلى جسده الشريف:

يُحْفَارُ كَبْرَهُ زَيْنَ وَسَعَهُ وَلَمَّا نَزَلَ لَتَضَعُضَعَهُ
مَنْ حَيْثُ كَلَّهَ عِظَامَ كَطَعَةٍ يَخْفَاكَ ضَلَعُ أُمِّهِ الْبِضْعَةَ
ضَلَعَهُ الْأَصْلَ وَحُسَيْنَ فِرْعَهُ وَدَوَّرَ عَلَيَّ مَكْطُوعَ أَصْبَعِهِ

بِاللَّهِ عَلَيْكَ الْكَفَّةَ رَجْعَةً

ثمّ مشى الامام زين العابدين(ع) إلى عمّه العباس(ع) فرآه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين اطباق السماء، وابكت الحور في الجنان، فوقع عليه يلثم نحره المقدّس قائلاً: (على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم وعيك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته)، ثمّ حمّله وحده وقال: (إنّ معي من يعينني) (1).

سمعت بعض الرّاثين يقول: بعد ان دفن الامام زين العابدين(ع) أباه سيّد الشهداء(ع) جاءه بعض بني اسد فقال: إنّ على الشريعة جسداً كلّما رفعنا منه جانباً سقط منه جانب آخر فجاء مسرعاً إلى مصرع عمّه أبي الفضل:

(1) مقتل المقرّم: ص 417.

إجته يبكي ويصيح بصوت يا عم عكب عينك علينا تراكم الهم
شافة مگطعينة وسابح بدم لا يسورة ولا يمنة ولا راس

هوه فوگه يشم نحره ويحاكيه ويهل دموع عينة ويصفگ ايديه
(هذا الخفت منه طحت بيه) على الدنيا العفا بعدك يعباس

يقولون: ثم انه (ع) أراد ان ينصرف بعد ان دفن الشهداء فقال له بعض بني أسد: بالذي أكرمك بهذه الكرامة من أنت؟ فأرخی لثامه وبان وجهه الكريم فوق بنو أسد على أقدامه وهم يعزونه بأبيه وأعمامه واخوانه وشيعته وهو يبكي ولسان الحال:

أبكيهم بدموع ليس تنقطع مدى الزمان ولا اذ ذاك أرتدع
يا لائمي لا تلمي كيف أمتنع
نذر علي لئن عادوا وإن رجعوا لأزرعن طريق الطف رحانا

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

شهادة الإمام زين العابدين (ع)

بأبي أبي الضّميم لا يُعطي العدى
بأبي فريداً أسلمته يد الرّدى
حتى هوى ثبت الجنان إلى الثرى
يا رأس مفترس الضياغم في الوغى
ما أن بقيت من الهوان على الثرى
إلا لكي تقضي عليك صلاتها
لهفي لرأسك وهو يُرفع مشرقاً
يتلو الكتاب وما سمعت بواعظ
والهفتاه على خزانة علمك الـ
ما لي أراك ودمع عينك جامد
ويصيح واذلاه أين عشيرتي
منهم خلت تلك الدّيار وبعدهم
أترى يعود لنا الزّمان بقرهم

حذر المنية منه فضل قياد
في دار غربته لجمع أعادي
من فوق مفتول الدّراع جواد
كيف انثيت فريسة الأوغاد
ملقى ثلاثاً في ربّ ووهاد
زمر الملائك فوق سبع شداد
كالبدر فوق الدّابل المياد
اتخذ القنا بدلاً عن الأعواد
سجاد وهو يُقاد في الأصفاد
أو ما سمعت بمحنة السجاد
وسراة قومي أين أهل وداد
نعب الغراب بفرقي وبعاد
هيهات ما للقرب من ميعاد⁽¹⁾

(1) هذه القصيدة العصماء للمرحوم الشيخ أحمد النحوي.

قال السيد الأمين I في (أعيان الشيعة) المجلد الثالث ص46:

هو أبو المعالي أحمد بن علي بن قدامة قاضي الأنبار النحوي شيخ فاضل فقيه جليل يروي عن المفيد والمرضى والرّضي، وهو من مشايخ الإجازة، وله من الكتب كتاب في علم القوائى، وكتاب في النحو، توفي في شهر شوال سنة 486هـ.

سمعه العليل يعالجونه صبح ومسسه يتفكدونه
وعن حاله دايماً ينشدونه مشفنه العليل يگيدونه
ومن فوگ ناگه يسيرونه ومبال خشنه يربطونه
ذاك الإمام التّعرفونه زين العباد التودونه

* * *

ولد الامام أبوالحسن علي بن الحسين (ع) زين العابدين بالمدينة يوم الخميس الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في أيام جده امير المؤمنين (ع)، وذلك قبل شهادته بستين (1).

أمه السيدة شاه زنان بنت كسرى يزجرد بن شهریار بن كسرى ويقال إن اسمها (شهرانو)، وكان امير المؤمنين (ع) ولي حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق فبعث إليه ابنتي يزجرد بن شهریار فنحل ابنه الحسين (ع) شاه زنان منهما فأولدها زين العابدين (ع)، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فهما ابنا خالة (2).

روي عن النبي (ص) قال: (لله من عباده خيرتان، فخيرته من العرب قریش، ومن العجم فارس) وكان الامام علي بن الحسين (ع) يقول: (أنا ابنُ الخيرتين) لأنَّ جدّه رسول الله (ص) وأمّه بنت يزجرد الملك، وأنشأ أبوالأسود الدؤلي:

(1) كشف الغمة في معرفة الأئمة ج 2 ص 619، والإرشاد للشيخ المفيد: ص 253.

(2) الإرشاد للشيخ المفيد: ص 253.

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشمٍ لأكرمُ من نيطت عليه التمام (1)

كنيته: فالمشهور أبو الحسن، ويقال أبو محمد.

وأما لقبه: فكان له القاب كثيرة كلها تطلق عليه، أشهرها زين العابدين، وسيّد العابدين، والزكي، والأمين، وذو الثغفات (*) .

وأما مناقبه ومزايه وصفاته فكثيرة جداً منها:

عن طاووس الفقيه اليماني قال: رأيته - اي الامام السّجاد (ع) - يطوف من العشاء إلى السّحر ويتعبّد، فلمّا لم يرَ أحداً رمق السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجومُ سماواتك، وهجعت عيونُ أنامك، وأبوابك مفتحةٌ للسائلين، جئتك لتغفرَ لي وترحمني وتريني وجهَ جدّي محمّد (ص) في عرصات القيامة، ثم بكى وقال: وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شاكٌ ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك ستّك المرخي عليّ، فالآن من عذابك من يستنفذني؟ ومجبل من اعتصم ان قطعت حبلك عتيّ؟ فواسواتاه غداً من الوقوف بين يديك اذ قيل للمخفّين جوزوا، وللمثقلين حطّوا، أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما أنّ لي أن أستحي من ربّي؟ ثمّ بكى (ع) وهو يقول:

(1) بحار الأنوار ج 46 ص 3.

(*) ذو الثغفات: واحدها ثغفة، وهو ما يلامس الأرض من الأعضاء كالركبتين والجبهة، فأطلقوا هذا على الامام زين العابدين (ع) حتى صار لقباً له، وذلك لكثرة عبادته وسجوده بحيث كان الموكل يقصّ الجلد الغليظ من جبهته وركبتيه في السنة مرتين.

أُحْرَقَنِي بِالنَّارِ يَا غَايَةَ الْمُنَى فَأَيْنَ رَجَائِي ثُمَّ أَيْنَ مَحَبَّتِي
أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبَاحٍ زَرَّيْتَهُ وَمَا فِي السُّورَى خَلَقْتُ جَنَى كَجَنَائِي
ثمَّ بكى وقال: (سبحانك تُعصَى كأنك لا تُرى، وتُحلم كأنك لم تُعصَ، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنَّ بك
الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم)، ثمَّ خرَّ إلى الأرض ساجداً.
قال طاووس: فدنوت منه، ورفعت رأسه ووضعتُه في حجري وبكيت حتى جرت دموعي على خدِّه، فاستوى
جالساً وقال: (من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربِّي؟) فقلت: أنا طاووس يابن رسول الله ما هذا الجزعُ والفرعُ؟ ونحن
يلزمنا أن نفعل مثلَ هذا ونحنُ عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي وأُمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله (ص)
قال: فالتفت إليَّ وقال: (هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديثَ أبي وأمي وجدِّي، خلق الله الجنَّة لمن أطاعه
وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدأ قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي
الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (1) والله لا ينفَعُكُ غداً إلاَّ تقدمةُ تقدّمها من عملٍ صالحٍ (2).

قال الشاعر:

(1) المؤمنون: الآية 101.

(2) بحار الأنوار ج46 ص81.

لعمرك ما الإنسان إلا ابنُ دينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمانَ فارسٍ وقد وضع الشركَ النسبَ أبا لهب
وفي سنة حجّ هشام بن عبد الملك فلم يقدر على استلام الحجر الأسود لكثرة الزحام، فنُصب له منبرٌ فجلس عليه
وأطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين (ع) وعليه إزارٌ ورداء، من أحسن الناس وجهاً،
وأطيبهم رائحة، بين عينيه أثرُ السجود، فجعل يطوف فاذا بلغ إلى موضع الحجر الأسود تنحى الناس عنه هيبَةً له
ليستلمه، فقال رجلٌ شامي لهشام: مَنْ هذا يا امير؟ فقال لا أعرفه، قال هذا لعلا يرغب أهل الشام فيه، وكان
الفرزدق حاضراً فقال: لكني أنا أعرفه فقال الشامي: من هو يا أبافراس؟ فقال مرتجلاً:

يا سائلي أين حلّ الجودُ والكرمُ	عندي جوابٌ إذا طلَّابُهُ قَدَمُوا
هذا الذي تعرفُ البطحاءَ وطأتهُ	والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهمُ	هذا التقىُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
هذا عليُّ رسولِ اللهِ والِدُهُ	أمست بنورِ هداةِ تَهدي الأَمَمُ
هذا ابنُ سيِّدةِ النسوانِ فاطمةِ	وابنُ الوصيِّ الذي في سيفه نَقَمُ
إذا رأتهُ قريشٌ قال قائلُها	الى مكارمِ هذا ينتهي = الكرمُ
وليس قولُك من هذا بضائره	العُربُ تعرفُ من أنكرتِ والعجمُ
من معشرٍ حبُّهمُ دينٌ وبغضُهمُ	كفرٌ وقهرُهمُ منجىٌ ومعتصمُ
مقدّمٌ بعد ذكرِ اللهِ ذكْرهمُ	في كلِّ فرضٍ ومختمٌ به الكَلِمُ
إن عُدُّ أهلِ التقى كانوا أئمَّتْهمُ	أو قيلَ من خيرِ اهلِ الأرضِ قيلَ همُ

يُستدفعُ السوءُ والبلوى بحبِّهم ويُستزادُ به الإحسانُ والتَّعمُّمُ
ما قال (ل) قَطُّ إِلَّا في تشهُدِهِ لولا التشهُدُ كانت لأوُّهُ نَعَمُ
لو يعلمُ الركنُ من قد جاءَ يَلثمُهُ لخرَّ يلثمُ منه ما وطى القَدَمُ

إلى آخر القصيدة العصماء هذه، فغضب هشام ومنع جائزته وقال له: ألا قلت فينا مثلها قال: هاتِ جدًّا كجدِّه، وأبأ كأبيه، وأمأ كأمه حتى أقول فيكم مثلها، فحبسوه بعُسفان بين مكَّة والمدينة، فبلغ ذلك الامام عليَّ بن الحسين (ع) فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: (اعذرنا يا أبافراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به)، فردّها الفرزدق وقال: يا ابن رسول الله (ص) ما قلتُ الذي قلتُ إلا غضباً لله ولرسول، وما كنت لأرزق عليه شيئاً، فردّها إليه الامام (ع) وقال: (بحقي عليك لما قبَلتَها فقد رأى الله مكانك وعلمَ نيتك فقبله).

وجعل الفرزدق يهجو هشام بن عبدالمملك وهو في الحبس، فكان ممَّا هجاه به قوله:

أُحبسُني بين المدينةِ والبي اليها قلوبُ الناسِ يهوى منيها
يقَلِّبُ رأساً لم يكن رأسَ سيِّدٍ وعيناً له حولاءٌ بادِ عيوئها
فأخبر هشام بذلك فأخرجه من الحبس (1).

وممَّا روي عن الإمام زين العابدين (ع) من الكلمات الشريفة:

(مَن كُرمَ عليه نفسهُ هانت عليه الدُّنيا، وفي نسخة - هانت عليه شهواته) (2).

(1) بحار الأنوار ج 46 ص 124.

(2) البحار ج 78 ص 135.

وقال (ع): (لا يقلُّ عملٌ مع تقوى، وكيف يقلُّ ما يُتقبَّل) (1).

وقال (ع): (المؤمنُ من دعائه على ثلاث، إمّا أن يُدخَرَ له، وإمّا أن يُعجَّلَ له، وإمّا أن يُدفعَ عنه بلاءٌ يُريدُ أن يصيبَهُ) (2).

وقال (ع): (ما استغنى أحدٌ بالله إلا افتقرَ الناسُ إليه) (3).

وجاء رجلٌ إليه يشكو حاله فقال (ع): (مسكينٌ ابنُ آدمَ له في كلِّ يومٍ ثلاثُ مصائبٍ لا يعتَبِرُ بواحدةٍ منهنَّ ولو اعتبرَ بواحدةٍ منهنَّ لَهانت عليه المصائبُ وأمرُ الدُّنيا، فأما المصيبةُ الأولى فاليومُ الذي ينقصُ من عمرِهِ قال: وإن أصابَهُ نقصانٌ في مالِهِ اغتمَّ به، والدَّرهمُ يخلفُ عنه والعمرُ لا يرُدُّه شيءٌ، والثانيةُ أنه يستوفي رزقَهُ فإن كان حلالاً حوسبَ عليه، وإن كان حراماً عوقبَ عليه، والثالثةُ أعظمُ من ذلك، قيل: وما هي؟ قال: ما من يومٍ يُمسي إلا وقد دنا من القبرِ مرحله لا يدري أعلى الجنة أم على النار) (4).

وله (ع) كلمةٌ ذهبيةٌ خالدةٌ قالها بعد ان حضرته المنية، وذلك بعد أن سمَّه هشام بن عبدالمملك وكان ذلك في ملكِ الوليد بن عبدالمملك، عن الامام أبي جعفر الباقر (ع) قال: (لما حضرت أبي الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بُني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنّ أباه أوصاه

(1) البحار ج 78 ص 135.

(2) البحار ج 78 ص 138.

(3) البحار ج 78 ص 161.

(4) البحار ج 78 ص 160.

به قال: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ وُظِلَّ مِنْ لَا يُجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ أَنَّهُ (ع) أَغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَرَأَ ﴿إِذَا وَقَعَتِ
الْوَارِعَةُ﴾، و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ وقال: (الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتيباً من الجنة حيث
نشاء فنعم أجر العاملين)، ثم قضى الامام نجبه (1).

واسيداه، وإماماه، وامسموماه، وامظلوماه:

اويلي عليه أبوالباقر كنز العلوم عكب كيدة وحديده وذيك الهموم
كغضة نجبة وسافة عليه مسموم مثل جدّه علي صابر ومظلوم
والشيعه تعزي الغايب اليوم تكله وتمهل دموعه دموم

يمته تاخذ بشارك من الكوم

وروي انه لما مات الامام زين العابدين (ع) كانت له ناقة قد حجّ عليها اثنين وعشرين حجة ما قرعها بمقرعة قط،
فجاءت إلى قبر الامام وضربت بجراها على القبر وتمرّغت عليه وصاحت وهملت عيناها، فأتى الناس الامام الباقر (ع)
وأخبروه خبر الناقة فأتاها وأدخلها مكانها، فما مكثت طويلاً حتى خرجت ثانياً وصنعت كما صنعت أول مرّة، فأخبر
الامام الباقر (ع) فلمّا نظر إليها قال دعوها فإنها مودّعة، فلم تلبث ثلاثة ايام حتى ماتت.
أقول: هذه الناقة هملت عيناها حزناً لفراق الإمام زين العابدين، وفي كربلاء عاد فرس الإمام الحسين وهو مخضّب
بدمه ويصهل صهيلاً عالياً

(1) الانوار البهية للمرحوم الشيخ عباس القمي: ص112.

وهو يقول: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها وتوجه نحو الخيام حتى وصل إلى العقيلة:

يمهر حسين كلي وين لا وين السرج خالي وتجر رجلين ويدين
يكللها يزيب طاح الحسين فوگ الترب ومخضب بدمه
للحومه لفت زيب مسرعه ودمع العين دمعه بأثر دمعه
وصلت شافته مكسور ضلعه لنه الخيل داست فوگ جسمه

* * *

فرأت في الصعيد ملقى حماها هشم صدره خيول الأعادي
فدعت والجفون فرحى وفي القلب لهيب من الأسى ذو اتقاد
أحمى الضائعات بعدك ضعنا في يد النائبات حسرى بواد

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

مناسبات شهر صفر الخير

1 - الليلة الأولى:

- دخول السبايا إلى الشام

2 - الليلة الثانية:

- شهادة زيد بن عليّ بن الحسين (ع)

3 - الليلة السابعة:

- شهادة الإمام الحسن المجتبي (ع)

4 - الليلة السابعة عشر:

- شهادة الإمام عليّ بن موسى الرضا (ع)

5 - ليلة الأربعاء:

- أربعين الإمام الحسين (ع)

6 - ليلة الثامن والعشرين:

- شهادة النبيّ الأكرم (ص)

دخول السبايا إلى الشام

أناعي قتلى الطفّ لا زلت ناعيا
أعد ذكرهم في كربلا إنّ ذكرهم
ودع مقلتي تهمرُ بعد ابضاضها
ستنسى الكرى عيني كأنّ جفونها
وتعطي الدموع المستهلّات حقها
واعضاء مجد ما توزعت الظبي
لئن فرقتها آل حرب فلم تكن
ومّا يُزيل القلب عن مستقرّه
وقوف بنات الوحي عند طليقها
أبا حسن حرب تقاضتك دينها
تهيج على طول الليالي البواكيا
طوى جزعاً طي السجل فؤاديا
بعد رزايا تترك الدمع داميا
حلفن بمن تنعاه أن لا تلاقيا
محاجر تبكي بالغوادي غوادي
بتوزيعها إلا الندى والمعاليها
لتجمع حتى الحشر إلا المخازيا
ويترك زناد الغيظ للحشر واريها
بحال بها يُشجين حتى الأعدايا
الى أن أساءت في بنيك التقاضيا (1)

(1) الشاعر المرحوم السيد حيدر الحلبي(ره)، الدرّ النضيد: ص351.

قال المرحوم السيد جواد شير في (أدب الطف) الجزء الثامن ص8 :

ولد السيد حيدر في الحلة - حيث ينتهي نسبه إلى الإمام أبي عبدالله الحسين(ع) - كان مولده (15) شعبان سنة 1246هـ الموافق لسنة 1830م.

وقبل أن يكمل عامه الثاني من عمره فقد والدّه فعاش يتيماً، وقد تولّى تربيته عمّه السيد مهدي، كان شاعراً مجيداً من أشهر شعراء العراق أديباً نائراً جيّد الخط نظم فأكثر ولا سيّما في رثاء الإمام الحسين(ع) فقد حلّق بالرّغم من أنّ معاصريه من فحول الشعراء وأكابر الادباء فقد فاقهم حتى اعترفوا له بالفضل، وقال السيد الأمين في (أعيان الشيعة): وكان

نعي

بنات المصطفى بياحال سارت وبالبلدان بيهها الكوم دارت
عن نضّارها بالسّتر حارت مضل إلهها ستر بيه اتستّر
طلعوا كل اهالي الشام ليهن بحالت فرح تنفّج عليهن
وعلي السّجاد ويّاهن وليهن ابكيّد وجامعه وبالجبّل ينجر⁽¹⁾

* * *

كانت مآتم بالعراق تعدها أمويّة بالشّام من أعيادها

لغويّاً عارفاً بالعربيّة شهماً أديباً، وقوراً تقيّاً عليه سمات العلماء الأبرار كثير العبادة والنوافل كريم الطبع، وفي (الطليعة) أخبرني السيد حيدر الحلي قال: رأيت في المنام فاطمة الزهراء (ع) فأتيت إليها مسلماً عليها مقبلاً يديها فالتفتت إليّ وقالت:

أناعي قتلني الطفّ لا زلت ناعياً تهيج علي طول الليالي البواكيا

فجعلت أبكي واتبّهت وأنا أردّد هذا البيت وجعلت أتمشى وأنا أبكي ففتح الله عليّ أن قلت:

أعدّ ذكّهم في كـربلا إنّ ذكـرهم طوى جزعاً طيّي السـجّل فـؤاديا

إلى آخر القصيدة، ثمّ أوصى أن تكتب وتوضع معه في كفنه.

وكان أبيّ النفس، يتمتع بكانيّة سامية في الأوساط العلمية والأدبيّة بحيث يحتفي به السيد المجدّد الشيرازي في سامراء ذكر الشيخ الأميني (ره) في (الغدير) أن السيد حيدر قصّد سامراء لزيارة الإمامين العسكريين (ع)، وبعد أداء الزيارة قصّد المرجع السيد المجدّد الشيرازي، فعزم السيّد المجدّد على ردّ الزيارة له وحمل معه مائة ليرة ذهبيّة ودفعها له بكلّ احترام وتقدير ثمّ قبل يد السيد حيدر حيث انه شاعر أهل البيت.. توفي السيد حيدر في مسقط رأسه - الحلة - ليلة الأربعاء التاسع من ربيع الثاني سنة 1304هـ وعمره (59) سنة ودفن في النجف الأشرف في الجهة الشماليّة من الصحن الشريف بين مرقدي السيد ميرزا جعفر القزويني والشيخ جعفر الشوشنري.

(1) وسيلة الدارين الكبرى: ص 46.

في اليوم الأول من صفر أدخل رأس الحسين(ع) مدينة دمشق. قال السيد بن طاووس في (اللاهوت): وسار القومُ برأس الحسين(ع) والأسراء من رجاله، فلما قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من الشمر وكان من جملتهم فقالت له: لي إليك حاجة فقال: وما حاجتك؟ قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في دربٍ قليل النظارة، وتقدّم إليهم ان يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها فقد حُزينا من كثرة النظر اليها ونحُنُّ في هذه الحال، فأمر في جواب سؤالها ان يجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أتى بهم باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي.

وروي أنّ بعض الفضلاء التابعين لما شاهدوا رأس الحسين(ع) بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد اذ فقدوه سألوه عن سبب ذلك فقال: ألا ترون ما نزل بنا، وأنشأ يقول:

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد	مترقلاً بدماءه ترميلا
وكأتمما بك يا بن بنت محم	قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاً نأناً ولم يترقبوا	في قتلك التأويل والتزيلا
ويكسبون بأن قُلت وإمما	قتلوا بك التكبير والتهليلة (1)

دخل عيال الامام الحسين(ع) إلى الشام وقد زينت أهلها، وكان

(1) نفس المهموم: ص 429 - 430.

بأيديهم الطبول والدفوف وهم في فرح غامر، وسرورٍ عامر، وكانت الدعاية أنّ هؤلاء خوارج انتصر عليهم يزيد بن معاوية.

قال الراوي: جاء شيخٌ فدنا من نساء الحسين (ع) وعباله وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم!!

فقال له الامام علي بن الحسين (ع): (يا شيخ هل قرأت القرآن؟)

قال: نعم، قال: فهل عرفت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (1)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال له الامام (ع): نحنُ القربى يا شيخ، وهل قرأت في بني إسرائيل: ﴿وَأْتِ دَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ (2)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك فقال الامام (ع): نحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ (3)؟ قال: نعم فقال (ع): فنحنُ القربى يا شيخ، وهل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (4)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك فقال الامام (ع): نحنُ أهل البيت الذين خصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ، قال الراوي: بقي الشيخُ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، وقال تالله إنكم هم؟!

(1) الشورى: الآية 23.

(2) الإسراء: الآية 26.

(3) الانفال: الآية 41.

(4) الأحزاب: الآية 33.

فقال الامام(ع): (تالله إنا لنحنهم من غير شكٍ وحقّ جدّنا رسول الله(ص) إنا لنحنهم). قال الراوي: فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم اني أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد من الجنّ والإنس، ثمّ قال: هل لي ن توبة؟ فقال له: (نعم ان تبت تاب الله عليك وانت معن). فقال: أنا تائب، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل.

وروي عن الامام زين العابدين(ع) أنه قال: (لما أتوا برأس الحسين(ع) إلى يزيد لعنه الله، كان يتخذ مجالس الشراب، ويأتي برأس الحسين(ع) ويضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر ذات يوم رسول ملك الروم، وكان من أشرف الروم وعظماهم فقال ليزيد: يا ملك العرب، هذا رأس من؟ فقال له يزيد: ما لك ولهذا الراس؟ قال: اني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته، فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتى يشاركك الفرح والسرور.

فقال له يزيد لعنه الله: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب!!

فقال الرومي: ومن أمه؟

قال: فاطمة بنت رسول الله(ص).

فقال الرومي: أف لك ولدنيك، لي دين أحسن من دينك، إن أبي من أحفاد داود(ع)، وبينني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظمونني ويأخذون من تراب أقدامي تبركاً بي لأني من أحفاد داود(ع) وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، وليس بينه وبين نبيكم إلا أم واحدة فأبي دين دينكم؟! ثم قال ليزيد: هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟

فقال له: قل حتى أسمع.

فقال: إنّ بين عُمان والصين بحرٌ مسيرةُ ستّة أشهر ليس فيها عمران إلّا بلدة واحدة في وسط الماء طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً ما على وجه الأرض بلدةٌ أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت، أشجارهم العود والعنبر، وهي في أيدي النصارى، لا ملك لأحدٍ من الملوك فيها سواهم، وفي تلك البلدة كنائسٌ كثيرة أعظمها كنيسةٌ تسمّى كنيسة الحافر، في محرابها حقةٌ ذهب معلقةٌ فيها حافر يقولون: إنّ حافر حمار كان يركبُه عيسى (ع) وقد زيتوا حول الحقة بالذهب والديباج، يقصدها في كلّ عام عالمٌ من النصارى يطوفون حولها، ويقبلونها ويرفعون حوائجهم إلى تعالى عندها، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمارٍ يزعمون أنه حافر حمارٍ كان يركبُه عيسى نبيّهم وأنتم تقتلون ابن بنت نبيّكم، فلا بارك الله فيكم ولا في دينكم.

فقال يزيد: اقتلوا هذا النصراني لئلا يفضحني في بلاده.

فلما أحسّ النصراني بذلك قال ليزيد: أتريد أن تقتلني؟ قال: نعم. قال: اعلم أي رأيت البارحة نبيّكم في المنام يقول: يانصراني إنك من أهل الجنة فتعجبت من كلامه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ثمّ وثب إلى رأس الحسين (ع) وضّمه إلى صدره وجعل يقبله ويبكي حتى قتل (1).

يعظّمون له أعوادَ منبره وتحت أقدامهم أولادَهُ وضعوا

(1) اللهوف: ص 221 - 222.

بأيّ حكمٍ بنوه يتبعونكم وفخركم أنكم صحبٌ له تبعُ

قال الراوي: ثمّ أدخل ثقلُ الحسين (ع) ونساءه ومن تخلّف من أهل بيته على يزيد وهم مقرنون بالحبال، فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له الامام عليّ بن الحسين (ع): (أنشدك الله يا يزيد ما ظنّك برسول الله (ص) لو رأنا على هذه الحالة؟! فأمر يزيد بالحبال فقطّعت، ثمّ وضع رأس الحسين (ع) بين يديه، وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه وأما زينب فإنّها لما رأتة أهوت إلى جيبها فشقتة ثمّ نادت بصوت حزين يقرح القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا بن مكّة ومنى، يا بن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، يا بن محمّد المصطفى، قال الراوي: فأبكت والله كلّ من كان حاضراً في المجلس، ويزيد ساكت (1).

ثمّ دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكث به ثنايا الحسين (ع) فأقبل عليه أبوبرزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد، أتنتك بقضيبك ثغر الحسين (ع) ابن فاطمة؟! أشهدُ لقد رأيت النبيّ (ص) يرشفُ ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، قتل الله قاتليكما ولعنه وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً، فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحياً.

قال الراوي: وجعل يزيد لعنه الله يتمثّل بأبيات ابن الرّبعري ويقول:

ليت أشياخي بيدير شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشل

(1) اللهوف للسيّد بن طاووس: ص214.

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعادلنا ببيدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خير جاء ولا وحي نزل
لست من خندق إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

قال الراوي: فقامت زينب ابنة علي (ع) وقالت: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (1). أظننت يا يزيد - حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تُساقُ الإماء - أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة!! وأن ذلك لعظيم خطر عندك، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جدران مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله عز وجل ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (2).
أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك خرائك ونساءك وسوقك بنات رسول الله سبابا، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن، تحدوا بمن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المنازل والمناهل، ويتصقح وجوههن القريب والبعيد، والدي والشريف، ليس معهن من رجاهن ولي، ولا من حماهن حمي.

(1) الروم: الآية 10.

(2) آل عمران: الآية 178.

وكيف ترتجى مراقبةً من لفظ فوه أكباد الأركياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء، وكيف يستظلّ في ظلنا أهل البيت
من نظر إلينا بالشنف (1) والشنان والإحن والأضغان؟!

ثمّ تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واسـتـهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشـل
منحنيّاً على ثنايا أبي عبد الله (ع) سيّد شباب أهل الجنّة تنكّتها بمخصرتك (2).

نعي

يحسّين رأسك حين شففته	تلعب عصا يزيد اعلاه شففته
ذاك الوكـت صوتي رفعتـه	وصدـيتـله بحرگه وندهتـه
انشـلت يمينك يلـضـربته	بسـمـا سمعني الرّجس لمتـه
شـتمني وتعدتـله شـتمته	يا اخو المثلـك ضاعت اختـه

* * *

يخويه الدهر بية وبيك شففتك	مشيت ميسره وعل ترب شففتك
واعظـم يوم يوم بيه شففتك	ضـربه بخيزرانـه ابنـه الدعيـه

* * *

(1) الشنف والشنان: أي الترفع والبغض.

(2) اللهوف لابن طاووس: ص 215 - 216.

أو مثلُ زينبَ وهي بنتُ محمّدٍ برزت تخاطبُ شامةً ملعونا
وغدى بمحضرها يقلّبُ ميسماً كان النبيُّ برشفيه مفتونا
نشرت عقيقَ دموعها لما غدا بعصاه ينكتُ لأولئنا مكنونا

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين

زيد الشهيد (ع)

لزيد الطَّهْر جئنا والتجأنا ومِن غَيْرِ الزَّمانِ إليه ملنا
فها هو للورى كهفٌ حصينٌ وللراجين غوثٌ ثمَّ أمنا
فقل للشَّانئين لنا خسرتم ونحنُ إلى العلى سرنا وفزنا

ولد(ع) سنة 78 للهجرة، واستشهد يوم الإثنين ليلتين خلتا من شهر صفر سنة 120 للهجرة، وعمره 42 سنة.

أمّه أم ولد - جارية - إسمها حورية أو حوراء اشتراها المختار بن ابي عبيدة الثقفي (رضي الله عنه)، وأهداها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين(ع) فولدت له زيدا⁽¹⁾.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: حججتُ فأتيت علي بن الحسين(ع) فقال لي: (يا أبا حمزة ألا أحدثك عن رؤيا رأيتها، رأيتُ كأني أدخلت الجنة فأتيت بحوراء لم أر أحسنَ منها، فبينما أنا متكئ على أريكتي إذ سمعت قائلاً يقول: يا علي بن الحسين ليُهنِكَ زيد، يا علي بن الحسين ليُهنِكَ زيد، فليُهنِكَ زيد).

قال أبو حمزة ثم حججتُ بعده فأتيتُ علي بن الحسين(ع) ففرعت الباب ففتح لي فدخلت فإذا هو حاملٌ زيدا على يده أو قال حاملٌ غلاماً على يده فقال لي: (يا أبا حمزة هذه تأويلُ رؤياي قد جعلها ربي حقاً)⁽²⁾.

وروي عن بعض الأصحاب قال: كنت عند علي بن الحسين(ع) فكان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس، وفي اليوم الذي ولد فيه زيد وبُشِّر بولادته التفت إلى أصحابه وقال: (أي شيء ترون أن أسمي هذا المولود)، فقال كلٌّ منهم شيئاً فقال(ع): (يا غلام علي بالمصحف)، فجاؤوا

(1) أبو الحسين زيد الشهيد للمرحوم السيد محسن الأمين العاملي: ص3.

(2) الأُمالي للشيخ الصدوق(ره) المجلس الرابع والخمسون ح12: ص275.

بالمصحف فوضعه في حجره وفتحهُ ونظر إلى أول حرف في أول ورقة فكانت هذه الآية: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، فأطبق المصحف ثم فتحه ونظر فيه فكان في أول ورقة هذه
الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... الآية﴾⁽²⁾
فقال (ع): (هو والله زيد هو والله زيد)⁽³⁾.

وقال الشيخ المفيد في (الإرشاد): كان زيد بن علي بن الحسين: عين أخوته بعد أبي جعفر (الباقر) (ع)،
وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ بثأر
الحسين (ع)⁽⁴⁾.

وفي عمدة الطالب: زيد الشهيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:، ويكنى أبا الحسين،
وأمه أم ولد، ومناقبُهُ أجلُّ من أن تُحصى، وفضلُهُ أكثر من أن يوصف ويقال له حليف القرآن⁽⁵⁾.
وقال الشَّعبي في حقِّه: والله ما ولدت النساءُ أفضلَ من زيد ابن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.
وقال عاصم بن عمر الخطَّاب في حقِّه وهو يخاطب أهل الكوفة بعد شهادة زيد: لقد أُصيب عندكم رجلٌ ما كان
في زمانه مثله ولا أرى يكون

(1) النساء: الآية 75.

(2) التوبة: الآية 111.

(3) أبوالحسين زيد الشهيد: ص 5.

(4) الإرشاد: ص 268.

(5) أبوالحسين زيد الشهيد: ص 10.

بعده مثله، وقد رأيتُهُ وهو غلام حدّث، وانه ليسمع الشيء من ذكرِ الله فيغشى عليه حتى يقول القائل ما هو عائِدٌ إلى الدنيا (1).

وروى أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبين) بسنده إلى خصيب الوابشي قال: كنت إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه.

وروى أيضاً بسنده إلى البابكي - واسمه عبدالله بن مسلم بن بابك - قال: خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة، فلما كان نصف الليل واستوت الثرى فقال: يا بابكي أما ترى هذه الثرى - النجوم - أتري أحداً يناها؟ قلت لا قال: والله لوددتُ أنّ يدي ملصقةٌ بما فأقع إلى أرض أو حيث أقع فأقطع قطعة قطعة وأنّ الله اصلح بين أمّة محمد (ص) (2).

هذا وقد وردت الأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة: في مدح هذا العبد الصالح زيد الشهيد (ع) بما لا مزيد عليه. فمن ذلك ما روي عن الامام أبي جعفر الباقر عن أبيه عن أمير المؤمنين: قال: (قال رسول الله (ص) للحسين (ع): يا حسين يخرج من صلبك رجلٌ يقال له: زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب) (3).

وعن عبدالله بن سيابة قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة

(1) أبوالحسين زيد الشهيد: ص 10.

(2) مقاتل الطالبين: ص 87.

(3) أبو الحسين زيد الشهيد: ص 17 - 18.

فدخلنا على أبي عبد الله (ع) فقال: (أعندكم خبرٌ عن عمي زيد؟ فقلنا قد خرج أو هو خارج، قال: (فإن أتاكم خبرٌ فأخبروني)، قال: فأتى رسول الصيرفي بكتابٍ فيه: أما بعد فإنّ زيد بن علي (ع) قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر ومكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على أبي عبد الله الصادق (ع) فدفعنا إليه الكتاب فقرأه وبكى ثمّ قال: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون عند الله أحسب عمّي انه كان نعم العم إنّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا مضى والله عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع النبيّ وعليّ والحسن والحسين (ع)) (1).

وروى الشيخ الكليني (ره) في (روضة الكافي) بسنده إلى الامام الصادق (ع) قال: (لا تقولوا خرج زيد فإنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنما دعا إلى الرضا من آل محمد (ص)، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه إنّما خرج لسلطانٍ مجتمع لينقضه) (2).

وفي الأمالي روى الشيخ الصدوق (ره) بسنده عن أبي الجارود زياد بن المنذر قال: اني لجالسٌ عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) اذ أقبل زيد ابن علي (ع) فلما نظر إليه أبو جعفر (ع) وهو مقبل قال: (هذا سيّد من أهل بيته، والطالبُ بأوتارهم لقد أُنجبت أمٌ ولدتك يا زيد) (3).

وكان سبب خروجه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث

(1) أبو الحسين زيد الشهيد: ص 17 - 18.

(2) روضة الكافي: ص 264.

(3) الأمالي للمرحوم الشيخ الصدوق (ره) المجلس الرابع والخمسون ص 275 ح 11.

شاعت المحرمات والفسق والفجور في عصر بني أمية، روى الخوارزمي في كتاب (المقتل) عن جابر الجعفي انه قال: قال لي محمد بن علي الباقر (ع): (إن أخي زيد بن علي خارجٌ مقتول وهو على الحقّ فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربته، والويل لمن يقتله)، قال جابر: فلما أزمع زيدٌ على الخروج قلت له اني سمعت أخاك يقول كذا وكذا فقال لي: يا جابر لا يسعني أن أسكت وقد خولف كتابُ الله، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت، وذلك أي شهدت هشاماً ورجلاً عنده يسبّ رسولَ الله (ص) فقلت للسّاب ويلك يا كافر أما أي لو تمكنت منك لا اختطفت روحك وعجلتُك إلى النار فقال لي هشام مه عن جليسننا يازيد، فوالله إن لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى (1). وأقام زيد (ع) بضعة عشر شهراً، وأرسل دعائه إلى الآفاق يدعون الناس إلى بيعته، فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ فجعل من يريد أن يفي له يستعد، وشاع ذلك فانطلق سليمان بن سراقه البارقى إلى يوسف بن عمر - وهو والي هشام بن عبد الملك على العراق - وأخبره خبر زيد، فبعث يوسف بن عمر جماعة ليلاً يطلب زيداً فلم يجده عند الرجلين اللذين قيل أنه عندهما، فأخذوا إلى يوسف فلما كلمهما عرف أمر زيد وأصحابه. وبلغ هذا الخبر زيداً فتخوّف أن يؤخذ عليه الطريق، فتعجّل الخروج قبل الأجل الذي بينه وبين أهل الأمصار، وكان قد وعد أصحابه ليلة

(1) أبو الحسين زيد الشهيد: ص 55.

الأربعاء أول ليلة من صفر سنة 122 فخرج قبل الأجل (1).

قال أبو الفرج الأصفهاني: ولما علم والي العراق يوسف بن عمر بنبة زيد (ع) الخروج بعث الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم ويمنعهم من الخروج منه، وفعلاً بعث الحكم إلى العرفاء والشرطة والمقاتلة فأدخلوا أهل الكوفة المسجد ونادى مناديه: أيما رجل من العرب والموالي أدركناه خارج المسجد فقد برئت منه الذمة اتنوا المسجد الأعظم، فأتى الناس المسجد الأعظم يوم الثلاثاء قبل خروج زيد، وخرج زيد ليلاً وذلك ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم في ليلة شديدة البرد - قبل الموعد المحدد بأسبوع ونادوا بشعارهم شعار رسول الله (ص): (يامنصور أمت) فما زالوا كذلك حتى أصبحوا فلما أصبحوا بعث زيد (ع) رجلين يناديان بشعارهما في نواحي الكوفة. قال أبو مخنف: قال يوسف بن عمر من يأتي الكوفة فيقرب من هؤلاء - زيد وأصحابه - فيأتيني بخبرهم؟ فقال رجل أنا أتيك بخبرهم فركب في خمسين فارساً ثم أقبل حتى دخل الكوفة فاستخبر ثم رجع إلى يوسف فأخبره، فلما أصبح يوسف خرج إلى تلّ قريب الحيرة فنزل عليه ومعه قريش وأشرف الناس وأمير شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني، فأرسل ألفي فارس وثلاثمائة رجاله ناشبة لقتال زيد (ع).

قال: وأصبح زيد بن علي (ع) وجميع من التحق به تلك الليلة مائتان وثمانية عشر (218) من الرجال فقال

زيد (ع) سبحان الله فأين الناس؟

(1) مقاتل الطالبين ص 92.

قيل: هم محصورون في المسجد فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعدر؟ ثم تحرك زيد بمن معه حتى وصل إلى (جبانة الصيادين) وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد في أصحابه فهزمهم ثم مضى حتى انتهى إلى (الكناسة) فحمل على جماعة من أهل الشام فهزمهم، ثم إنَّ زيد(ع) أخذ ذات اليمين على (مصلى خالد بن عبد الله) حتى دخل وسط الكوفة فطلع عليهم أهل الشام فلما رأهم زيد دخل ومن معه في الأزقة فالتفت زيد إلى نصر بن خزيمة قائلاً له: أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟ قال: جعلني الله فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت.

ثم خرج بهم زيد يقودهم نحو المسجد فخرج إليه عبيد الله بن العباس الكندي في أهل الشام فالتقوا على باب (عمر بن سعد) فانهمز عبيد الله بن العباس وأصحابه وتبعهم زيد(ع) حتى انتهوا إلى باب الفيل ثم بعث يوسف ابن عمر (وهو والي العراق من قبل بني أمية) الريان بن سلمة في خيل إلى دار الرزق فقاتلوا زيداً قتالاً شديداً، وسقط من أهل الشام جرحى كثيرة فرجع أهل الشام مساء الأربعاء وهم بأسوأ حال.

فلما كان غداة يوم الخميس دعى يوسف بن عمر العباس بن سعد المري صاحب شرطته وضم إليه أهل الشام فسار بهم حتى انتهوا إلى زيد في دار الرزق، فخرج إليهم زيد(ع) وعلى مجنبتة (على يمينه وشماله) نصر ابن خزيمة ومعاوية بن إسحاق فاقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة وقتل فيها نصر بن خزيمة رحمه الله تعالى.

قال سعيد بن خيثم: وكنا مع زيد في خمسمائة وأهل الشام اثنا عشر ألفاً

- وكان قد بايع زيداً أكثر من اثني عشر ألفاً فغدروا - إذ انفصل من أهل الشام رجلٌ على فرسٍ له وأخذ يشتم فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وسمعه زيد فجعل يبكي حتى ابتلت لحيتُهُ وجعل يقول: أما أحدٌ يغضب لفاطمة بنت رسول الله (ص)؟ أما أحدٌ يغضب لله؟ ثمَّ تحوّل الشامي عن فرسه فركب بغلة قال: وكان الناس فرقتين نظاره ومقاتلة قال سعيد فجئت إلى رجلٍ فأخذتُ منه مشملاً⁽¹⁾ كان معه ثمَّ استترت من خلف النظارة حتى إذا صرْتُ من ورائه ضربت عنقه وأنا متمكّنٌ منه بالمشمّل فوق رأسه بين يدي بغلته ثمَّ رميت جيفته - جثته - عن السرج فكبر أصحاب زيد وحملوا فاستنقذوني من أيد الأعداء فأتيت زيد (ع) فجعل يقبل بين عيني ويقول: أدركت والله ثأرنا، أدركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرها، قال: وجعلت خيل أهل الشام لا تثبت لخيل زيد بن علي (ع) فبعث العباس بن سعد إلى يوسف بن عمر يعلمه ما يلقي من الزيدية وسأله أن يبعث إليه الناشبة⁽²⁾، فبعث إليه الرّماة فجعلوا يرمون أصحاب زيد، وقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري يومئذٍ قتالاً شديداً فقتل بين يدي زيد، وثبت زيد وأصحابه حتى إذا كان عند جنح الليل رُمي زيد (ع) بسهمٍ فأصاب جانب جبهته اليسرى فنزل السهم في الدماغ فرجع ورجع أصحابه، وما علم أهل الشام بإصابة زيد بل ظنّوا أن الذي أرجعهم هو الليل.

قال أبو مخنف: وأدخل زيد (ع) دور أرحب وشاكر، وجاءوا له

(1) المشمّل كمنبر سيفٍ قصير يتغطى بثوب / من الحاشية.

(2) الناشبة: أصحاب النشاب من الرماة.

بطبيب فقال له: إنك إن نزعت السهم من رأسك متّ قال زيد: الموت أيسرُ عليّ ممّا أنا فيه. قال: فأخذ الطبيب الكلبتين فانتزعه فمات صلوات الله عليه قال القوم: أين ندفنُه؟ وأين نواريه؟ قال بعضهم: نلبسُه درعين ثمّ نلقيه في الماء وقال بعضهم: نحتزّ رأسه ثمّ نلقيه بين القتلى وقال بعضهم بل نحمله إلى ساقية فندفنه فيها ثمّ نجري عليه الماء فقبلوا هذا الرأي فحملوه ودفنوه وأجروا الماء عليه، وكان معهم عبد سندي فلما أصبح أتى الحكم بن الصلت فدّهم على موضع قبره فاستخرجوه، وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى الشام، وصلبوا زيدا (بالكناسة) بالكوفة وصبّ معهُ معاوية بن إسحاق، وزيايد الهندي، ونصر بن خزيمه العبسي (1).

أقول: لم يكن رأس زيد الشهيد أول رأسٍ من بني هاشم فصله بنو أمية وحملوه إلى الشام، بل فصلوا قبله رأس جدّه الحسين ورؤوس أهل بيته وأصحابه في كربلاء وحملوها إلى الشام.

قال السيد ابن طاووس في (الملهوف):

روى أن بعض التابعين لما شاهد رأس الحسين (ع) بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد

أن فقدوه سألوه عن سبب ذلك فقال: ألا ترون ما نزل بنا ثمّ أنشأ يقول:

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمدٍ ترملاً بدمائه ترميلاً
وكنتم أبك يا بن بنت محمدٍ قتلوا جهاراً عامدين رسولا

(1) مقاتل الطالبين لأبي فرج الأصفهاني ص 92 - 96 بتصرّف.

قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا
ويكبرون بأن قتلست وإنما
وما حال شقيقة الحسين أم المصائب زينب الكبرى:
يجسدين رأسك وبين ما روح
والجسم بالطف عفته مطروح
وسأفه بالمنجى فلـك نوح
وعليلك يفت الروح بالروح
* * *

وسروا برأسك في القنا وقلوبها
إن أخروه شجاء رؤيئة حالها
تسمو إليه ووجدتها يضئها
أو قدموه فحاله يشجها

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

(1) الملهوف على قتلى الطفوف ص211.

شهادة الإمام الحسن المجتبي (ع)

لله رزءٌ به كم للرشاد هوى
رزءٌ به عرصاُتُ العلم قد بقيت
لا غرواً إن تكن الأكوان قد خلعت
فإنه كان في الأشياء بهجتها
لم أنس يوم عميد الدين دس به
كيما تها من العلياً دعامتها
فقطعت كبداً ممّن غدا كبداً
حتى قضى بنقيع السّم ممتثلاً
من مبلغ المصطفى والطهر فاطمة
لهفى لزينب تدعوهُ ومقلّتها

ركنٌ وكم فيه بيتٌ للضلال بُني
دوارساً من فروض الله والسُننِ
ثوبَ المحاسن من حزنِ على الحسنِ
قد قامَ فيها مقامَ الروح في البدنِ
لجعدة السّم سرّاً عابدُ الوثنِ
فجرّعتَه الرّدى في جرعة اللينِ
لفاطمٍ وحشاً من واحد الزّمنِ
لأمر بارئهِ في السرّ والعلنِ
أنّ الحسينَ دماً ييكي على الحسنِ
عبرى وأدمعها كالعارض الهُتّن (1)

(1) عينُ هتُونُ الدّم: تصبُّ الدّم، والعارض: هو السحاب.

والقصيدة من نظم المرحوم الشيخ عبدالحسين شكر العراقي (ره).

قال السيد الأمين (ره) في (أعيان الشيعة) المجلد 7 ص 438:

آل شكر أسرةٌ قديمة من الأسر العربية الشهيرة بالنجف الأشرف عرفت باسم (شكر) أحد أجوادها الأقدمين، وأصلهم من عرب الحجاز هبطوا العراق منذ قرونٍ بعيدة واستوطنوا قرية (جبة) القرية المعروفة من أعمال بغداد ذكرها الحموي وغيره من أرباب المعاجم، ثم انتقلوا إلى النجف الأشرف واتخذوها موطناً لهم.

وقال المرحوم السيد جواد شبر في (أدب الطف) الجزء 7 ص 187:

ولسان حالها:

أوليي اعله خويه الحسن مسموم مّنه الكبد والكلب مهموم
راح اللي كضه العمر مظلوم وظلينه بعده بسود الهدوم
نبكي وتسيل دموعنه دموم وانعه وتجاوبني أم كلثوم

* * *

عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على (الامام) الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) في مرضه الذي توفي فيه، وبين يديه طست يقذف عليه الدم من السم الذي اسقاه معاوية، فقلت له عِظني يا ابن رسول الله قال: (نعم استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه) (1).

قال الشيخ المفيد (ره) في (الإرشاد): الامام بعد أمير المؤمنين (ع) ابنه الحسن وابن سيّدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد سيّد المرسلين ﷺ الطاهرين.

وكنيته أبو محمد ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث

هو الشيخ عبدالحسين بن الشيخ أحمد بن شكر النجفي، توفي بطهران سنة 1285هـ، وكان والده الشيخ أحمد من العلماء المصنّفين. رثى أهل البيت: بقصائد كثيرة تزيد على الخمسين منها روضة مرتبة على الحروف، وشعره يرويه رجال المنبر الحسيني في المحافل الحسينية، وله في رثاء الامام الحسين (ع) هذه القصيدة وهي من أشهر قصائده ومطلعها:

البيدار البدار آل نزار قد فيتم ما بين بيض الشفار

(1) الأنوار البهية: ص 79.

من الهجرة، وجاءت به أمه فاطمة (ع) إلى النبي (ص) فسماه حسناً وَعَقَّقَ عَنْهُ كِبشاً (1).
هو الولد الأول من عليٍّ وفاطمة (ع)، والسبط المبارك لرسول الله (ص)، وهو مع أخيه الحسين (ع) ريجانتاه من
الدنيا ففي الخبر الشريف أنّ النبي (ص) قال: إِنَّ ابْنِي هَذَا هَذَا رِجَانْتَايَ مِنَ الدُّنْيَا (2).
وكان النبي (ص) يحبهما، ويوصي بهما، ويشتر محبتهما بالجنة ففي الخبر الشريف أنّه (ص) أخذ بيد الحسن
والحسين وقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي في الجنة يوم القيامة.
وقد نظمه أبو الحسين في نظم الأخبار فقال:

أَخَذَ النَّبِيُّ يَدَ الْحُسَيْنِ وَصَنُوهُ يَوْمًا وَقَالَ وَصَحْبُهُ فِي مَجْمَعِ
مَنْ وَدَّيَ يَا قَوْمٌ أَوْ هَذَا أَوْ أَبُوهُمَا فَالْخُلْدُ مَسْكَنُهُ مَعِي (3)

وروي أن الامام الحسن (ع) كان يحضر مجلس رسول الله (ص) وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي
إلى أمه فيلقي إليها ما حفظه، وكان أمير المؤمنين (ع) كلما دخل على الصديقة فاطمة (ع) وجد عندها علماً
بالتنزيل، فسألها عن ذلك فقالت: من ولدك الحسن (ع)، فأحبّ أمير المؤمنين (ع) أن يستمع إلى ولده وهو يقرأ
الوحي على أمه فتخفى يوماً في

(1) الإرشاد: ص 187.

(2) البحار ج 43 ص 271 ح 38.

(3) المصدر السابق.

البيت وقد دخل الحسن(ع) وكان قد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها فارتج (1) فعجبت أمه من ذلك فقال: لا تعجبي يا أمه قلّ بياني وكلّ لساني لعلّ سيّداً يرعاني، فخرج أمير المؤمنين(ع) وقبّله (2).
ومن مناقبه العالية كان(ع) أعبد أهل زمانه وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ ماشياً وربما مشى حافياً، وكان(ع) إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقةً يُغشى عليه منها، وكان(ع) إذا قام إلى الصلاة ترتعد فرائضه بين يدي الله تعالى.

وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم وسأل الله الجنة وتعوّذ به من النار، وكان لا يقرأ من كتاب الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا قال لبيك اللهم لبيك، ولم يُر في شيء من أحواله إلا ذكراً لله سبحانه.
وكان(ع) أصدق الناس لهجةً، وكان إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه فليل له في ذلك فقال: حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله، وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه وقال: إلهي ضيفك ببابك يا محسنٌ قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم، وكان إذا فرغ من صلاة الفجر لم يتكلّم حتى تطلع الشمس.

ولقد حجّ عليه الصلاة والسلام خمساً وعشرين حجّةً ماشياً وإنّ

(1) أي فاضطرب، من الحاشية.

(3) الأنوار البهية للمرحوم الشيخ عباس القمي: ص76.

النجائب (1) لتفادُ معه، وقاسم الله تعالى ماله مرتين وروي ثلاث مرّات حتى انه كان يعطى من ماله نعلًا ويمسك خفًا (2).

ومن حملة (ع) روي أنّ رجلاً من أهل الشام رآه راكباً فجعل يلعنه، والامام الحسن (ع) لا يردّ عليه حتى فرغ الرجل عندها أقبل الامام الحسن (ع) وسلّم عليه وتبسّم في وجهه وقال له: أيّها الشيخ أظنك غريباً ولعلّك شبّهت فلو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كانت لك حاجة قضيناها لك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً، فلمّا سمع الرجل الشامي كلام الامام (ع) بكى ثمّ قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، كنت أنت وأبوك أبغضَ خلق الله إليّ، ثمّ حوّل رحله إلى الامام (ع) وكان ضيقه إلى أن إرتحل وصار معتقداً لمحبتهم.

وروي أنه لما مات الامام الحسن (ع) أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحكم سريره - جنازته - فقال له الامام الحسين (ع): تحمل اليوم جنازته وكنّت بالأمس تجرّعه الغيظ قال: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال (3).

(1) النجيب مؤنثه نجبية وجمعها نجائب: وهي كلّ نفيس في نوعه كالفرس والبعير. لسان العرب ج 6

(2) الأنوار البهية ص 75. والخف دون النعل: فكان (ع) يعطي الأحسن من ماله.

(3) الأنوار البهية: ص 76-77.

ومن مواعظه وكلماته الشريفة ما رواه العلامة المجلسي (ره) في البحار منها:

قوله (ع): (القريب من قريته المودّة وإن بُعد نسبه، والبعيد من باعدته المودّة وإن قرب نسبه) (1).

وقوله (ع): (الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود) (2).

وقيل له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله (ص)؟ قال: (أصبحت ولي ربّ فوقني، والناز أمامي، والموت يطلبني، والحسابُ محددٌ بي، وأنا مرتهنٌّ بعملِي لا أجدُ ما أحبّ ولا أدفعُ ما أكره، والأُمورُ بيد غيري، فإن شاء عذّبي وإن شاء عفا عني، فأبي فقيرٌ أفقرٌ مني) (3).

وكان يقول (ع): (يا ابن آدم إنك لم تنزل في هدم عمرِكَ منذ سقطت من بطن أمك، فخذ ممّا في يديك لما بين يديك، فإنّ المؤمنُ يتزوّد والكافرُ يتمتّع، وكان ينادي مع هذه الموعظة: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (4) (5).

ومن كراماته وكرمه ما رواه العلامة المجلسي (ره) عن الامام الصادق عن آبائه: أنّ الامام الحسن (ع) خرج إلى مكّة ماشياً فتورّمت قدماه فقبل له لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم فقال: كلا ولكننا إذا أتينا المنزل (6)

(1) بحار الأنوار ج 78 ص 106.

(2) البحار ج 78 ص 113.

(3) البحار ج 78 ص 113.

(4) سورة البقرة / 197.

(5) البحار ج 78 ص 117.

(6) المنزل: هو المحل الذي يرتاح فيه المسافرون على الطريق.

فإنه يستقبلكم رجل أسود معه دهن يصلح لهذا الورم فاشتروا منه ولا تماكسوه (1) فقال له بعض مواليه ليس أمامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدواء؟ فقال الامام(ع): بلى إنّه أمامنا وساروا أميالاً فإذا الأسود قد استقبلهم فقال الامام لأحد مواليه: دونك الرجل فخذ منه الدهن بثمانه، وفعلاً أخذه منه فقال الأسود لمن تأخذ هذا الدهن؟

قال: للحسن بن علي بن أبي طالب: قال: انطلق بي إليه، فلما وصل إلى الإمام قال الرجل الأسود: يا ابن رسول الله أنا من مواليكم ادع الله أن يرزقني ولداً ذكراً سوياً يحبكم أهل البيت فإني خلّفتُ امرأتِي تمخض فقال: انطلق إلى منزلك فإنّ الله تعالى قد وهب لك ولداً ذكراً سوياً وهو من شيعتنا فرجع الرجل من فوره فإذا امرأته قد ولدت غلاماً سوياً ثمّ رجع الأسود إلى الإمام الحسن(ع) ودعا له بالخير بولادة الغلام له، ثمّ ان الامام الحسن(ع) قد مسح رجليه بذلك الدهن فما قام عن موضعه حتى زال الورم (2).

وعرف الامام الحسن المجتبي(ع): ب (كريم أهل البيت(ع)) وهي الصفة الغالبة في حياته وإلا فجميع أهل البيت:

كرماء بطبعهم وإلى ذلك يشير الشاعر الموالي:

كـرِيمُ أَهْلِ البَيْتِ أَكْرَمُ بِهِ وَكُلُّهُمْ بِالبَطْبَعِ أَهْلُ الكَرَمِ

(1) ماكس: استحطه الثمن واستنقصه إياه، ويسمى باللغة العامية (معاملة).

(2) البحار ج 43 ص 324.

لكن لكلٍ منهمُ خصلةٌ شاعتُ له فهو بتلك عَلمٌ (1)

ومن ذلك ما رواه العلامة المجلسي (ره) في البحار فقال: خرج (الامام) الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر: حُجاجاً ففأثمُّ (2) أثقأهم، فجاجوا وعطشوا فمَرّوا بعجوزٍ في خباءٍ لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فنزلوا وليس لها إلا شويهة في الخيمة فقالت: احلبوها وامتدقوا لبنها، ففعلوا ذلك وقالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلا هذه فليذبها أحدكم حتى أهيئ لكم شيئاً تأكلون، فقام إليها أحدهم فذبجها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا ثم أقاموا حتى أبردوا (3) فلما أرادوا الرحيل قالوا لها: نحن نفرٌ من قريش نريدُ هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإننا صانعون إليك خيراً ثم ارتحلوا. وأقبل زوجها وأخبرته عن القوم والشاة فغضب الرجل وقال: ويحك تذبجن شاتي لأقوام لا تعرفينهم ثم تقولين: نفرٌ من قريش ثم بعد مدّة ألجأهم الحاجة لدخول المدينة، فمَرّت العجوز في بعض طرق المدينة فرأها الامام الحسن (ع) فعرفها فقال لها: يا أمة الله تعرفيني؟ قالت لا قال: أنا ضيفك يوم كذا فقالت العجوز: بأبي أنت وأمي فأمرها الامام الحسن (ع) بألف شاة وألف دينار وبعث معها رسولاً إلى الامام الحسين (ع) فأمر لها بمثل ما أمر الامام الحسن (ع) وبعث معها رسولاً إلى عبدالله بن جعفر فأمر لها بمثل ذلك العطاء، فرجعت إلى زوجها بذلك كَلّه (4).

(1) هذان البيتان للخطيب الأستاذ الشيخ محسن الفاضلي النجفي.

(2) بمعنى تقدّمت عليهم القافلة التي فيها الماء والطعام وتأخرو عنها.

(3) أبردوا بمعنى زالت حرارة المس وبرد الهواء وهو الوقت المناسب للمسير.

(4) البحار ج 43 ص 348.

وروي عنه (ع) هذه الأبيات في السخاء:

إِنَّ السَّخَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَرِيضَةٌ اللَّهُ يُقَرُّ فِي كِتَابٍ مُحْكَمٍ
وَعَدَّ الْعِبَادَ الْأَسْخِيَاءَ جَنَائِزُهُ وَأَعَدَّ لِلْبَخِلَاءِ نَارَ جَهَنَّمَ
مَنْ كَانَ لَا تَنَدَى يَدَاهُ بِنَائِلٍ لِلرَّاعِبِينَ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُسْلِمٍ (1)
وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَعْرَابِي يَقُولُ:

لَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ يَبَاعُ بِدَرَاهِمٍ يَكْفِيكَ رُؤْيَا مَنْظَرِي عَنْ مَخْبَرِي
إِلَّا بَقَايَا مَاءٍ وَجِهٍ صَنَّتُهُ إِلَّا يَبَاعُ وَقَدْ وَجَدْتُكَ مَشْتَرِي
فَأَجَابَهُ (ع):

عَاجَلْتَنَا فَآتَاكَ وَابِلٌ بِرِّنَا طَالًا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ نَقْصِرِ
فَخَذَ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَبِعْ مَا صَنَّتُهُ وَكَأَنَّنا لَمْ نَشْتَرِ (2)

أعودُ إلى الرواية الشريفة التي افتتحتُ بها المجلس عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الحسن بن علي بن أبي

طالب (ع) في مرضه الذي توفِّي فيه، وبين يديه طستٌ يقذف الدم فيه، ويخرج كبده قطعةً قطعةً من

(1) البحار ج 43 ص 552.

(2) معالي السبطين الطبعة الحجرية ص 12.

السم الذي أسقاه معاوية فقلت يا مولاي مالك لا تعالج نفسك فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟! قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ثمّ التفت إليّ فقال: والله لقد عهدَ إلينا رسول الله (ص) أنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد عليّ وفاطمة (ع) ما منّا إلّا مسموم أو مقتول، فقلت له: عظمي يا ابن رسول الله (ص) قال: نعم استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه وساق الكلام في ذكر موعظته (ع) إلى أن قال: ثمّ انقطع نفسه واصفرّ لونه حتى خشيتُ عليه، ودخل عليه الإمام الحسين (ع) وانكبّ عليه حتى قبّل رأسه وعينيه.

يقولون وفي هذه الأثناء وإذا بالصرخة على الباب فالتفت الامام الحسن إلى أخيه الحسين وهو يقول له: أبا عبد الله ارفع هذا الطست عني فلا أحبّ أن تراه أختنا زينب:

يحسّين شـيـل الطـشـت عـني خواتك يـيـو السـجـاد اجـني

يـردن يشـبعن شـوف مـي ويـردن يـخويـة يـودّعني

لله صبرُ العقيلة زينب حيث أنّها بعد فقد جدّها وأمّها وأبيها ها هي ترى الامام الحسن (ع) بهذه الحالة مطروحاً على فراش المنية وقد اصفرّ لونه.

ثمّ أخذ الامام الحسن يوصي أخاه الامام الحسين (ع) ومّا قال له: إذا أنا متّ فهيني ثمّ وجهني إلى قبر جدّي

رسول الله (ص) لأجدّد به عهداً

ثم رَدّني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك، وستعلم يا ابن أُمي أنّ القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله(ص) فيجلبون (1) في ذلك ويمنعونك منه، وباللّٰه أقسم عليك أن لا تحرق في أمرِي محجّمة (2) دم، ثم وصّٰى إليه بأهله وولده وتركاته وما كان أوصى إليه أمير المؤمنين(ع) حين استخلفه (3).

كأني بالامام(ع) قد استقبل القبلة ومدّ يديه ورجليه وغمّض عينيه وحمد أنبئه، وعرق جبينه وفاضت روحه الطاهرة واسيداه وإماماه وامسموماه.

والحسين ودمعته بخده جريه
ينادي ييو محمد يخويه كطعت بيه
عكّب ذيك المصيبة وذيك الهموم
عيد أصبح لهالي الشام هل يوم
خط راسه بحجره وكضه نجبه الشفيه
ودعتك الله يا الحسن يا كره العين
تاليها رحمت والكبد مسوموم
يخوية وعل هواشم أصبح أظلم
ولما قبض الامام الحسن(ع) غسّله الامام الحسين(ع) وكفّنه وحمله على سريره وانطلق به إلى قبر جدّه ليجدّد به عهداً، ولم يشك مروان بن الحكم وبنو أمية أنّهم سيدفنونه عند رسول الله(ص) فتجمّعوا ولبسوا السلاح وأقبلوا بجمعهم ولحقتهم الحميراء على بغل وهي تقول: مالي ولكم تريدون

(1) أجلب القوم: تجمّعوا للحرب وضجّوا واختلطت أصواتهم.

(2) آلة الحجّام وهي شيء كالكأس، الحاشية.

(3) الأنوار البهية ص 80.

أن تدخلوا بيتي من لا أحب وجعل مروان يقول: يارب هيجاء هي خير من دعه أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني أمية (1)، يقولون: كان الامام الحسين (ع) يقول لبني هاشم: الله الله في وصية أخي الحسن فإنه أمرني أن لا أهرق في أمره محجمة دم ولكنه التفت وإذا بأبي الفضل العباس قد سل سيفه لقتال القوم حيث رموا جنازة الإمام الحسن بسبعين سهماً، فوضع الحسين يده على سيف أبي الفضل وقال: أخي أبا الفضل اغمد هذا السيف فإن له يوماً آخر ألا وهو يوم كربلاء:

الدينه خاليه امن الفرح بسهام صدگ نعش الحسن ينصاب بسهام
وبوفاضل بسل السيف بسهام مثل عوده تكيّد بالوصيه

وعندما علم الأمويون أن ليس من نية بني هاشم دفن الامام الحسن (ع) عند جدّه رسول الله (ص) تركوهم حتى جدّدوا به عهداً بزيارة قبر جدّه ثمّ جاءوا به إلى البقيع ودفنوه عند قبر جدّته فاطمة بنت أسد، وجلس الامام الحسين على القبر الشريف وهو يقول:

أأدهنُ رأسي أم تطيبُ محاسني ورأسك مغفورٌ وأنت سليلي
بكائي طويلٌ والدموعُ غزيرةٌ وقبرك قلبي والمزارُ قريبُ
غريبٌ وأطراف البيوت تحوطُهُ ألا كلّ من تحت التراب غريب

(1) الأنوار البهية ص 81.

وليس حريباً من أصيب بماله ولكن من وارى أخاه حريباً (1)

كأني بالهاشميين وقد تقدّموا إلى سيدهم وزعيمهم الامام الحسين (ع) وأقاموه من قبر أخيه الامام الحسن الشهيد، وعادوا به إلى داره يحوطونه من كلّ جانب، وللحسين جلوس آخر، عند أخ شهيد آخر، ليت شعري من أقامه، ومن عزّاه، ومن أحاط به، وذلك عندما جلس عند أبي الفضل وقد رآه مقطوع الشمال واليمين، والسهم نابت في العين، والمخ سائل على الكتفين عندها نادى الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي وشمّت بي عدوّي.

يقولون خرجت امرأة من المخيم تقوم وتقعّد شابكةً عشرين على رأسها وهي تنادي: وأخاه واعباساه، عندما رآها الامام ترك أخاه على المشرعة وقرب منها وإذا بها العقيلة زينب، فأخبرها الامام بمصرع أبي الفضل وعزّاها.

يگلله يزینب راح عبّاس راح الضیغم البیهه نرفع الـراس

وظل یبکی علیه الدرع والطاس

كأني بالعقيلة وقد حاولت أن تفلت من يد الامام الحسين لتأتي لمصرع كفيها أبي الفضل والامام يقول: إلى أين يازينب:

أنا رایحه العبّاس أشـوفه وركب اعله زوده كفوفه

(1) معالي السبطین ص36 الطبعة الحجرية، والحريب: الذي أخذ ماله كلاً. لسان العرب

وشيل السهم والدم أروفة ابن والدي واشلون أعوفه

عباس تسمع زينباً تدعوك من لي يحمي إذا العدى نهروني

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

شهادة الإمام أبي الحسن الرضا (ع)

أَقْوَتْ مَعَالِمُ دِينٍ أَنْتَ حَامِيهِ
تُغْضِي وَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ مَنْطَمَسَ
وَعَادَ فِينَا غَرِيباً لَا نَصِيرَ لَهُ
وَإِنَّ دِيناً أَقَامْتَهُ صَوَارِئِكُمْ
أَلَسْتَ تَسْمَعُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ دَعْوَتَهُ
يَا حِجَّةَ اللَّهِ قَدْ ضَاقَ الْخِنَاقُ بِنَا
جَوَرَ الْعَدَى أَمْ هَوَانَ الْغَاصِبِينَ لَنَا
أَكُلُّ يَوْمٍ لَكُمْ يَا ابْنَ الزَّكِيِّ دَمٌ
فَمَنْ قَتَلَ قَتِيلٍ قَضَى بَيْنَ الظُّبَا عَطْشاً
وَمَنْ طَرِيدٍ لَكُمْ لَمْ يَحْوِهِ بَلَدٌ
وَبَيْنَ مَنْ مَاتَ صَبْرًا بَعْدَمَا سُقِيتِ
يَا طَاوِيَّ الْبَيْدِ يَرْجُو نَيْلَ مَقْصَدِهِ
إِنْزَلَ وَحْيِيَّ بِهَا عَيْتِي ضَرْيَحَ غُلًّا
فِيهِ عَلِيٌّ بْنُ مُوسَى لَمْ يَخْبَ أَبَدًا
أَفْدي غَرِيبًا عَنِ الْوَطَانِ قَدْ شَحَطَتْ
لَمْ أَنْسَ مَذْغَالَهُ الْمَأْمُونُ حَيْثُ غَدَا

وَكَادَ يُنْسَحُ ثِقَلٌ أَنْتَ ثَانِيهِ
الْأَعْلَامِ قَدْ حُكْسَسَتْ فِيهِ أَعَادِيهِ
كَأَنَّه وَهُوَ فَرْدٌ فِي مَبَادِيهِ
قَدْ قَامَتْ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا نَوَاعِيهِ
وَهَلْ سَوَاكَ مَجِيبُ صَوْتِ دَاعِيهِ
فَأَيُّ هَوْلٍ مِنَ الدُّنْيَا نِقَاسِيهِ
أَمْ طَوْلَ غَيْبَةٍ مَوْلَى عَنْ مَوَالِيهِ
يُطَلُّ هَدْرًا وَلَا مِنْ تَائِرٍ فِيهِ
وَبَيْنَ عُجْفِ الْمَطَا سَيَقَتْ ذَرَارِيهِ
وَلَمْ يَجِدْ مَلْجَأً فِي الْأَرْضِ يَأْوِيهِ
بِالسُّمِّ أَحْشَاؤُهُ وَيَلُّ لِسَاقِيهِ
أَرْخَ بَطْوَسَ تَفْزَ فِيمَا تَرْجِيهِ
أَهْلُ السَّمَاوَاتِ لَا زَالَتْ تَحْيِيهِ
لَا جِ إِلَيْهِ وَلَا رَاجٍ أَيْدِيهِ
بِهِ النَّوَى عَنْ مَغَانِيهِ وَأَهْلِيهِ
يُيَدِي لَهُ غَيْرَ مَا فِي الْقَلْبِ يُخْفِيهِ (1)

(1) هذه القصيدة العصماء من نظم المرحوم الشيخ محمد علي يعقوبي (ره).

قال المرحوم السيد جواد شبر (ره) في (أدب الطف) الجزء العاشر ص 190:

وخلاه مرمي اعله الفرش ما يگدر يگوم وذوب فؤاده من ونينه شمس الشموس

واحر گلي اعله الذي في الفرش مطروح مرمي على فراشه يعالج نزعة الروح

ناحت على مصابه البتوله بگلب مجروح ياليت روحي اله فده وسكنت الرموس (1)

عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (ع) قال: (من كانت له إلى الله عزوجل حاجة فليزر قبر جدّي الرضا (ع) بطوس وهو على غسل، وليصلّ عند رأسه ركعتين، وليسأل الله تعالى حاجته في قنوته، فإنّه يستجيب له، ما لم يسأل في مأثم أو قطعة رحم فإنّ موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمنٌ إلا أعتقه الله تعالى من النار وأحلّه دار القرار) (2).

ولد الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا (ع) في الحادي عشر من ذي القعدة يوم الخميس أو الجمعة بالمدينة سنة 148 ثمان وأربعين ومائة. وذلك بعد وفاة جدّه الإمام الصادق (ع) بأيّام قليلة (3)، وكان الإمام الصادق (ع)

(1) الفائزيات الكبرى: ص184.

(2) الأنوار البهية للمرحوم الشيخ عباس القمي (ره) ص203.

(3) أقول: قضى الإمام الصادق (ع) شهيداً في سنة 148هـ. وذلك في شهر شوال، إلا أنّ

يتمنى إدراكه، ففي الخبر عن الإمام موسى بن جعفر (ع) قال: سمعت أبي جعفر بن محمد (ع) غير مرّة يقول لي: إنّ عالم آل محمد (ص) لفي صلبك وليتني أدركتته فإنه سميّ أمير المؤمنين (ع).

أقنه ذات العلى والمجد السيّدة نجمة، ويُقال لها تُكْتَمُ أيضاً، وكنيتها أمّ البنين، ولما ولدت الإمام الرّض (ع) لقبها الإمام الكاظم (ع) بـ(الطاهرة) (1).

وأما عبادته ومكارم أخلاقه ومعالي أموره فقد روي أنه كان يجلس في الصيف على حصير، وفي الشّتاء على مُسُخ (2)، وكان يلبس الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزيّن لهم، وكان (ع) إذا صلّى الغداة - الفجر - وكان يصلّيها في أول الوقت - يسجد فلا يرفع رأسه إلى أن ترتفع الشّمس، وكان (ع) يكلم الناس قليلاً، وكان كلامه وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن المجيد، وكان يختم القرآن في كلّ ثلاث ويقول: لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمت ولكني ما مررتُ بآيةٍ قط إلا فكّرت فيها وفي أيّ شيءٍ أنزلت، وفي أيّ وقتٍ ولذلك صرتُ أختم في كلّ ثلاثة أيام.

وقال إبراهيم بن العباس: ما رأيت أبا الحسن الرّضا (ع) جفا أحداً بكلامه قط، ولا شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيتُهُ يقهقه في

المشهور والذي عليه العمل خصوصاً في العصور المتأخرة هو يوم 25 من شوال، فعلى هذا تكون المدة بين وفاة الإمام الصادق (ع) وميلاد الإمام الرضا (ع) هي 15 أو 16 يوماً والله العالم.

(1) الأنوار البهية ص 177.

(2) المُسُخ: واحدُه المُسُخ وهو الكساء من الشّعْر، لسان العرب

ضحكه قط بل كان ضحكُهُ التبسّم، وكان(ع) قليلَ النوم بالليل كثير السهر، يجيى أكثر لياليه من أولها إلى الصّبح، وكان كثير الصّيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشّهر ويقول ذلك صوم الدّهر⁽¹⁾، وكان(ع) كثير الصدقة والمعروف في السرّ وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، وكان(ع) إذا جلس على الطّعام أتى له بصحفة فتوضع قرب المائدة فيعمد إلى أطيب الطّعام ممّا يؤتى به فيأخذ من كلّ شيء شيئاً فيوضع في تلك الصحفة ثمّ يأمر بها للمساكين ثمّ يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ﴾⁽²⁾.

ثمّ يقول: علم الله عزّوجلّ أن ليس كلّ إنسان يقدر على عتق رقبة فجعل لهم سبيلاً إلى الجنة⁽³⁾. أقول: أراد(ع) أنّ الله تعالى يعلم أن ليس كلّ أحد من خلقه قادراً على عتق رقبة في سبيله، فجعل لهم طريقاً آخر أقلّ مؤنة وهو إطعام اليتامى والمساكين.

وعن موسى بن سيّار رحمته الله تعالى قال: كنت مع الإمام الرضا(ع) وقد أشرف على حيّطان طوس وسمعتُ واعيةً فاتبعتهما فإذا نحنُ بجنّازة،

(1) قال المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (دام ظلّه) في كفيّته: هو صوم أول خميس من الشّهر، وآخر خميس منه، وأول أربعاء من العشر وسط الشّهر، الأحكام الفقهيّة ص174.

(2) سورة البلد، الآيات: 11 - 14.

(3) الأنوار البهيّة ص180.

(4) قال في (لسان العرب): قال ابن الأثير: الواعية: هو الصراخ على الميت ونعيه.

فلما بصرتُ بها رأيت سيدي وقد ثنى رجله عن فرسه ثم أقبل نحو الجنائز فرفعها ثم أقبل يلوذ بها كما تلوذ السخله بأمتها، ثم أقبل عليّ وقال: ياموسى بن سيّار من شيع جنائز وليّ من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه لا ذنب عليه. حتى إذا وضع الرجل على شفير قبره رأيت سيدي قد أقبل فأفرج الناس عن الجنائز حتى بدا له الميت فوضع يده على صدره ثم قال: يا فلان بن فلان أبشر بالجنة فلا خوف عليك بعد هذه الساعة فقلت جعلت فداك هل تعرف الرجل؟ فوالله إنّها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا؟ فقال لي: ياموسى بن سيّار أما علمت أنّا معاشر الأئمة نُعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءً، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصّفح لصاحبه، وما كان من العلو سألنا الله تعالى الشكر لصاحبه (1).

أقول: إذا كانت أعمالنا تعرض على الإمام (ع) في الصّباح والمساء فالحريّ بنا التدقيق في أفعالنا وأقوالنا حتى لا يصل إليه منّا إلا ما يحبّه ويؤنسّه، فإنّ ما يصل إليه من أعمال أهل العالم ممّا لا يسره ولا يُرضيه الكثير الكثير.

ومن غرر كلماته الخالدة ما روى الشيخ القمي (ره) عنه حيث قال (ع):
صديق كلّ امرئ عقله، وعدوه جهله.

وقال (ع): (التودّد إلى الناس نصف العقل).

وقال (ع): (يأتي على الناس زمانٌ تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعة في اعتزال الناس، وواحدة في الصّمت).

(1) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج 4 ص 341.

وقال (ع): (إنّ الله يبغض القبيل والقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال).

أقول: أراد (ع) بكثرة السؤال طلب الحوائج من الناس بكثرة.

وروى السيد الجليل المرحوم عبدالعظيم الحسيني (ره) عن الإمام أبي الحسن الرضا (ع) قال هذه الوصية الشريفة للشيعة: (يا عبدالعظيم أبلغ أوليائي السلام وقل لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً، ومرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت وترك الجدال فيما لا يعنيه، واقبال بعضهم على بعض والمزاورة فإن ذلك قرينة إليّ، ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً، فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط ولياً من أوليائي دعوتُ الله ليعدّبه في الدنيا أشدّ العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين) (1).

ومن كريم أخلاقه (ع) ما رواه الشيخ المجلسي (ره) في البحار بسنده إلى اليسع بن حمزة قال: كنت أنا في مجلس أبي الحسن الرضا (ع) أحدثه وقد اجتمع إليه خلقٌ كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجلٌ فقال له: السلام عليك يا ابن رسول الله (ص) أنا رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك: مصدرى من الحج وقد افتقدت نفقتي وما معي ما أبلغ به مرحله، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي، والله عليّ إذا بلغت بلدي تصدّقت بالذي تعطيني عنك فلست موضع صدقة فقال له: اجلس رحمك الله، وأقبل على الناس يحدثهم حتى نفرّقوا، وبقي هو وسليمان والجعفرى وخثيمة وأنا فقال: أتأذنون لي في الدخول؟ فقال له سليمان: قدّم الله أمرك،

(1) الأنوار البهية ص 186.

فقام فدخل الحجره وبقي مدّة ثمّ خرج وردّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: أين الخراساني؟ فقال: ها أنا ذا فقال: خذ هذه المأتي دينار واستعن بها في مؤنتك ونفقتك وتبرك بها ولا تتصدّق بها عني، واخرج فلا أراك ولا تراني ثمّ خرج (ع) فقال له سليمان: لقد أجزلت ورحمت فلماذا سترت وجهك عنه؟ فقال: مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته أما سمعت حديث رسول الله (ص): المستترّ بالحسنة تعدل سبعين حجّة، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له، أما سمعت قول الأوّل:

مَتَى آتَاهُ يَوْمًا لِأَطْلَبَ حَاجَةً رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَوَجَّهِي بِمَاءِهِ (1)

أقول: هنا قضى الإمام (ع) حاجة رجلٍ من محبيه في حياته، وهناك كرامة أخرى حيث قضى الإمام (ع) حاجة امرأة مريضة من محبيه بعد وفاته وإليك الكرامة، ففي كتاب - كرامات رضوية - تأليف المرحوم الشيخ علي أكبر مروّج الإسلام، وتحت عنوان - الكرامة السادسة - قال: تزوّج أحد المؤمنين واسمه علي أكبر النجار امرأةً شابةً مؤمنة في مدينة مشهد المقدسة الإيرانية وذلك في حدود سنة 1964م، ولم تمضِ على زواجهما مدّة حتى مرضت المرأة بالمرض المعروف - بالحصبة - ولازمت على أثر ذلك الفراش، وبعد مراجعة الأطباء واستعمال الدواء تحسّنت حالتها ولكن وبسبب ترك الحمية ومخالفة ارشادات الأطباء عاد إليها المرض ثانيةً

(1) البحار ج49 ص101، ح 19.

وبشكلٍ قوي هذه المرة حيث انتهى الحال بها إلى موت - توقف - قدميها ويدها اليمين حتى عجزت عن الحركة فضلاً عن القيام والقعود.

وبقيت على هذا الحال مدة 7 أشهر قضتها في مراجعة الأطباء ولم تحصل على الفائدة المرجوة حتى وُصِفَ لها طبيب ألماني يمتاز بالخبرة ويستعمل الآلات الطبية الحديثة، وبعد مراجعته كتب لها دواءً تستعمله ظناً منه أنه شخص المرض وسيدفعه بهذا الدواء إلا أن حالتها تدهورت أكثر حتى أصيب وجهها بالشلل ولم تستطع فتح فمها حيث أطبقت الأسنان على الأسنان وتحيروا في طعامها ودوائها، فأرجعوها إلى الطبيب الألماني فلما نظر إليها قال ليس لهذه المرأة دواء عند الأطباء خذوها إلى الأطباء الروحانيين ليعالجوها بالأدعية والتوسلات الشرعية.

واستمرت هذه الحالة عندها (ع) أيام ما كانت تقدر على تناول الطعام والدواء ولا حتى الكلام وكادت أن تهلك من شدة المرض وصعوبة العلاج.

يقول الزوج ونحن في هذه الفترة لم نترك مراجعة الأطباء ومشاورتهم حتى استقر رأيهم على إعطائها جرعة قوية من الدواء عن طريق الوريد باستعمال الأبر لعلهم يوفقوا في ارجاع الوجه إلى حالته الطبيعية، وفعلاً تمكنوا من ذلك حيث عاد وجهها إلى حالته الأولى وتمكنت من فتح فمها لأجل الطعام والدواء وحتى الكلام أيضاً غير أن بقية البدن بقي على حاله حيث ما كانت تقدر أن تحرك يدها ولا قدميها وباتت ملقاة في إحدى زوايا المنزل يائسة من شفائها، وقد تركنا مراجعة الأطباء لأجل أنهم عجزوا عن مداواتها يقول الزوج وفي ليلة من الليالي نادني زوجتي وشكرتني على

صبري معها وهي مريضة واعتذرت لي بسبب المتاعب التي سببتها لي وقالت إنك لم ترَ مني خيراً أبداً ولكنك طوقتني بجميلٍ لا أنساه لك أبداً، ولي منك طلبٌ أخير إن سمحت به قلت وما هو؟ قالت الليلة المقبلة هي ليلة الجمعة وأريد منك أن تنقلني إلى حرم سيدي ومولاي الامام أبي الحسن الرضا(ع) وتضعني قريب الضريح الشريف وتتركني هناك لأطلب من الامام(ع) شفائي أو موتي ونجاتي ممّا أنا فيه فقلت يكون إن شاء الله تعالى ما تريدان.

وفعلاً حملتها في الليلة المقبلة ومعنا أمها حتى أوصلتها إلى حرم الامام أبي الحسن الرضا(ع) ووضعتها قرب ضريح الامام(ع) وعدت إلى المنزل، وقالت لها أمها أنا ذاهبة إلى مسجد النساء لأستريح قليلاً تقول الزوجة المريضة فبقيت وحدي وتوجّهت إلى الإمام(ع) بقلبي وروحي وجميع حواسي وقلت له سيدي يا أبا الحسن أيها الامام الرؤوف أطلب منك شفائي أو موتي وخلصي ممّا أنا فيه ثمّ بكيت كثيراً فبينما أنا كذلك ولا أدري أنائمة أنا أم مستيقظة إذ رأيت الضريح الشريف قد انفتح وخرج منه سيّدٌ جليل عليه ثيابٌ خضراء تعلوه الهيبة والنور تكلم معي بلغتي - التركية - وقال: قومي فلم أجبه فقال ثانيةً: قومي فلم أجبه فقال ثالثة: قومي قلت سيدي كيف أقوم وأنا مريضة لا أقدر الوقوف على قدمي قال: قومي واذهي إلى مسجد - گوهرشاد واسبغي الوضوء وصلّي هناك ثمّ عودي واجلسي هنا.

تقول سمعت منه هذا وعدت إلى نفسي وإذا أنا لا زلت قريب الضريح

والنساء الزائرات حولي ولكني لم أجد في بدني ألماً أبداً، ورأيت يدي اليمنى تتحرك حتى أني قمت ووقفت على قدمي كأني إنسان سالم معافى ولم أصدق ذلك حتى مشيت خطوات داخل حرم الامام(ع) عندها تيقنت أن الامام الرضا(ع) نظر إليّ ثم ذهبت مسرعةً لأبشّر أُمي فعندما نظرت إليّ قلت لها أماه إن ضامن الغرباء منّ عليّ بالشفاء فقامت وضمّنتني إلى صدرها طويلاً غير مصدّقة ما تشاهده عينها، وبكينا من شدّة الفرح والسرور ساعةً كاملة (1).

أقول: عاش الامام الرضا عليه السلام في خراسان مدّة قصيرة من عمره الشريف، ولكنها كانت من أشدّ الفترات وطأةً عليه حتى أنه(ع) تمنى الموت لأجل الخلاص ممّا هو فيه، روى الشيخ الصدوق(ره) عن علي بن إبراهيم عن ياسر الخادم قال: كان الرضا(ع) يقول في دعائه: اللهم إن كان فرجي ممّا أنا فيه بالموت فعجّل لي الساعة، ولم يزل مغموماً مكروباً إلى أن قبض صلوات الله وسلامه عليه (2).

أمّا كيفيّة مقتله(ع) فقد روى الشيخ الصدوق(ره) في (عيون الأخبار) عن أبي الصلت الهروي قال قال لي الإمام(ع): يا أبا الصلت غداً أدخل على هذا الفاجر - يعني المأمون فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فتكلّم أكلمك، وإن أنا خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني قال أبو الصلت: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس في محرابه ينتظر فبينما هو كذلك إذ

(1) كرامات رضوية ج 1 ص 99.

(2) الأنوار البهية ص 195.

دخل عليه غلام المأمون فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعلهُ ورداءه وقام يمشي وأنا أتبعُهُ حتى دخل على المأمون وبين يديه طبق عليه عنب وأطباق فاكهة، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه، فلَمَّا أبصر الرضا(ع) قام إليه فعانقه وقبل بين عينيه وأجلسه معه ثم ناوله العنقود وقال يا ابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسنَ من هذا فقال له الامام(ع): ربما كان عنباً حسناً يكون من الجنة فقال له كل منه فقال له: تعفيني منه فقال لا بُدَّ من ذلك وما يمنعك منه لعلك تتهمنا بشيء فناوله العنقود فأكل منه الإمام الرضا(ع) ثلاث حبات ثم رمى به وقام فقال المأمون إلى أين؟ فقال: إلى حيث وجهتني، فخرج(ع) مغطى الرأس فلم أكلمه حتى دخل الدار فأمر أن يغلق الباب ثم نام على فراشه مهموماً محزوناً فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ شابٌ حسن الوجه قَطَط (1) الشَّعر أشبه الناس بالامام الرضا(ع) فبادرت إليه فقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حجة الله عليك يا أبا الصلِّت، أنا محمَّد بن عليّ ثم مضى نحو أبيه فلَمَّا نظر إليه الامام الرضا(ع) ضمَّه إلى صدره وقبل ما بيه عينيه (2).

أويلي اعله الرضا من طاح بخراسان	بعيد الدار والأحباب والخوآن
اجه بهمه الجواد او من حضر يمه	شاف السم يولي متأثر بجسمه
شبيگ فوگه يودعه او قبله وشمه	وغده دمع العيون امن الحزن غدران

(1) قال الفيومي في (المصباح المنير) شعرٌ قَطَطُ بفتحين: شديد الجعود.

(2) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق(ره) ج2 ص243.

قال أبو الصلت المهرابي: رأيت الامام الرضا(ع) يسائرُ ولده - وكأنه يوصيه بوصاياه - لم أفهم ما يقول له آجركم الله فلم يقم الامام الجواد من عند والده المفدى إلى أن قضى نحبهُ ومضى إلى ربّه مسموماً غريباً شهيداً وإماماه واسيّداه:

فائزي

لمن غضه ضامن الجنة تزلزل الكون والمصطفى أمسى ابوسط الكبر محزون

او مكسورة الأضلاع في الروضة حزينه اتنادي الرضا ثامن اولادي سامينه
مدري شحال ابنه محمد عكب عينه محزون ومصاب الأبوا عله الولد ميهون

ضاغت على اولادي بلاد الله الوسيعه كل يوم ينصابون بمصيبة وفجيعه
نصبوا ما تمكم على اولادي يشيعه وخلّوا الدمع يهمل او فوگ الخد مهتون
بوجهي هل دهر ما يوم بسّم ومن وجدي غديت انلظم بالسّم⁽¹⁾
مثل الرضا الضامن مات بالسّم يحگ نبكي عليه صبح ومسيه

وقبرٌ بطوسٍ ياله من مصيبة ألحّت على الأحشاء بالزفّرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً⁽²⁾ يفرّج عنّا الهَمَّ والكُربات

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين

(1) السّم هنا بمعنى ابرة الحياط.

(2) من المناسب تبديل هذا اللقب الشريف إلى لقب (حجّة) تخفيفاً على المستمعين من القيام، وحتى يبقى خشوع المستمعين وشجاؤهم إذا أراد الخطيب إطالة المجلس أكثر من هذا.

يوم الأربعين

قم جدّ الحزن في العشرين من صفر
يا زائري بقعة أطفأهم دُجحت
والهفتا لبنات الطهر حين رنت
رمين بالنفس من فوق النياق على
فتلك تدعو حسيناً وهي لاطمة
وتلك تصرخ واجداه وأبتاه
فلو تروا أم كلثوم مناشدة
يادافني الراس عند الجثة احتفظوا
لا تغسلوا الدم عن أطراف لحيته
لا تُخرجوا أسهماً في جسمه نشبت

ففيه ردت رؤوس الآل للحفر
فيها خذوا ترجمها كحلاً إلى البصر
إلى مصارع قتلاهن والحفر
تلك القبور بصوت هائل دعر
منها الخدود ودمع العين كالطرير
وتلك تصرخ وايتماه في الصغر
ولهى وتلثم ترب الطف كالعطر
بالله لا تنثروا تراباً على قبر
خلّوا عليه خضاب الشيب والكبر
خوفاً يفور دماً يطمو على البشر (1)

نعي

من لاح الكبر سحت دموع العين
الجثة بالكبر والراس اصيحن وين
اويلي لاح كبر حسين لعيوني
أخافن لن بني هاشم ينشدوني

ونادت ويل كلي ذاك كبر حسين
على راس الرّمح مدّه ييارينه
يهلنه للمدينة امشوا وخلصوني
شگولن لليگول حسينكم وينه

(1) هذه القصيدة العصماء من نظم المرحوم السيد هاشم السبتي البحراني (ره).

لفن يم الكبر ودموعهن تهمي وزينب صارخه وتصيح يا بن امي
وسكنه تنذب العباس ياعمي من ذل اليسر لگبوركم جينه

* * *

روي عن الامام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) أنه قال: (علامات المؤمن خمس: صلاة احدى وخمسين، والجهز ببسم الله الرحمن الرحيم، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، وزيارة الأربعين) (1).
الأولى: وهي صلاة احدى وخمسين في اليوم واللييلة عبارة عن سبعة عشرة ركعة فريضة، وأربعة وثلاثين ركعة نافلة، والفرائض هي الصبح والظهرين والعشاءين واعدادها معروفة واضحة، وأما النوافل فهي ثمان للظهر قبلها وثمان للعصر قبلها، وأربع للمغرب بعدها، واثنان من جلوس للعشاء بعدها تعدّان ركعة واحدة، وركعتان للصبح قبلها، وإحدى عشرة ركعة نافلة الليل ثمان هي نافلة الليل ثم الشفع والوتر، وبإضافتها إلى الفرائض يكون المجموع احدى وخمسين ركعة، وهذا ما اختصت به الفرقة الناجية التابعة لأهل البيت:، فإنّ أهل السنة - المخالفين - وإن وافقوهم بعدد الفرائض إلا أنهم اختلفوا في النوافل ففي كتاب (فتح القدير) لإبن همام الحنفي ج 1 ص 314 قال إنّها ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، واثنان بعدها، وأربع قبل العصر وإن شاء ركعتين، وركعتان بعد المغرب، وأربع قبل العشاء وأربع بعدها وإن شاء ركعتين فهذه ثلاثة وعشرون ركعة، واختلفوا في نافلة الليل إنّها ثمان ركعات أو ركعتان أو ثلاث عشرة ركعة أو

(1) مقتل المرقم 1 ص 473 عن تهذيب الشيخ الطوسي (ره).

أكثر، فالمجموع من نوافل الليل والنهار مع الفرائض لا يكون احدى وخمسين، فاذا تكون احدى وخمسين من مختصات الفرقة الحقة الإمامية لا غير (1).

الثانية: وهي الجهرُ بالبسملة فإنَّ الشيعة - الإمامية - تدبّون إلى الله تعالى به وجوباً في الصلاة الجهرية واستحباباً في الصلاة الاخفائية تمسكاً بأحاديث أئمتهم عليهم الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول الفخر الرازي: ذهب الشيعة إلى أنّ من السنّة الجهرُ بالتسمية - البسملة - في الصلاة الجهرية والإخفائية وجمهور الفقهاء - السنّة - يخالفونهم، وقد ثبت بالتواتر أنّ عليّ بن أبي طالب كان يجهرُ بالتسمية ومن اقتدى في دينه بعليّ فقد اهتدى والدليل عليه قول النبي(ص): (اللهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار).

وخالف أهل السنّة في مسألة الجهر بالبسملة وقالوا: الجهرُ غير مسنون في الصلاة (2).

الثالثة: وهي التختّم باليمين وقد التزم به الإمامية تدبّناً بروايات أئمتهم: وخالفهم جماعة من أهل السنّة. هذا وقد وردت الروايات الشريفة المروية عن النبي وآله (ص) وهي تحثّ المؤمنين التختّم باليمين، وأن لا تخلو اليد من خاتم فصّه عقيق منها:

عن الامام الصادق(ع): (ما رفع كفُّ إلى الله عزّوجلّ أحبّ إليه من كفّ فيها خاتم عقيق) (3).

(1) و(2) مقتل المقرّم ص 477.

(3) عدّة الداعي لابن فهد الحلي(ره) ص 118.

وعن أمير المؤمنين (ع): (تَحْتَمُوا بِالْعَقِيقِ يَبَارِكُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا فِي أَمْنٍ مِنَ الْبَلَاءِ) (1).
وعن سليمان الأعمش قال: كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد (ع) على باب أبي جعفر المنصور فخرج من عنده رجلٌ مجلود بالسوط فقال لي الامام (ع): يا سليمان انظر ما فصّ خاتمهُ؟ فقلت يا بن رسول الله فصّه غير عقيق فقال: يا سليمان انه لو كان عقيقاً لما جُلِدَ بالسوط قلت: يا بن رسول الله زدني قال: هو أمانٌ من قطع اليد قلت: يا بن رسول الله زدني قال: هو أمانٌ من إراقة الدم - القتل - قلت: زدني قال: إنّ الله يحبّ أن ترفع إليه في الدعاء يدٌ فيها فصّ عقيق قلت: زدني قال: العجب كلّ العجب من يدٍ فيها فصّ عقيق كيف تخلو من الدنانير والدراهم قلت: زدني قال: إنّهُ أمانٌ من كلّ بلاء قلت: زدني قال: إنّهُ أمانٌ من الفقر (2).

الرابعة: وهي تعفيرُ الجبين، والتعفيرُ في اللغة هو وضع الشيء على العَفْر (3) وهو التراب، سواء كان في سجود الصلاة - حيث لا بدّ من وضع الجبهة على ما يصحّ السجود عليه والتراب أفضل - أو سجدة الشكر التي تكون بعد كل فريضةٍ أو نافلة قال السيد الحكيم في (الأحكام الفقهية):

يستحبّ سجدة الشكر بعد كلّ فريضةٍ أو نافلة، وفي الخبر الصحيح عن الصادق (ع) أنه قال: (سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم تُتِمُّ بِهَا

(1) عدّة الداعي ص 118.

(2) المصدر السابق.

(3) العَفْر والعَفْر مصدران: ظاهر التراب، المنجد.

صلاتك وترضي بها ربك وتَعَجَّبُ الملائكةُ منك). والأفضل سجدتان يفصل بينهما بتعفير الخدين أو الجبينين أو الجميع مقدماً الأيمن على الأيسر، ويجزي أن يقول فيها: (شكراً لله) ثلاث مرّات (1).

وأهل السنّة لم يلتزموا بالتعفير في الصلاة أو سجدة الشكر بعدها (2).

الخامسة: وهي زيارة الأربعين التي أرشد أئمة أهل البيت: شيعتهم ومواليهم إلى الحضور في مشهد الغريب المظلوم سيّد الشهداء(ع) لإقامة العزاء وتجديد العهد بذكر ما جرى عليه من القساوة التي لم يرتكبها أيُّ أحدٍ يحمل شيئاً من الإنسانية فضلاً عن الدين، والحضور عند قبر الامام الحسين(ع) يوم الأربعاء من مقتله من أظهر علائم الإيمان. والعجبُ كلُّ العجب ممن يحاول صرف هذه العبارة الشريفة (وزيارة الأربعين) عن معناها - وهو زيارة الامام الحسين(ع) يوم الأربعاء وهو العشرين من صفر - إلى زيارة أربعين مؤمناً مع عدم وجود إشارة تشير إليه، ولا قرينة تساعد عليه ليصحّ الإتيان بالألف واللام للعهد وذلك في كلمة (الأربعين) مع أنّ زيارة أربعين مؤمناً ممّا حثّ عليها الإسلام فهي من علائمه عند الشيعة والسنّة وليست هي من مختصات الشيعة ليمتازوا بها عن غيرهم، وأمّا زيارة الامام الحسين(ع) يوم الأربعاء من قتله فهي من مختصات المؤمنين الموالين لأهل البيت:، وممّا يدعو إليها الإيمان الخالص، ويؤكدّها الشوق الحسيني، ومعلوم عند الجميع أن الذين يحضرون

(1) الأحكام الفقهية لمرجع الطائفة السيّد محمد سعيد الحكيم (دام ظلّه) ص 116.

(2) مقتل المقرّم ص 480.

في كربلاء لزيارة الأربعين هم خصوص شيعه الامام الحسين(ع) السائرين على أثره.

ولم يفهم العلماء الأعلام من السلف الصالح من هذا الحديث المبارك (وزيارة الأربعين) غير زيارة الامام الحسين(ع) بعد مضي أربعين يوماً على مقتله منهم: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في (التهذيب)، والعلامة الحلي في (المنتهى)، وابن طاووس في (الإقبال)، والعلامة المجلسي في (البحار)، والشيخ يوسف البحراني في (الحدائق)، والشيخ عباس القمي في (المفاتيح).

وقد نصّ الشيخ المفيد(ره) على استحباب زيارة الامام الحسين(ع) في العشرين من صفر في كتابه (مسار الشيعة)، والعلامة الحلي(ره) في (التذكرة)، وملا محسن الفيض الكاشاني(ره) في (تقويم المحسنين) وغيرهم⁽¹⁾. أقول: ما زال المؤمنون (بيض الله وجوههم) يتجمعون حول قبر أبي عبدالله الحسين: في كل عام يوم الأربعين وهم يتزاحمون على استلام الضريح الشريف بكل شوق ولهفة:

يتزاحمون على استلام مشاعر	من دون روعتها الصفا والمشعر
ركبوا لها الأخطار حتى لو غدت	تبرى الأكف أو الجماجم تُنثر
وافوك (يوم الأربعين) وليتهم	حضروك يوم الطف إذ تستنصر

(1) مقتل المقرّم ص 480 - 482 بتصرف.

وجدوا سبيلكم النجاة وإنا نصبوا لها جسر الولاء ليعبروا (1)

وفي مثل هذا اليوم وصل الامام زين العابدين (ع) ومعه العائلة إلى كربلاء فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري هناك قد ورد لزيارة قبر الامام الحسين (ع).

قال الأعمش بن عطية، خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائراً قبر الحسين (ع)، فلما ورد كربلاء دنا من شاطئ الفرات فاغتسل ثم خرج وقد اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها طيب فنثرها على بدنه ثم مشى إلى القبر الشريف حافياً، وكان لا يخطو خطوة إلا ذكر الله تعالى فيها، حتى إذا دنا من القبر قال: المسنيه يابن عطيه قال: فألمسته القبر فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه الماء فلما أفاق صاح: يا حسين يا حسين حتى قالها ثلاثاً ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثناجك (2) وفترق بين رأسك وبدنك. أشهد أنك ابن سيّد النبيين، وابن سيّد الوصيين، وابن حليف التقى وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، وكيف لا تكون كذلك، وقد غذّتك كف سيّد المرسلين، وربيت في حجور المتّقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميّتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكّة في حياتك فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك قد مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا

(1) من قصيدة للعلامة الشيخ عبد المهدي مطر النجفي.

(2) الثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر - الحاشية - .

ثمّ أجال ببصره نحو قبور الشهداء وقال: السلام عليكم أيّها الأرواح التي حلّت بفناء قبر الحسين (ع) وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحّسين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.

قال ابن عطية: رأيت سواداً قد أقبل فقلت لجابر اني أرى سواداً عظيماً مقبلاً علينا من ناحية الشام فالتفت جابر إلى غلاميه وقال له: انطلق وانظر ما هذا السواد، فإن كانوا من أصحاب عبيدالله بن زياد ارجع إلينا حتى نلتجئ إلى مكان، وإن كان هذا سيدي ومولاي زين العابدين فأنت حرّ لوجه الله، فانطلق الغلام فما كان بأسرع من أن عاد وهو يلطم وجهه وينادي: قم يا جابر واستقبل حرّم الله وحرّم رسوله فهذا سيدي ومولاي عليّ بن الحسين قد أقبل بعمّاتيه وأخواته ليجددوا العهد بزيارة الحسين (ع)، فقام جابر ومن معه واستقبلوهم بالبكاء والعيول الذي يكاد الصخر أن يتصدّع منه، فلما وقع بصر الامام على جابر قال له: أنت جابر بن عبدالله الأنصاري قال نعم سيدي أنا جابر قال: يا جابر هاهنا دُبحت أطفالنا (1)، يا جابر هاهنا أُحرقت خيامنا يا جابر هاهنا قُتلت رجائنا، هاهنا سُببت نساؤنا:

يـجـابـر شـگـلـك مـا لـي لـسـان عـلـى و جـو هـن فـرّـن النـسـوان
و بـثـيـا بـن تـلـهـب النـيـران لـبـا هـن بـا هـيـمـة و لـيـان
لـگـنـهـم ضـحـايـا عـلـى التـرـبان

(1) ثمرات الأعواد للمرحوم السيد علي الهاشمي 1 ج 2 ص 55 - 57.

يـجـابـر أـيـسـت وانـكـطـع ظـيـي وـصـار البـكـه والنـوح فـيـي
 راح حـسـين والعبـاس مـيـي وقاسـم راح مـني وعلـي الأـكـبر
 هذا ما كان من جابر مع الامام زين العابدين، ولكن ما حال العقيلة زينب(ع) يقولون عندما رأت القبور رمت
 بنفسها من على ظهر الدابة وأقبلت ناعية باكية:

يـانـازـلـيـن بـكـربـلاء هـل عـنـدكـم خـبـرٌ بـقـتـلـنا وـما أـعـلامـهـا
 ما حـالٌ جـئـة مـيـتٍ في أـرـضـكـم بـقـيـت ثـلـاثـاً لا يُـزـارُ مـقامـهـا
 بـاللـهِ هـل دُفـنت جـنازـتـه وهـل صـلـى صـلاة المـيـتـيـن إـمـامـهـا
 ورمت بنفسها على القبر ولسان الحال:

كـنـت غـايـبـه والآن إـجـيـتـك أـرـبـعـيـن لـيـلـه فـارـكـيـتـك
 وسفه باللحد خويه لكيتك

يـحـسـين لـو بـيـدي الأـمـر كـان بـنـيـت اعـلـه گـبـرك بـيـت الأـحـزان
 او يـلـاه يـخـويـه المـات عـطـشـان ولـعبـت عـلـيـه الخـيـل مـيـدان
 يـخـويـه وـجـهـه وـهـكـم نـزـهـه مـن الشـام⁽¹⁾
 أشـم گـبـورـكـم مـا مـل مـن الشـام
 يـخـويـه احـكـيـلـكـم حـزـي مـن الشـام

حزن مثله أهد ما مرّ عليه

(1) من الشام هنا بمعنى نزهة من الشؤم.

سمعت بعض الرّاثين وهو يتصوّر الحسين(ع) وقد دار عينيه يتفقّد العيال والأطفال فلم تقع عينه على ابنته رقية فأخذ يسأل العقيلة بلسان الحال:

سمعت صوت ينشده يخيّبه وبين عزيزتي وبنوتي رقيه
صاحت والدمع يجري امن العين ماتت ياعزيز الروح يحسين
من شافتك محزون الوريدين بالشام ودفناها بعزيبه

يقولون دارت العقيلة زينب(ع) على جميع القبور التي عند قبر الحسين(ع) ثمّ قامت وهي تنظر يميناً وشمالاً فقال لها الإمام زين العابدين(ع): عمه زينب أنا أعلم عمّ تبحثين قالت خذ بيدي إلي قبر ابن والدي أبي الفضل، فجاء بها ورمت بنفسها على القبر الشريف:

شكّولن لليناشدني من الناس اخوك حسين وبنه اوين عباس
أكول حسين ظل جثه بلا راس وعباس البطل كطعوا يمينه
أخي انّ في قلبي أسى لا أطيّفه وقد ضاق مئي في تحمله الصّدر
أخي إن سرى جسمي فقلبي بكرىلا مقيّم إلى أن ينقضي مئي العمر

بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين

شهادة النبي الأكرم محمد(ص)

وأحسست جزيمة العُرب أنّ ال
شاحب اللون كالعليلِ براه
رجّة هزّت الحجازَ وماذال
كلُّ حيٍّ سوى المهيمنِ فانِ
مات ما بين فاطمٍ وعليّ
يادموعاً من الدماءِ تلظت
يابكاء الحبيبة أبكى
فأميرُ الأحياءِ يغسلُ خيرَ
وحتت فاطمُ الترابِ وداعاً
كان يبساً فأمطرته من ال

بدرٍ يمشي في جوهها مشلولاً
البداءُ بَرِيّاً فرددّه مهزولاً
مُطْرُ منها شواخاً وسهولاً
سنّة الله لن ترى تبديلاً
يالقُطبَينِ يشهدانِ الأفولاً
وقامت على الخدودِ شعيلاً
كلّ عينٍ دمياً ودمعاً طليلاً
الناسِ حيّاً وخيرَ ميثِ غسيلاً
وأكّبت على الثرى تقبيلاً
أجفانٍ دمعاً فعادَ رطباً بليلاً (1)

(1) ملحمة عيد الغدير / للشاعر اللبناني المسيحي بولس سلامة ص 133 - 134.

وُلد في قرية (تبدین اللقش) لأبٍ ريفي وذلك سنة 1902م، والتحق بمدارس القرية لتلقّي مبادئ العربية، ثمّ واصل دراسته بمعاهد الإرساليات في صيدا وبيروت وجونية ليتخرّج عام 1950م من مدرسة الحقوق الفرنسية بشهادة (الليسانس).
وقد كانت المطالعة المنهل الآخر لثقافته، فقد تميّز بثقافةٍ متنوّعة تتعدّى السّير الشعبية إلى الدين والأدب والتأريخ والفلسفة، فانعكس كلّ ذلك بقوة على نتاجه الشعري.

اشتهر بملاحمه منها: ملحمة عيد الزّياض، وملحمة عيد الغدير، وفي مقدمة ملحمة عيد الغدير يقول: قد يقول القائل، ولم آثرت عليّ دون سواه من أصحاب محمد(ص) بهذه

لبو ابراهيم من وافه المحتم عليه الكون كله انرجن واظلم

أبو ابراهيم لمن فارگ الروح عليه عجت املاك السبع بالنوح
بكه عليه العرش والقلم واللوح وما ظل كلب ما ذاب اوتوم

الملحمة؟ ولا أُجيب على هذا السؤال إلا بكلمات فالملحمة كلها جوابٌ عليه، وسترى في سياقها بعض عظمة هذا الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون: (ﷺ، وكرم وجهه، وعليل) ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه، ويتمثل به الزهاد في الصوامع فيزدادون زهداً وقنوتاً، وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء، ويتطلع إليه الكاتب الأملعي فيأتمُّ بيانه، ويعتمده الفقيه فيسترشد بأحكامه، وأما الخطيب فحسبه أن يقف على السفح ويرفع الرأس إلى هذا الطود لتنهلَّ عليه الآيات من علو، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين. بقي لك بعد هذا أن تحسبني شيعياً، فإذا كان التشيع تنقصاً لأشخاص، أو بغضاً لفئات، أو تموراً في المزالق الخطرة فلسئ كذلك، أما إذا كان التشيع حُباً لعلِّي وأهل بيته المطيبين الأكرمين، وثورة على الظلم وتوجعاً لما حلَّ بالحسين وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ فيني شيعي.

ومن شعره في (ملحمة الغدير):

هات يا شعراً من عيونك واهتف باسم زين العصور بعد نبي
باسم ليث الحجاز نسر البوادي خبير من جلال الميادين غاراً
بإسم رب الكلام من بعد طه بطول السيف والتقوى والسجايا
باسم ماء اشهدي ويا أرض قري
باسم من أشبع السباسب رياً نوز الشرق كوكباً هاشمياً
خير من هز في الوغى سمه رياً وانطوى زاهداً ومات أياً
وأخاه وصهره والوصياً ما رأته مثلته الزمخ كميياً
واخشعي انني أردت علياً

توفي سنة 1979م.

تصيح ام الحسين بدمع جاري بيويه اظلم على افراگك نهاري
ييو ابراهيم يارحمه الباري عگب عيناك ريت الكون يعدم (1)

* * *

قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (2).

قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ره) في تفسيره (التبيان) في ذيل هذه الآية الكريمة: هذا
خطابٌ من الله تعالى للمكلفين (في رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أي اقتداءً حسن في جميع ما يقوله ويفعله متى فعلتم مثله
كان ذلك حسناً، والمراد بذلك الحث على الجهاد والصبر عليه في حروبه، والتسليية لهم في ما ينالهم من المصائب فإنّ
النبيّ (ص) شجّ رأسه وكسرت رباعيته (3) في يوم أحد وقتل عمّه حمزة، فالتأسي به في الصبر على جميع ذلك من
الأسوة الحسنة، وذلك يدلّ على أنّ الإقتداء بجميع أفعال النبيّ (ص) حسنٌ جائزٌ إلّا ما قام الدليل على خلافه، ولا
يدلّ على وجوب الإقتداء به وإتّما يعلم ذلك بدليلٍ آخر، فالأسوة حال لصاحبها يقتدي بها غيره في ما يقول به،
فالأسوة تكون في إنسان أسوةً لغيره، فمن تأسى بالحسن ففعله حسن (لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) فالرجاء توقع الخير،
فرجاء الله توقع الخير من قبله (4).

(1) منهل الشرع للمرحوم السيّد عبدالحسين الشرع ص3.

(2) سورة الأحزاب / 21.

(3) الرباعية: هي السن بين الثانية والثالثة. المنجد

(4) التبيان في تفسير القرآن ج 8 ص328.

كان رسول الله (ص) أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس لم تمس يده امرأة قط لا يملك رقبها أو عصمة نكاحها أو لا تكون ذات رحمٍ محرّم عليه، وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضّل ولم يجد من يعطيه فجاءه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه - يوصله - إلى من يحتاج إليه.

وكان (ص) يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم مصالح أهله ويقطع اللحم معهنّ، ويقبل الهدية ولو كانت جرعة لبن ويكافئ عليها، ويغضب لرتبه ولا يغضب لنفسه، وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي بين أعدائه وحده من غير حارس كان أشدّ الناس تواضعاً، وأسكنهم (1) في غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشراً.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ولم يشبع من خبز بُرّ ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً، وكان يأكل ما حضر ولا يردّ ما وجد.

وكان (ص) يركب ما أمكنه مرّة فرساً ومرّة بعيراً ومرّة بغلة ومرّة حمراً ومرّة يمشي راجلاً ليعود المرضى في أقصى المدينة، كان يحبّ الطيب ويكره الروائح الكريهة.

وكان (ص) يجالس الفقراء، ويواكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألّف (2) أهل الشرف بالبرّ لهم، ويصل ذوي رحمٍ من غير أن

(1) السكينة: الوقار والطمأنينة والمهابة. المنجد

(2) تألّف: تكلف الألفة والمداراة.

يؤثرهم على من هو أفضلُ منهم، ولا يجفو أحداً، ويقبل معذرةَ المعتذرِ إليه، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

وكان (ص) يمزح ولا يقول إلا حقاً، ويضحك من غير فقهة، وما لعنَ امرأةً ولا خادماً، وما كان يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تبارك وتعالى، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه حيث ما انتهى به المجلس جلس فيه (وكان الأعرابي إذا دخل المسجد لا يميّز النبيّ (ص) حتى يسأل من منكم محمد (ص)) وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرّم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فإن أبي الضيف أن يقبلها عزم عليه حتى يقبل.

وعن أمير المؤمنين (ع) قال: لقد رأيتني يوم بدر ونحْنُ نلوذُ بالنبيّ (ص) وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً.

وعنه (ع) قال: كنّا إذا حميَ البأسُ ولقي القومُ العدوَّ اتقينا برسولِ الله (ص) فما يكونُ أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه. وجاء النبيّ (ص) رجلٌ من الأعراب فلما نظر إليه ارتعد لهيبته فقال له النبيّ (ص) هوّن عليك فلست بمكك، إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قريش كانت تأكلُ القديد (1).

وكان (ص) إذا جلس مع الناس إن تحدّثوا في معنى الآخرة أخذَ معهم، وإن تحدّثوا في طعامٍ أو شرابٍ تحدّث معهم، وإن تكلموا في الدنيا

(1) القديد: هو اللحم المقطّع الجفّف.

تحدّث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين (1).

قال حسان بن ثابت فيه عليه وآله الصلاة والسلام:

وأجملَ منك لم ترَ قطَّ عينٌ وأحسنَ منك لم تلدِ النساءُ

خلقت مبرّءاً من كلِّ عيبٍ كأنك قد خلقت كما تشاءُ

ومن معاجزه (ص) ما في (إثبات الهداة) عن الامام أبي محمد الحسن العسكري عن آبائه عن أمير المؤمنين: في حديث أنه أرى بعض اليونانيين معجزات تعجّب منها فقال اليوناني: أمثلك كان محمد (ص)؟ فقال أمير المؤمنين (ع): وهل علمي إلا من علمه، وعقلي إلا من عقله، وقوتي إلا من قوته؟ ولقد أتاه ثقفي كان أطبّ العرب فقال له: إن كان بك جنون داويثك؟! فقال له محمد (ص) أتحبّ أن أريك آيةً تعلم بها غناي عن طبّك وحاجتك إلى طبيّ؟ فقال: نعم قال: فأبي آية تريد؟ قال: تدعو ذلك العذق (2) وأشار إلى نخلة بعيدة، فدعاها رسول الله (ص)، فانقلع أصله من الأرض وجاءت وهي تحدّ الأرض حذاءً حتى وقفت بين يديه فقال النبي (ص): أكفاك؟ فقال: لا قال: فتريد ماذا؟ قال: تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت وتستقرّ في مقرّها الذي انقلعت منه، فأمرها النبي (ص) فرجعت واستقرّت في مقرّها (3).

(1) الأخلاق للمرحوم السيد عبد الله شبر ص 6 - 9.

(2) العذق: كلّ غصن له شعب. المنجد

(3) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للحرّ العاملي (ره) م 1 ص 342.

ومن غرر كلماته الحكمية الخالدة التي رواها العلامة المجلسي (ره) في البحار: قوله (ص): (ترك الغيبة أحبُّ إلى الله عزوجلّ من عشرة آلاف ركعة تطوّع) (1).

أقول: نعلم من هذا الحديث الشريف شدّة مبغوضية إظهار عيوب الخلق للخالق تبارك وتعالى. وقوله (ص) وقد جاءه أحد الأعراب فأخذ بعزّز (2) راحلته وهو يريد بعض غزواته فقال: يارسول الله (ص) علّمني عملاً أدخل به الجنة؟ فقال: (ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم، وما كرهت أن يأتيه إليك الناس فلا تأته إليهم خلّ سبيل الرّاحلة) (3).

وقوله (ص): (المؤمن بين مخافتين بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه) (4).

وقوله (ص): (صديقٌ عدوّ عليٍّ عدوّ عليٍّ (ع)) (5).

أقول: الصديق يكون على شاكلة صديقه، فإذا انكشف لأحدهم عداوة صديقه لأمير المؤمنين (ع) ولم يقاطعه بل بقي على صداقته ومودّته عندها صار عدوّاً لأمير المؤمنين (ع) كصديقه، فإنّنا أمرنا أن نحبّ ونصادق في

(1) البحار ج 75 ص 261.

(2) العزّز: ركاب الرّحل من جلد.

(3) البحار ج 77 ص 136.

(4) البحار ج 77 ص 171.

(5) البحار ج 77 ص 172.

الله، ونبغض ونعادي في الله تعالى، وتفسير ذلك هو الحبّ والموادّة لمحّب أمير المؤمنين(ع)، والبغض والعداوة لمبغض أمير المؤمنين(ع) وكما في حديثٍ آخر مروى عن رسول الله عندما سُئل عن معنى الحب والبغض في الله قال: كن محبّاً لمحّب هذا، ومبغضاً لمبغض هذا، وأشار إلى أمير المؤمنين(ع).

وعن سلمان المحمّدي (رحمه الله تعالى) قال: أوصاني خليلي رسول الله(ص) بسبعة خصال لا أدعهنّ على كلّ حال، أوصاني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقني، وأن أحبّ الفقراء وأدنوّ منهم، وأن أقول الحقّ وإن كان مرّاً، وأن أصلّ رحمي وإن كانت مدبرة، ولا أسأل الناس شيئاً، وأوصاني أن أكثر من قول (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم) فإنها من كنوز الجنة (1).

أقول قوله: (وأن أحبّ الفقراء، وأدنوّ منهم) خصلتان لا واحدة، فيتّمّ بهما العدد، وتكون الخصال سبعة، وقوله (أن أنظر إلى من هو دوني.. الخ) وذلك في الأمور الدنيوية لا الأخروية، من مال ومعاش ومكانه.

ومن جميل قصص الموعظة على عهد رسول الله(ص) ما عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر(ع) يقول: كان على عهد رسول الله(ص) مومنٌ فقيرٌ شديد الحاجة من أهل الصقّة (2)، وكان ملازماً

(1) البحار ج 77 ص 131.

(2) أهل الصقّة: الصقّة: سقيفة في مسجد رسول الله(ص) كانت مسكن الغرباء والفقراء، وأهل الصقّة من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال. (مجمع البحرين)

لرسول الله (ص) عند مواقيت الصلاة كلّها لا يفقده في شيء منها، وكان رسول الله (ص) يرقُّ له وينظر إلى حاجته وغرْبته فيقول: يا سعدُ لو جاءني شيءٌ لأغْنيتك قال: فأبطأ ذلك على رسول الله (ص) فاشتدَّ غمُّ رسول الله (ص) لسعد، فعلم الله تعالى ما دخل على رسوله (ص) من الغمِّ لسعد، فأهبط عليه جبرائيل (ع) ومعه درهماً فقال له: يا محمدُ إنّ الله عزَّوجلَّ قد علم ما دخلك من الغمِّ بسعد أفْتحبُّ أن تغنيه؟ فقال: نعم فقال له: فهالك هذين الدرهمين فأعطهما إياه، ومرةً أن يتجرَّ بهما قال: فأخذهما رسول الله (ص) ثمَّ خرج لصلاة الظهر، وسعد قائم على باب حجرات رسول الله (ص) ينتظره، فلما رآه النبي (ص) قال: يا سعد أتْحسُنُ التجارة؟ فقال: والله ما أصبحتُ أملكُ مالاً أُجْرُ به، فأعطاه رسول الله (ص) الدرهمين وقال له: إِبْجُرْ بهما وتصرّف لرزق الله تعالى، فأخذهما سعد ومضى مع النبي (ص) حتى صلّى معه الظهر والعصر فقال له النبي (ص): قم فاطلب الرزق فقد كنت بحالك مغتماً يا سعد.

قال: فأقبل سعد لا يشتري بدرهم شيئاً إلا باعهُ بدرهمين، ولا يشتري شيئاً بدرهمين إلا باعهُ بأربعة، وأقبلت الدنيا على سعد فكثر ماله ومتاعه وعظمت تجارته، فاتخذ على باب المسجد موضعاً وجلس فيه وجمع تجارته إليه، وكان رسول الله (ص) إذا أدنَّ بلال للصلاة يخرج وسعد مشغول بالدنيا لم يتطهَّر ولم يتهيأ كما كان يفعل قبل أن يتشاغل بالدنيا، فكان النبي (ص) يقول له: يا سعد شغلتك الدنيا عن الصلاة فكان يقول ما أصنع أضيّع مالي؟ هذا رجلٌ قد بعته فأريد أن أستوفي منه، وهذا رجلٌ قد اشتريت منه فأريد أن أوفيه.

قال: فدخل رسول الله (ص) من أمر سعد غمّ أشدّ من غمّه بفقره، فهبط عليه جبرائيل (ع) فقال: يا محمد (ص) إنّ الله قد علمَ غمّك بسعد فأبما أحبّ إليك حاله الأولى أو حاله هذه؟ فقال له النبي (ص): يا جبرائيل بل حاله الأولى قد ذهبَت دنياه بآخرته فقال له جبرائيل (ع): إنّ حبّ الدنيا والأموال فتنةٌ ومشغلةٌ عن الآخرة قل سعد يردّ عليك الدرهمين اللذين دفعتهما إليه، فإن أمره سيصير إلى الحال التي كان عليها أولاً قال: فخرج النبي (ص) فمرّ بسعد فقال له: يا سعد أما تريد أن تردّ عليّ الدرهمين اللذين أعطيتكهما؟ فقال سعد بلى ومأتين فقال له: لست أريد منك يا سعد إلاّ الدرهمين، فأعطاه سعد درهمين قال: فأدبرت الدنيا على سعد حتى ذهب ما كان معه وعاد إلى حاله التي كان عليها (1).

أقول: أدى النبي (ص) الأمانة التي حمّلها إياه ربّه تعالى على أحسن وجه، وأوصى إلى أمير المؤمنين (ع) بوصاياه، ودلّ الناس عليه على أنه خليفته بعده، وكان قد حجّ حجّة الوداع (ص) وإذا به قد وقع على فراش المنية وقد ثقل المرض عليه، ففي الرواية الشريفة أنّ رسول الله (ص) قال لبلال: يا بلال هلّمّ عليّ بالناس، فاجتمع الناس فخرج رسول الله (ص) متعصباً متوكياً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: معاشر أصحابي أيُّ نبيّ كنت لكم؟ ألم أجاهد بين أظهركم؟ ألم تكسر رباعيتي؟ ألم يعفّر جبيني؟ ألم تسيّل الدماء على وجهي ولحيّتي؟ ألم أكابد الشدّة والجهد

(1) البحار ج 22 ص 122.

مع جهال قومي؟ ألم أربط حجرَ الجماعةِ على بطني؟ قالوا: بلى يارسول الله، لقد كنت لله صابراً، وعن المنكر ناهياً، فجزاك الله عنا أفضلَ الجزاءِ ثم قال: إنَّ ربي عزَّوجلَّ حكم وأقسم أن لا يجوزهُ ظلمٌ ظالمٌ فناشدتكم بالله أيَّ رجلٍ منكم كانت له قبلي مظلمةٌ إلا قام واقتصَّ مني، فالقصاص في دار الدنيا أحبُّ إليَّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء، فقام إليه رجل يقال له سودة بن قيس فقال له فداك أبي وأمي يارسول الله إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك، وبيدك القضيب المشوق (1) فرفعته وأنت تريد الناقة فصار على بطني فقال النبي(ص): معاذ الله أن أكون قد تعمَّدت ذلك ثم قال: يا بلال قم إلى منزل فاطمة فائتني القضيب المشوق، فذهب بلال وجاء به فأخذه رسول الله(ص) وقال: أين الشيخ؟ فقال ها أنا ذا يارسول الله بأبي أنت وأمي فقال: تعال فاقتصَّ مني حتى ترضى فقال: اكشف لي عن بطنك يارسول الله، فكشف(ص) عن بطنه، فقال له بأبي أنت وأمي يارسول الله أتأذنُّ لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذنَّ له فقال أعودُ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار فقال النبي(ص): يا سودة بن قيس أتغفو أم تقتصَّ فقال: بل أعفو يارسول الله فقال: اللهم اعفُ عن سودة بن قيس كما عفا عن نبيك(ص) (2).

ثم عاد(ص) إلى منزله فاشتدَّ عليه المرض ونعيت إليه نفسه فغمَّض عينيه فجاء الحسنان(ع) وهما يصيحان ويكيان حتى وقعا على رسول الله(ص)

(1) القُضيب: جمعه قُضبان هو الغصن المقطوع. المنجد

(2) البحار ج 22 ص 507 ضمن ح 9.

فأراد أمير المؤمنين (ع) أن ينحيهما عنه ففتح النبيّ عينيه وقال: يا عليّ دعني أشمهما ويشماني، وأنزّود منهما وبتزوّدان مني أما انهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً فلعنهُ اللهُ على من يظلمهما يقول ذلك ثلاثاً، ثمّ نظر النبيّ (ص) فرأى فاطمة (ع) باكية فأومى إليها بالدنو منه فدنت منه فأسرّ إليها شيئاً فتهلّل وجهها، ثمّ نزل جبرائيل وقال السلام عليك يا أبا القاسم فقال وعليك السلام يا جبرائيل ادنُ مني فدنى منه فقال له: عند الشدائد لا تحذلي ثمّ نزل ملك الموت وأقبل مستأذناً حتى وقف بين يدي رسول الله (ص) وقال: إنّ الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني، إن أمرتني بقبض نفسك قبضتها وإن كرهت كرهتها، فجلس جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت بين يديه فقال النبيّ لملك الموت: امضِ لما أمرت به، فتقدّم أمير المؤمنين (ع) ووضع فمه على فم رسول الله (ص) وجعل يناجيه حتى فارقت روحه الشريفة جسده فانسلّ عليّ (ع) باكياً وقال: عظم الله أجوركم في نبيكم فإنه قد قبضه الله إليه، فارتفت الأصوات بالضجّة والبكاء، وضجّ أهل المدينة وهم ينادون واسيداه واحمداه وأبا القاسماه (1) وأنشأ أمير المؤمنين (ع):

الموت لا والداً يبقى ولا ولداً	هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً
هذا النبيّ ولم يخلد لأمتيه	لو خلّد الله خلقاً قبله خلداً
للموت فينا سهامٌ غيرُ خاطئةٍ	من فاتهُ اليومَ سهمٌ لم يفتَهُ غداً

(1) الكوكب الدرّي للمرحوم الشيخ المازندراني ص114.

بعد وفاة النبي(ص) سئلت الصديقة فاطمة(ع) ماالذي أسرَّ إليك رسول الله (1) فسرى عنك به ما كنت عليه من الحزن قالت: إنّه أخبرني أنني أول أهل بيته لحوقاً به وانه لن تطول المدّة بي بعده حتى أدركه فسرى ذلك عني (2). أقول: نعم ما بقيت بعد أبيها إلا أياماً قليلة وكانت دائمة البكاء عليه في ليلها ونهارها حتى تأدّى أهل المدينة من بكائها، وجاء الشيخان إلى أمير المؤمنين وقالوا: إن فاطمة آذتنا ببكائها فإمّا أن تبكي ليلاً وتدع البكاء نهاراً، وإمّا أن تبكي نهاراً وتدع البكاء ليلاً.

ولما ذكرها أمير المؤمنين قالت: ياأبا الحسن ما أقلّ مكثي بينهم فلاأسكت عن البكاء على أبي لا في الليل ولا في النهار فلم يمنعها عن ذلك ولكن بنى لها بيتاً آخر سماه (بيت الأحران) (3).

مَن لحاها إذ بكت والداها	قائلاً فلتبك ليلاً أو نهاراً
ويلهم ما ضرهم لو بكييت	بضعة المختار أياماً قصارا
من سعى في ظلمها من راعها	من على فاطمة الزهراء جارا

(1) البحار ج22 ص522.

(2) الكوكب الدرّي ص115.

(3) وفاة الصديقة الزهراء للمرحوم السيد عبدالرزاق المقرّم ص97.

نعي

بعد أبوهه شلون ذلّت امن البكا ما يوم ملّت
وحين بالشجرة استظلت عمدوا عليها كطعوها

* * *

طلعت المدينة نالته وتبكي وحزينة
ليت أبوها تشوف عينه شلون من بعده ظموها

* * *

وما برحت مظلومة ذات علة تورقها البلوى وظالمها مغفي
إلى أن قضت مكسورة الضلع مسقطا جنين لها بالضرب مسودة الكتف

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين

فهرس المصادر

- القرآن الكريم.
- أمالي الصدوق، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي، دار التعارف - بيروت.
- أدب الطفّ، للسيد جواد شبر، دار المرتضى - بيروت.
- أصول الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية - طهران.
- الأخلاق، للسيد عبدالله شبر، مكتبة بصيرتي - قم 1395 هـ .
- أضواء على ثورة الإمام الحسين(ع)، السيد محمد الصدر، الشريف الرضي - قم.
- إحصاء العين في أنصار الحسين(ع)، للشيخ محمد السماوي، مكتبة بصيرتي - قم.
- اقناع اللائم على إقامة المآتم، للسيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة المعارف - قم.
- الإرشاد، للشيخ المفيد، مكتبة بصيرتي - قم.
- بحار الأنوار، للشيخ المجلسي، المكتبة الإسلامية - طهران.
- بطل العلقمي، للشيخ عبدالواحد المظفر، منشورات الشريف الرضي - قم.
- تذكرة الخواص، للعلامة سبط ابن الجوزي الحنفي، مكتبة نينوى - طهران.
- جلاء العيون، للسيد عبدالله شبر، مكتبة بصيرتي - قم.
- چهره درخشان، للشيخ علي ربّاني خلخالي، فارسي.
- خلاصة الأسرار من بحار الأنوار، للسيد أحمد الحكيم، ذوي القربى - قم.

- الخصال، للشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- رياض المدح والرثاء، للشيخ حسين علي البحراني، منشورات الكاظمين - قم.س
- سفير الحسين، للشيخ عبدالواحد المظفر، منشورات الشريف الرضي - قم.
- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، المكتبة العامة لآية الله المرعشي النجفي - قم.
- الشهيد مسلم، للسيد عبدالرزاق المقرّم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
- شجرة طوبى، للشيخ محمد مهدي المازندراني، منشورات الشريف الرضي - قم.
- شرح رسالة الحقوق، للسيد حسن القبانجي، مؤسسة إسماعيليان - قم.
- الصحيفة المهديّة، للسيد مرتضى مجتهدى، الناشر حاذق - قم.
- الطفل بين الوراثة والتربية، للشيخ محمد تقي الفلسفي، دار المرتضى - مشهد.
- قمر بني هاشم، للسيد عبدالرزاق المقرّم، منشورات الشريف الرضي - قم.
- الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي، مكتبة الصدر - طهران.
- كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن قولويه القمي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر - بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- لغائ الأخبار، محمد نبي التوسيركاني، مكتبة العلامة - قم.
- مجمع البيان، للشيخ الفضل بن حسن الطبرسي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم.
- مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين الطريحي، المكتبة المرتضوية - طهران.
- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، انتشارات سيد الشهداء - قم.
- معالي السبطين، للشيخ محمد مهدي المازندراني، مكتبة القرشي - تبريز.

- الملهوف على قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس، دار الأسوة للطباعة والنشر.
- المصباح، للكفعمي إبراهيم بن علي بن الحسن العاملي، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- مقتل الكعبي، للشيخ عبدالزهراء الكعبي، الشريف الرضي - قم.
- مقتل المقرّم، للسيد عبدالرزاق المقرّم، مكتبة بصيرتي - قم.
- مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، مؤسسة دار الكتاب - قم - إيران.
- المصباح المنير، للفيومي أحمد بن محمد المقرّي، منشورات دار الهجرة - قم.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر - بيروت.
- الإمام زين العابدين، للسيد عبدالرزاق المقرّم، دار الشبستري للمطبوعات - قم.
- المنجد في اللغة، لويس معلوف، انتشارات إسماعيليان - طهران.
- الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي، جماعة المدرسين - قم.
- المقبولة الحسينية، للشيخ هادي كاشف الغطاء، منشورات أنوار الهدى - قم.
- مسار الشيعة، للشيخ المفيد، مكتبة بصيرتي - قم.
- مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب رشيد الدين محمد بن علي، مؤسسة انتشارات علامه - قم.
- مع الحسين في نهضته، للشيخ أسد حيدر، دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
- من لا يحضره الخطيب، للسيد داخل السيد حسن، انتشارات المكتبة الحيدرية - قم.
- علي الأكبر، عبدالرزاق المقرّم، انتشارات المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.
- علل الشرائع، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.

- ثمرات الأعواد، للسيد علي الهاشمي، الشريف الرضي - قم.
- النصرات، للشيخ محمد نصار، انتشارات الشريف الرضي - قم.
- النظام التربوي في الإسلام، للشيخ باقر شريف القرشي، دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
- ديوان مع النبي وآله، للسيد محمد جمال الهاشمي - قم.
- الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي علي بن محمد، منشورات الأعلمي - طهران.
- فوائد المشاهد، للشيخ جعفر الشوشتري، دار الإعتصام - قم.
- نور الحقيقة، لوالد الشيخ البهائي.
- نفس المهموم، للشيخ عباس القمي، مكتبة بصيرتي - قم.
- المجالس السنّية، للسيد محسن الأمين، الشريف الرضي - قم.
- البابليات، للشيخ محمد عليّ اليعقوبي، دار البيان - قم.
- المحجة البيضاء، للفيض الكاشاني، دفتر انتشارات إسلامي - قم.
- الديوان المنسوب لأمير المؤمنين(ع)، انتشارات كتابخانه أروميه - قم.
- كشكول البحراني، للشيخ يوسف البحراني، مؤسسة الوفاء ودار النعمان.
- أعلام الدين في صفات المؤمنين، للديلملي الحسن بن أبي الحسن، مؤسسة آل البيت - قم.
- وسيلة الدارين الكبرى، الشيخ علي بازي، منشورات الشريف الرضي - قم.
- الدرّ النّضيد في معالي الشهيد، للسيد محسن الأمين، مكتبة الداوري - قم.
- أبو الحسين زيد الشهيد، للسيد محسن الأمين، مؤسسة آل البيت - قم.
- الأنوار البهية في ترجمة الحجج الإلهية، للشيخ عباس القمي، دار الأضواء - بيروت.
- الفائزات، للملا علي بن فايز، منشورات الشريف الرضي - قم.

- كرامات رضوية، الشيخ علي أكبر مروّج الإسلام، مكتبة جعفري، مشهد.
- عيون أخبار الرضا، للشيخ الصدوق، رضا مشهدي - مشهد.
- عدّة الدّاعي ونجاح الساعي، لابن فهد الحليّ، مكتبة وجداني - قم.
- الأحكام الفقهية، للسيد محمد سعيد الحكيم، دار الهلال.
- منهل الشرع، للسيد عبدالحسين الشرع، منشورات الشريف الرضي - قم.
- التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي.
- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، للحرّ العاملي، قم.
- وفاة الصديقة الزهراء، للسيد عبدالرزاق المقرّم، المطبعة الحيدرية، النجف.
- أنوار الولاء في مآتم الزهراء، للسيد أحمد الحكيم، انتشارات الفيروزآبادي - قم.

الفهرس

3	الإهداء.....
4	المقدمة.....
6	مناسبات شهر محرم الحرام.....
8	فضل البكاء على سيد الشهداء(ع).....
18	فوائد المجالس الحسينية.....
29	فضائل الإمام الحسين(ع).....
40	الخروج من المدينة إلى مكة.....
51	كرم الإمام الحسين(ع).....
59	الخروج من مكة المكرمة.....
70	حياة مسلم بن عقيل(ع).....
80	مسلم سفير الإمام الحسين(ع).....
96	فضل أصحاب الإمام الحسين(ع).....
106	مواقف أنصار الإمام الحسين(ع).....
116	الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر الأسدي.....
127	شقاء عمر بن سعد وسعادة الحر.....
137	فضل أبي الفضل العباس(ع).....
147	أبو الفضل العباس(ع) الكنى والألقاب.....
162	منزلة العباس بن علي(ع).....
173	التفكر والإعتبار.....
181	شهادة القاسم بن الحسن(ع).....
188	بر الوالدين.....
198	شهادة علي الأكبر(ع).....

207	شهادة عبد الله الرضيع.....
218	الإمام (ع) وأصحابه ليلة العاشر.....
227	مقتل الإمام الحسين عليه السلام.....
235	دفنُ الأجساد الطاهرة.....
254	شهادة الإمام زين العابدين (ع).....
263	مناسبات شهر صفر الخير.....
264	دخول السبايا إلى الشام.....
274	زيد الشهيد (ع).....
285	شهادة الإمام الحسن المجتبي (ع).....
299	شهادة الإمام أبي الحسن الرضا (ع).....
313	يوم الأربعين.....
323	شهادة النبي الأكرم محمد (ص).....
337	فهرس المصادر.....
342	الفهرس.....